جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا

عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم

إعداد الطالبة
ماجدة فيصل زكريا

إشراف الدكتور
محمد جبر أبو سعدة
أستاذ مشارك التاريخ الإسلامي بجامعتي أم القرى والأزهر

جزء من المقررات العلمية للحصول على درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

العام الجامعي
١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ
١٩٨٢ - ١٩٨٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،
وبعد ،

يسعدني وأنا أتقدم بجهدي المتواضع هذا أن أوجه خالص شكري وعظيم تقديري لكل من قدم لي العون والمساعدة في سبيل اخراجه على تلك الصورة التي أرجو الله سبحانه أن تكون موضع القبول .

وأخص بشكري وتقديري السادة أساتذة قسم التاريخ الاسلامي وقســـم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بالكلية وفي مقدمتهم أستاذي الدكتـــور محمد جبر أبو سعدة .

كما أتوجه بتقديري الخاص الى سعادة الأستاذ الدكتور عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية على ما قدمته الكلية من عون لا أنساه في متابعة خطوات هذا العمل العلمي .

كذلك لا يفوتني أن أشكر الاخوة أمناء المكتبات في مكة المكرمة على حسن تعاونهم معي في توفير المصادر والمراجع التي رجعت اليها في مراحل هـــذا البحث .

جزاهم الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء وأكرمه .

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فقد قرر مجلس الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى أن يكون موضوع " عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم " مجالا للبحث الذى أتقدم به اليوم – كجزء من المقررات العلمية – لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى .

وعلى الرغم من أن شخصية الخليفة عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – وعهده المبارك كانا ولا يزالان – قديما وحديثا – ميدانا مرغوبا لدى الباحثين فى علوم الشريعة والادارة والسياسة والتاريخ ، وبالرغم من استقصاء الكثيرين من الكتاب والمؤرخين لحياة هذا الخليفة الزاهد ، فان ذلك لم يمنعنى من القبول بهذا الاختيار من المجلس الموقر ، واتجهت الى الله سبحانه وتعالى ضارعة أن يمنحنى التوفيق والسداد فيما قصدت اليه من البحث حول شخصية هذا العلم الفذ من أعلام الاسلام ، وخلافته القصيرة زمنا ، ولكنها الطويلة العميقة أثرا فى المجتمع الاسلامى .

ولا أخفى سرا أن نفسى امتلأت رهبة فى بداية الأمر من هذا الموضوع لعدة عوامل ، لعل أولها – وهو ما أشرت اليه سابقا – كثرة ما كتب فيه ، وكثرة من تناولوه بالبحث من زواياه المختلفة ، غير أن ثمة خاطر دفعنى وأقنعنى ببحث هذا الموضوع ، ذلك أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يذكر "أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها " (1)

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٢٠٧ .

كان يلح على باعتبارنا على رأس المائة الرابعة عشرة من تاريخ المسلمين ، وعمر بن عبد العزيز واحد ممن جددوا دين الأمة على رأس المائة الأولى ، فكانت فرصة لدراسة واحد من هذه الأمثلة التى تتطلع اليها الأمة الاسلامية فى تاريخها المعاصر .

والعامل الثانى : أن عمر بن عبد العزيز فى أكثر ما قرأت عنه صور من زاوية واحدة ، وهى زهده على حساب سيرته كخليفة مرموق ارتفع الى مستوى الخلفاء الراشدين فى رأى الغالبية العظمى ممن كتبوا عنه ، فكانت هذه فرصة لدراسة تاريخه كحاكم وخليفة .

والعامل الثالث : أن البحث بعنوانه الذى طرح به على كان يتطلب دراسة المظالم ، وموقف عمر بن عبد العزيز منها ، وذلك جانب استهوانى لشدة حاجة المسلمين فى الوقت الحاضر الى من يرد لهم مظالمهم ، ويحيى ما أميت من سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويميت ما انتشر فى الأمة الاسلامية المعاصرة من البدع .

ورابع الأسباب : أن عمر واحد من السلف الصالح ، وما أحوجنا الى أن نعود بحياتنا الى ما كانت عليه على عهد السلف حتى يستقيم أمر الأمة الاسلامية ، ويصفوا لها زمانها ، وتستعيد أمجادها .

وفى هذا التقديم لابد من الاشارة الى بعض الجهود العلمية السابقة التى تناول فيها أصحابها شخصية عمر بن عبد العزيز وخلافته بالبحث والدراسة ، مبتدأة بمن تناولوا سيرته بشكل مستقل ، ثم بعد ذلك من تناولوه ضمن دراسات أخرى ، ومن أقدم الدراسات التى تناولت سيرته بشكل مستقل كتاب " سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه " وهو لأبى محمد عبد الله بن عبد الحكم المصرى المالكى (ت ٢١٤ هـ) .

ولا شك أنى أفدت من هذا الكتاب فائدة جليلة فى بحثى من أوله الى نهايته ، وكثيرا جدا من النصوص التى تضمنها البحث نقلتها منه ، فهو

الراوى الثقة المأمون على ما نقله من شيخه وأستاذه مالك بن أنس ، وهى نصوص تدور حول حياة عمر منذ البداية وحتى اليوم الأخير من حياته المباركة السخية ، شاملة أكثر ما يتصل بعهده وسياسته فى ادارة الدولة الاسلامية المترامية الأطراف .

أما الكتاب الثانى فهو : " أخبار أبى حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته " لأبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى (ت ٣٦٠ هـ) .

ولا شك أيضا أنى أفدت منه فى بعض جوانب هذا البحث ، فهو الراوى الثقة المأمون على ما أخبر به من سيرة عمر بن عبد العزيز . التى تناولها بايجاز موردا أهم أخباره التى مكنتنى خلالها من الوقوف على جوانب حياة عمر بن عبد العزيز بشكل واضح .

أما الكتاب الثالث فهو : " سيرة عمر بن عبد العزيز " لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) وقد بين ابن الجوزى فى مقدمة كتابه هذا سبب تأليفه لهذا المؤلف ، فقال : " أفردت لكل شخص من أعلام كل زمن وأخباره كتابا للاعلام بأخباره . ورأيت أخبار عمر بن عبد العزيز أحق بالذكر لأنها تنبه أولى الأمر على أولى الأمر ، وتعين الزاهد فى الدنيا على حمل أعباء الصبر ، فلذلك آثرت جمع آثاره واخترت ضم أخباره ، ولعلها تجمع لقارئها شمل دينه ، ويقوى تكراها على فكره ازر يقينه . فان هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات والولايات" (1) ، فجاء كتابه هذا نظرا لتقصيه أخبار الخليفة عمر أوسع واشمل كتاب جمع أخباره ، وقد أفدت من هذا الكتاب فائدة كبيرة فى كتابة بحثى من أوله الى آخره ، وجانبا كبيرا من النصوص التى تضمنها بحثى نقلتها منه .

أما المجموعة الثانية من الكتب التى رجعت اليها فى هذا البحث ؛ فهى المراجع الحديثة التى تناولت بالبحث والدراسة حياة عمر بن عبد العزيز ، وهى كثيرة الا أننى اقتصرت فيها على تتبع مناهج مؤلفيها فى البحث ، لأن

---

(1) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢ .

المصادر الأصلية أغنتني في المادة العلمية ، وعلى رأس هذه المراجع كتاب " عمر بن عبد العزيز " لأحمد زكي صفوت فهذا الكتاب من المراجع الهامة في حياة عمر بن عبد العزيز ولا غنى للباحث من الاطلاع عليه ، فقد تحدث مؤلفه فيه عن حياة عمر منذ ولادته الى يوم وفاته .

أما الكتاب الثاني فهو : " الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز " لعبد العزيز سيد الأهل وهذا الكتاب من المراجع التي حاولت أن تغطي جوانب حياة عمر بن عبد العزيز كلها .

والكتاب الثالث الحديث الذي وقع تحت يدي هو : " ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز " لعماد الدين خليل ، وقد نحا فيه مؤلفه الى منهج التحليلي ، وذكر هو عن نفسه في مقدمة كتابه أنه جمع بين المؤرخ والفنان ، لأن المؤرخ الفنان في نظره " يسعى للبحث في أعماله عن كل الارتباطات الظاهرة والخفية بين سائر ما يعرضه علينا التاريخ من أحداث ووقائع ومعطيات ... " (1) ، وهو كتاب رائع يشد قارئه ليعيش في أعماق تاريخ عمر .

والى جانب تلك الدراسات التي تناولت سيرة عمر بن عبد العزيز بشكل مستقل ، فان ثمة مصادر أخرى تناولت حياة عمر بن عبد العزيز بالبحث والتقصي لأخباره ضمن ما تناولته من موضوعات أخرى ، واعتمدت عليها في كتابة هذا البحث ، وجعلتها أساسا لجميع جوانبه ، وذلك لقرب عهدها به ، ولا أكون مبالغة اذا قلت أن أكثر المصنفات التاريخية والترجمات قد جمعت أخباره وتوسعت فيها ، فأوضحت أكثر جوانب حياته وأعماله ، ويأتي على رأسها جميعا كتاب " الطبقات الكبرى " لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) والذي يمثل دراسة شاملة لسير وتراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب مراكز تواجدهم من صحابة وتابعين وخلفاء في القرن الأول والثاني وبداية القرن الثالث الهجري اضافة الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(1) خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي ص ١٠ .

وقد أفدت من القدر الكبير الذى ذكره عن عمر بن عبد العزيز فى كتابه حيث أفرد له ثمانيا وسبعين صفحة افادة كبيرة فى بحثى كله ، اذ جعلته أساسا فى كتابتى له ، وذلك كما أشرت سابقا لقرب عهده بعهد عمر ، ولأنه راوية ثقة فى كل الأخبار التى رواها .

أما الكتاب الثانى فهو : " تاريخ خليفة بن خياط العصفرى (ت ٢٤٠ هـ) فهو يعتبر أقدم تاريخ حولى اسلامى وصل الينا ، فقد اهتم خليفة فى مصنفه هذا اهتماما بالغا بوضع جداول بأسماء الولاة والموظفين وغيرهم من عمال الدولة فى فترة خلافة كل خليفة ، كما اهتم بذكر أسماء الشهداء فى الغزوات والفتن الداخلية .

ولا شك أنى أفدت من هذا الكتاب وخصوصا من الجداول الحاوية على أسماء عمال عمر بن عبد العزيز وغيره من الخلفاء وكذلك فى تحقيق الكثير من الحوادث والوفيات التى تعرضت للحديث عنها فى جوانب البحث ، فهو راوية ثقة .

أما الكتاب الثالث الذى أفدت منه كثيرا فهو : كتاب " المعرفة والتاريخ " لأبى يوسف يعقوب بن سفيان البسوى (ت ٢٧٧ هـ) ويمثل هذا الكتاب دراسة شاملة لتراجم رواة حديث رسول الله من الصحابة والتابعين ، ومن جاء بعدهم ، وبيان أحوالهم ، الى جانب موضوعات أخرى تحدث عنها كذكره أسماء قضاة البصرة وفضائلها ، وفضائل مصر والشام وغيرها ، وقد أسهب البسوى فى بعض تراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم عمر بن عبد العزيز فشملت أخباره أكثر نواحى حياته الاجتماعية والسياسية والعلمية ، وقد أفدت من هذا الكتاب فائدة كبيرة ، وشطر لا بأس به من النصوص التى تضمنها بحثى منقولة منه ، لأنه راوية ثقة .

ثم كتاب " تاريخ الرسل والملوك " لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وهذا المصنف الكبير غنى عن التعريف به وبمؤلفه العظيم ، ولقد أكثرت من الأخذ عنه والاستشهاد بنصوصه ورواياته عن أخبار عمر وخلافته .

أما الكتاب الرابع فهو " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " لأبى نعيم احمد بن عبد الله الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) الذى يعد أكبر موسوعة شملت تاريخ المشاهير من الزهاد والنساك فى الأمة الاسلامية ، بدأهم بسيرة أبى بكر رضى الله عنه ، ثم ذكر زهاد الصحابة من أهل الصفة ثم التابعين وتابعيهم الى عصره ، وقد شمل هذا الكتاب ترجمة واسعة لعمر بن عبد العزيز والتى أفادتنى فائدة كبيرة ، ويبدو أن ابن الجوزى قد استقى العديد من أخباره عن عمر بن عبد العزيز منه .

أما الكتاب الأخير فى هذه المجموعة فهو : " مخطوط تاريخ مدينة دمشق الكبير " لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف بابن عساكر الدمشقى (ت ٥٧١ هـ) وهو مصنف ألفه على نسق تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) فى ثمانين مجلداً أدهش به العلماء لاتساعه وكبره ، اذ أورد فيه تراجم للأعيان والرواة والمحدثين والحفاظ وسائر أهل السياسة والعلم منذ صدر الاسلام الى أيامه ، ممن نزل دمشق أو مر بها ، اعتمد فيه على الاسناد وقد استعنت به فى كتابة بحثى وجعلته أساسا فى العديد من جوانبه ، اذ وجدت فيه أخبارا لم أجدها فى غيره مثل ترجمات لبعض أولاد عمر بن عبد العزيز ، هذا وقد أفرد ابن عساكر لعمر فى مخطوطه ترجمة واسعة شاملة ضمنها ستا وثلاثين ورقة ، تعرض فيها للحديث عن جوانب حياة عمر كلها منذ ولادته الى موته .

والى جانب ما ذكرته من مصادر اعتمدت أيضا على كتب الرجال لأنهما زاد دسم لا ينفذ ، موثقة دقيقة فى رواياتها فى تحقيق الشخصيات التى لها صلة وثيقة بعمر بن عبد العزيز ، وعلى رأسها كتاب " الجرح والتعديل " لأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) وهو مصنف يحتوى على تراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرحا وتعديلا استوعب جميع أحكام ائمة الجرح والتعديل لهؤلاء الرواة .

وهناك مجموعة كتب هامة أعانتنى فى اعداد هذا البحث ، وأعنى بهما كتب الحافظ الذهبى المتوفى عام ٧٤٨ هـ ، وهى :

" تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام "

" تذكرة الحفاظ "

" سير أعلام النبلاء "

" ميزان الاعتدال فى نقد الرجال "

فأما كتاباه : تاريخ الاسلام ، وسير أعلام النبلاء ، فقد تحدث فيهما عن رجال الاسلام فى المقام الأول ، وعن الحوادث التى لها علاقة بهؤلاء الرجال . وأما تذكرة الحفاظ وميزان الاعتدال فى نقد الرجال فهما يتحدثان بشكل خاص عن طبقات العلماء من الحفاظ والمحدثين .

كما استعنت فى كتابة بحثى هذا بعدد من المصادر التى تحدثت عن النظام المالى فى الاسلام ، وخاصة عن اصلاحات عمر بالنسبة للصدقات والخراج وموقفه من أهل الذمة والموالى وعلى رأسها : " كتاب الخراج " لأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب أبى حنيفة (ت ١٨٢ هـ) ويعد كتابه هذا أول كتاب تناول موارد الدولة المالية ، كما تكلم فيه الى جانب ذلك عن رأى الاسلام فى عدة أمور . مثل العلاقات الدولية ، والجنايات ...

وأما الكتاب الثانى فهو : " كتاب الخراج " ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى (ت ٢٠٣ هـ) الذى ألفه على نسق كتاب أبى يوسف الا أنه لم يتطرق للموضوعات الأخرى التى تناولها أبو يوسف اضافة الى كلامه عن الخراج .

والكتاب الثالث والأخير فى هذه المجموعة هو : " كتاب الأموال " لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ويعد هذا الكتاب أشمل وأوسع من الكتابين السابقين من ناحية تناوله للنظام المالى فى الاسلام ، وهو أحسن كتاب صنف فى هذا الموضوع وأجوده .

خطة البحث :

وبعد فتلك هى المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى الذى اشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة : فأما المقدمة فقد بينت فيها سبب اشتغالى بهذا الموضوع وأهميته فى التاريخ الاسلامى ، ونوهت بذكر طائفة من المصادر والمراجع التى كانت عونا لى فى اعداد بحثى .

وأما الفصل الأول فهو بعنوان : " حياة عمر قبل توليه الخلافة " ، وقد قسمته أربعة مباحث ، أولها : عن نسبه ونشأته ، والثانى عن حياته العلمية أما الثالث فهو عن حياته الاجتماعية ، ويأتى المبحث الرابع خاصا بولايته على المدينة .

أما الفصل الثانى فهو بعنوان : " عمر الخليفة " ، وفيه كذلك أربعة مباحث ، جاءت على النحو الآتى : فالأول يبحث " الظروف التى لابست استخلافه والثانى يتناول " منهج عمر بن عبد العزيز فى ادارة الدولة الاسلامية " ، والمبحث الثالث بعنوان : " على طريق الاصلاح " ، أما المبحث الرابع فهو عن " دورة فى نشر الاسلام " .

أما الفصل الثالث والأخير ، فقد أفردته للحديث عن " سياسة عمر فى رد المظالم " ، ويشتمل على مبحثين اثنين ، الأول بعنوان " المظالم قبل خلافة عمر بن عبد العزيز " ، والثانى يتناول " سياسة عمر فى رد المظالم " .

أما الخاتمة فقد ضمنتها عرضا موجزا ومركزا لما اشتمل عليه البحث من نتائج علمية انتهيت اليها — بتوفيق الله وعونه — . وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقت فيما قصدت اليه فمنه وحده العون ، وبه التوفيق وله الحمد والشكر كله .

وفى هذه المناسبة ينبغى لى أن أذكر بالخير أستاذى الفاضل الدكتور " عبد العزيز غنيم " أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الأزهر الذى لم يبخل على بحسن التوجيه والارشاد حين كان يشرف على اعداد هذا البحث فى المرحلة الأولى من تسجيله ، فجزاه الله عنى خير الجزاء .

أما أستاذى الفاضل الدكتور " محمد جبر أبو سعدة " أستاذ التاريخ الاسلامى المشارك بجامعة أم القرى ، وجامعة الأزهر الشريف ، فانى أشكر له جهده الكبير الذى بذله معى منذ اللحظة الأولى فى جمع معلومات هذا البحث واعدادها وحسن توجيهه العلمى ، وسعة صدره فى مناقشتى للمسائل العلمية معه ، فكان لآرائه ومناقشاته ونقده خير موجه لى ، اذ تمكنت بفضل توجيهاته تلك من التغلب على ما صادفنى من نقاط كان يعوزنى فيها زيادة الوضوح ، وأعطانى فى ذلك من جهده وعلمه الكثير الذى يسر لى الوصول الى نهاية هذا البحث ، والى الانتهاء فيه على هذه الصورة فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء ، وله منى كل احترام وتقدير وعرفان بالجميل .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى كل من تعاونوا معى فى اعداد هذا البحث وهم منسوبو مكتبة كلية البنات ، ومكتبة جامعة أم القرى ، ومكتبة الحرم المكى ومكتبة عارف بك فى المدينة المنورة ، اضافة الى دور الكتب فى دمشق والقاهرة والرياض ، ومكتبة مركز التنمية الاجتماعية بوادى فاطمة .

وأخيرا ، فهذا جهدى – على قدر طاقتى – أقدمه ، وكلى رجاء فى أن أكون قد وفقت فيما قصدت اليه ، وأسأل الله تعالى أن يكون عملى هذا خالصا لوجهه الكريم ومقبولا ونافعا ان شاء الله . فهو الموفق والهادى الى سواء السبيل ..

الفصل الأول

حياة عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة

المبحث الأول : نسبه ونشأته

المبحث الثاني : حياته العلميّة

المبحث الثالث : حياته الاجتماعية

المبحث الرابع : ولايته على المدينة

المبحث الأول
" نسبه ونشأته "

عمر بن عبد العزيز :

نسبه :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى الأموى القرشى .(١)

وأمه هى أم عاصم ليلى ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب .(٢)

كنيته :

ويكنى عمر بن عبد العزيز بأبى حفص .(٣) مثل جده لأمه عمر بن الخطاب

---

(١) محمد بن سعد " كاتب الواقدى " (ت ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى (ط بيروت) ، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧م ، ٥/ ٣٣٠ ، محمد بن حبان البستى (ت ٣٥٤هـ) : مشاهير علماء الأمصار صححه م . فلايشهمر (ط القاهرة) ، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م ، ص١٧٨ ، على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ) : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٠ ب ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام (ط القاهرة) ١٣٦٩ هـ ، ٤/ ١٦٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٣٠ ، محمد بن اسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) التاريخ الكبير ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى (ط حيدر آباد) طبع بين عامى ١٣٦٢ هـ ـ ١٣٨٠ هـ ، ٦/ ١٧٤ . عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) : المعارف ، تحقيق محمد بن اسماعيل عبد الله الصاوى (ط بيروت) ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م ، ص ١٥٨ .

(٣) محمد بن على بن محمد العمرانى (ت ٥٨٠ هـ) : الانباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى (ط ليدن) ١٩٧٣ م ، ص ٥٠ .

الذى كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص [1] ، وتروى كتب التاريخ بشىء من التفصيل أخبار هذا النسب الذى ربط عمر بن عبد العزيز بعمر بن الخطاب رضى الله عنه . [2]

والده :

وقبل أن نواصل الحديث عن عمر بن عبد العزيز ، لا بأس أن نورد نبذة وجيزة عن والده الذى كان له التأثير الكبير فى حياة ابنه .

ولد عبد العزيز بن مروان فى المدينة المنورة ، ونشأ ، وتربى بها . [3] والمدينة يومئذ قريبة العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبخلفائه الراشدين ، ولازال يعيش بها كثير من صحابته رضى الله عنهم ، يلقنون الناس ، ما أخذوه عن النبى من العلم ، فتلقى عبد العزيز منهم ، وروى عنهم ، وعن أبيه

---

(١) ابن هشام (ت ٢١٨ هـ) : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، (ط القاهرة) ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م ، ٦٢٩/٢ .

(٢) راجع عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤ هـ) : سيرة عمر بن عبد العزيز ، على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه (ط دمشق) ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م ص ١٩ — ٢٠ ، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى (ت ٣٦٠ هـ) : أخبار أبى حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته ، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان (ط بيروت) ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية (ط بيروت) ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ٥٧/٩ ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) تهذيب التهذيب (ط حيدر آباد) طبع بين عامى ١٣٢٥ هـ — ١٣٢٧ هـ ، ٣٥٦/٦ ، يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، (ط القاهرة) ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م ، ١٧١/١ .

مروان بن الحكم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] ، وقد بلغ عبد العزيز درجة ، جعلت كبار مصنفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضعونه بين الثقات من الرواة ، فذكره النسائي وابن حبان في الثقات وقال عنه ابن سعد أنه ثقة قليل الحديث . [٢]

ومن اجتهاداته أنه " أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر " . [٣]

وبلغ به الحرص في تتبع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليكون له هاديا ، ومرشدا ، أنه أرسل الى كثير بن مرة الحضرمي ، الذي لقي بمدينة حمص سبعين بدريا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يكتب له بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديث الا حديث أبي هريرة لأنه موجود لديه . [٤]

ويكون بهذا من أوائل الجامعين لحديث النبي صلى الله عليه وسلم .
ولم يطل مقام عبد العزيز بن مروان بالمدينة المنورة ، ذلك أن أهل المدينة كانوا قد تمكنوا من ازالة سلطان بني أمية من المدينة عام ثلاثة وستين للهجرة

---

(١) عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) : الجرح والتعديل ، (ط حيدر آباد) ، طبع بين عامي ١٣٧١ هـ ـ ١٣٧٣ هـ ٢/٢/٣٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٥٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٣٥٦ .

(٢) الطبقات : ٥/٢٣٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ٦/٣٥٦ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١/١٧٢ .

(٣) محمد بن يوسف الكندي (ت ٣٥٠هـ) ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار (ط بيروت) ، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م ، ص ٧٢ ، وانظر أيضا أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية (ط القاهرة) ١٢٧٠ هـ ، ١/٣١٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٧/٤٤٨ .

وحوصر الأمويون فيها فضاقت أرضها على مروان بن الحكم ، وبنى عمه جميعا حتى رقيقهم ، فاضطروا الى الرحيل الى الشام [١].

وحين استتب الأمر لمروان بن الحكم فى بلاد الشام بعد موت معاوية بن يزيد [٢] (ت ٦٤ هـ) توجه مروان بن الحكم الى مصر ، لطرد عامل ابن الزبير عنهـا ، واخضاعها لسلطته [٣] ، ويرافقه ابنه عبد العزيز ، الذى دخل مصر على رأس جيش عن طريق أيلة [٤] ، وقد تمكن مروان بن الحكم ، وابنه عبد العزيز من الاستيلاء على مصر ، وذلك فى جمادى الآخرة عام خمسة وستين للهجرة ، ثم ولى مروان عليها ابنه عبد العزيز على صلاتها وخراجها فى غرة رجب من العام نفسـه [٥] ، وأوصاه قبل رحيله عنها الى الشام بتقوى الله ، والاحسان الى أهلها ، والرفـق بهم [٦].

وعلى أثر عودة مروان بن الحكم الى الشام ، عقد لابنه عبد العزيز بولايـة

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٨
محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيـق محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط دار المعارف) ١٩٧١م ، ٥/٤٨٢.
(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٢٢٦ ، الطبرى : تاريخ ٥/٥٣٧ .
(٣) عماد الدين اسماعيل أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ) المختصر فى أخبار البشـر (ط بيروت) ، بدون سنة الطبع ١/١٩٤ .
(٤) بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام ، وقيل : هى آخر الحجاز وأول الشام ، ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) : معجـم البلدان (ط بيروت) ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م ، ١/٢٩٢ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٥٧ ، المقريزى : الخطط ١/٣٠٩ - ٣١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/١٧٤ .
(٦) المقريزى : الخطط ١/٣٠٩ - ٣١٠ .

العهد بعد أخيه عبد الملك [١] .

ثم توفى مروان فى شهر رمضان سنة خمس وستين للهجرة ، وتولى الخلافة بعده ابنه عبد الملك ، الذى أقر أخاه عبد العزيز على ولاية مصر [٢].

وقد تم على يد عبد العزيز بن مروان الكثير من الاصلاحات فى مصر ، فيشير ابن تغرى بردى الى أن عبد العزيز هو الذى أشار على أخيه عبد الملك بن مروان ، بضرب الدراهم والدنانير ، فضربها فى سنة ست وسبعين للهجرة [٣]، كما قام بتوسعة مسجد الفسطاط [٤] .

وقد عرف عن عبد العزيز الرأفة بالرعية فيذكر الذهبى أنه قال : " ما نظر الى رجل قط فتأملنى الا سألته عن حاجته . وكان يقول أيضا : وا عجبا من مؤمن يوقن أن الله يرزقه ويوقن أن الله يخلف عليه كيف يدخر مالا عن عظيم أجر أو حسن سماع " [٥] . ويروى أنه كان حول بيته ألف جفنة كل يوم ، ومائة أخرى ترسل على عجل الى القبائل [٦] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٢٢٦/٥ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٦/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٥٧/٩ .

(٢) المقريزى : الخطط ٣١٠/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٢/١ .

(٣) النجوم الزاهرة ١٧٦/١ .

(٤) الكندى : ولاة مصر ص ٧٣ ، المقريزى : الخطط ٣١٠/١ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٥/١ .

(٦) الكندى : ولاة مصر ص ٧٣ ، ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢٩٣ ، المقريزى : الخطط ٣١٠/١ .

وكان عبد العزيز قد ترك الفسطاط فى سنة سبعين الى الشرقية بعد وقوع الطاعون بها ، ثم أعجب بحلوان [١] ، فاتخذها مقرا له وبنى فيها الدور والمساجد ، وغرس بها الكروم والنخيل . [٢]

وكان عبد الملك بن مروان قد أراد خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد ليعهد الى ولديه الوليد ، وسليمان من بعده ، الا أن قبيصة بن ذؤيب حال دون ذلك على أمل أن يخلصهم الله منه ، ولم يمض وقت طويل حتى جاء البريد بنعى عبد العزيز بن مروان ليلا الى عبد الملك الذى بادر فى صباح تلك الليلة فأخذ البيعة بالخلافة من بعده لابنيه الوليد وسليمان . [٣]

وقد توفى عبد العزيز بن مروان فى شهر جمادى الأولى عام خمسة وثمانين [٤] ولما مات لم يترك من الأموال الا سبعة آلاف دينار ، وحلوان ، والقيسارية [٥] وثياب بعضها مرقوع ، وخيلا ، ورقيقا .

وعندما حضرته الوفاة قال : " ألا ليتنى لم أك شيئا مذكورا ألا ليتنى كنابتة الأرض أو كراعى ابل فى طرف الحجاز " [٦]

---

(١) حلوان : قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر ، وضرب بها الدنانير . ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) الكندى : ولاة مصر ص ٧١ ، ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢٩٤ ، المقريزى : الخطط ١/ ٣٠٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٢٣٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٦/ ٤١٣ ، الكندى : ولاة مصر ص ٧٦ ، المقريزى : الخطط ١/ ٣١٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/ ٣٥٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/ ١٧٤ .

(٥) القيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، ياقوت : معجم البلدان ٤/ ٤٢١ .

(٦) الكندى : ولاة مصر ص ٧٦ ، المقريزى : الخطط ١/ ٣١٠ .

فى هذه البيئة الصالحة نشأت النبتة الصالحة عمر بن عبد العزيز من أم ربيت على التقوى والصلاح ، وأب تخلق بخلق القرآن على يد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مولده :

اختلف المؤرخون فى تاريخ مولد عمر بن عبد العزيز على خمسة أقوال :

أولها : أنه ولد فى عام ٥٩ هـ (١)

والثانى : أنه ولد فى عام ٦٠ هـ (٢)

والقول الثالث : أنه ولد فى عام ٦١ هـ (٣)

أما القول الرابع : أنه ولد فى عام ٦٢ هـ (٤)

والقول الأخير : أنه ولد فى عام ٦٣ هـ (٥)

والراجح أنه ولد فى عام ٦١ هـ ، وبه قال أكثر المؤرخين .

مكان ولادته :

وقد اختلف أيضا على مكان ولادته ، فبعضهم يقول أنه ولد فى المدينة (٦)

---

(١) خليفة بن خياط بن خليفة البصرى (ت ٢٤٠ هـ) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى (ط بيروت) ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ، ص ٣٢٢ .

(٢) محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى (ت ٧٦٤ هـ) : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط مصر) ١٩٥١م ، ٢٠٧/٢ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٢ ، البستى : مشاهير علماء الأمصار ص ١٧٨ ، على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) ، جوامع السيرة ، تحقيق احسان عباس وآخرين (ط مصر) بدون سنة الطبع ، ص ٣٦٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٤٢٧/٥ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٣٣٠/٥ .

(٦) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٠ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ٢٠٧/٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٤٦/١ .

وذكر آخرون أنه ولد فى مصر [1] .

وهكذا يختلط الرأى فى مكان ولادته ، كما سبق واختلط فى تاريخها، غير أن الراجح أنه ولد فى المدينة المنورة وذلك لأن أباه لم يتول امارة مصر كما ذكر المؤرخون الا فى غرة رجب عام خمسة وستين هجرية ، وكان عمر قد ولد بالفعل قبل هذا العهد فى عام واحد وستين للهجرة .

نشأته :

وقد نشأ عمر فى المدينة ، حسبما جاء فى رواية ابن عبد الحكم الذى قال : " فلما شب وعقل وهو غلام بعد صغير كان يأتى عبد الله بن عمر كثيرا لمكان أمه منه .

ثم يرجع الى أمه فيقول : يا أمة أنا أحب أن اكون مثل خالى ـ يريد عبد الله ابن عمر ـ فتؤفف به ثم تقول له : اغرب أنت تكون مثل خالك ؟ تكرر عليه ذلك غير مرة .

فلما كبر سار أبوه عبد العزيز بن مروان الى مصر أميرا عليها ، ثم كتب الى زوجته أم عاصم أن تقدم عليه وتقدم بولدها ، فأتت عمها عبد الله بن عمر فأعلمته بكتاب زوجها عبد العزيز اليها ، فقال لها : يا ابنة أخى هو زوجك فالحقى به : فلما أرادت الخروج قال لها . خلفى هذا الغلام عندنا ـ يريد عمر ـ فانه أشبهكم بنا أهل البيت فخلفته عنده ولم تخالفه ، فلما قدمت على عبد العزيز اعترض ولده فاذا هو لا يرى عمر ، فقال لها : وأين عمر ؟ فأخبرته خبر عبد الله وما سألها من تخليفه عنده لشبهه بهم ، فسر بذلك عبد العزيز وكتب الى أخيه عبد الملك بن مروان يخبره بذلك فكتب عبد الملك أن يجرى عليه ألف دينار فى كل شهر ، ثم قدم عمر على أبيه بعد ذلك مسلما عليه ، فأقام عنده ما شاء الله " [2]

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٢ ، البستى : مشاهير علماء الأمصار ص ١٧٨ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق مجلد ١٣/ ورقة ١٣١ ب ، أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ١/ ٢٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١٩٢ ، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط مصر ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م) ص ٢٢٨ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٠ ـ ٢١ .

وهذه الرواية التي أوردها ابن عبد الحكم ، لا يقلل منها ، ما ذكره ابن عساكر ، وابن كثير ، من أن عمر قد شب في الشام وأرسل منها الى المدينة ليتعلم فيها [١] ، أو رواية ابن شاكر الكتبي ، والذهبي التي تقول : أن أباه عبد العزيز أرسله من مصر الى المدينة ليتلقى العلم فيها [٢] . لأن فترة وجوده في الشام ، كانت غاية في القصر نظرا لقصر المدة التي قضاها أبوه فيها بعد ولادة عمر ، كما أن اقامة عمر في مصر كانت هي الأخرى قصيرة لأن عمر انضم الى أبيه بمصر وهو ابن أربع سنين على الأقل وبعدها أرسل الى المدينة وهو " سوقة " على حد قول ابن عساكر [٣] اي ما يزال صغيرا ، وبذلك أرجح رواية ابن عبد الحكم لقرب عهده بعهد عمر بن عبد العزيز .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ ب ، البداية والنهاية ١٩٣/٩ .

(٢) فوات الوفيات ٢٠٧/٢ ، وتاريخ الاسلام ١٦٤/٤ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ أ .

المبحث الثانــي
" حياتــه العلميــة "

طلبه للعلم :

تؤكد الروايات أن عمر بن عبد العزيز ، كان ميالا منذ صغره الــى تحصيل العلم ، فقد جمع القرآن وهو صغير [(١)] ، ولم يقف عند هذا الحد بــل رغب في طلب العلم والتأدب في المدينة ، واستجاب أبوه الى رغبة ولده الصــبى وفي هذا الصدد يذكر ابن عساكر " أن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ان أباه ولى مصر وهو ــ أى عمر ــ حديــث السن يشك في بلوغه فأراد أبوه اخراجه معه الى مصر من الشام ، فقال : ترحلــنى الى المدينة فاقعد الى فقهائها وأتأدب بآدابهم فعند ذلك أرسله أبوه الــى المدينة ، وأرسل معه الخدام فقعد مع مشايخ قريش وتجنب شبابهم " [(٢)] .

شيوخــه :

١ ــ صالح بن كيسان (ت ١٤٠ هـ)

وقد اختار عبد العزيز لتأديب ولده عمر واحدا من كبار فقهاء المدينة ، وهو صالح بن كيسان فكتب اليه يطلب منه تعهد ولده وتأديبه [(٣)] .
وصالح بن كيسان هو أحد رواة الحديث الثقات ، ويعد في التابعــين [(٤)] ، وقد وثقه أكثر أئمة الحديث ، منهم النسائى ، وابن حبان ، الذى قال عنه : " انه من الثقات من فقهاء المدينة والجامعين للحديث والفقــه

---

(١) الذهبى : تاريخ الاسلام ٤/ ١٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١٩٢ ، عبد الحي بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) شذرات الذهب في أخبار مــن ذهب (ط بيروت) بدون سنة الطبع ، ١/ ١١٩ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ /ورقة ١٣٢ ب ، ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/ ١٩٣ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٢ أ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١٩٢ .

(٤) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ، ٢/ ١/ ٤١١ ، ابن حجر : تهذيــب التهذيب ٤/ ٤٠٠ .

من ذوى الهيئة ... وقال الخليلى فى الارشاد : كان حافظا اماما روى عنه من هو أقدم منه عمرو بن دينار ... وقال ابن عبد البر : كان كثيرا الحديث ثقة حجة فيما حمل " (١) .

وقبل صالح بن كيسان كان عمر بن عبد العزيز قد تتلمذ على عمـــه .

٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٤ هـ) (٢)

٣ ـ عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (ت ٨٠ هـ)

ولم يكتف عمر بتلقى الحديث والفقه عن صالح بن كيسان ، بل كان يختلف كثيرا الى مجالس العلماء والفقهاء المعروفين فى المدينة آنـذاك ليسمع منهم ، وفى مقدمتهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه هو وعبد الله بن الزبير وعمرهما لا يتجاوز السابعة كما كفله رسول الله بعد استشهاد والده فى مؤتة(٣) هو وأخوته وهو آخر هاشمى رأى النبى صلى الله عليه وسلم(٤) .

٤ ـ السائب بن يزيد (ت ٩١ هـ) :

ومن أساتذة عمر القدماء : السائب بن يزيد الصحابى ، اختلف فى أصله وحج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وهـــو

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤/٤٠٠ - ٤٠١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٥/٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١/٨١ .

(٣) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، ياقوت : معجم البلدان : ٥/٢٢٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٤/٣٤ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/٢١ ، عز الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ) : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، بدون مكان الطبع ، ١٢٨٦هـ ، ٣/١٣٣ .

ابن سبع سنين (١) .

٥ ــ أنس بن مالك (ت ٩٣ هـ) :

ومن شيوخ عمر بن عبد العزيز كذلك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، خادم النبي لعشر سنوات كاملة ، والراوي عنه طائفة جليلة من سننه الشريفة (٢) .

٦ ــ يوسف بن عبد الله بن سلام (ت ١٠١ هـ) :

ومن أساتذة عمر من الصحابة كذلك يوسف بن عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي ثم الأنصاري ، الذى اختلف في صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام ، فقال البخاري : له صحبة ، بينما قال آخرون انما له رؤية فقط ، وليست له صحبة لصغره (٣) .

ومن كبار التابعين الذين تلقى عنهم وتتلمذ عليهم عمر بن عبد العزيز : فقهاء المدينة السبعة الذين كانوا مصابيح هادية لطلاب العلم في الآفاق ، فهم ورثة علم الصحابة رضى الله عنهم ، ثم كانوا بعد ذلك أنشط الناس في نشر هذا العلم واشاعته في المجتمع الاسلامي ، حيث قصدهم جمع عظيم من الراغبين في علوم الاسلام من جميع الأقطار الاسلامية ..

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/١/٢٤١ ، ابن الأثير : أسد الغابة ٢/٢٥٧ ــ ٢٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٨٣ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٧/١٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٨٨ ــ ٨٩ ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب (ط مصر) ١٣٢٨ هـ ، ١/٧١ ــ ٧٢

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٥ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ٢/٣٨٢ ، ٣/٦٧٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١/٤١٦ .

ولقد صحبهم عمر بن عبد العزيز بالمدينة وقتا طويلا ، منذ بداية عهده بالطلب ، وحين كان أميرا على المدينة ، في عهد الوليد بن عبد الملك .

وأول هؤلاء السبعة الأعلام :

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي المدني (ت ٩٤ هـ) (١) .

أما الثاني فهو :

عروة بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، المدني (ت ٩٤ هـ) (٢) .

وثالث هؤلاء الأعلام هو :

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، القرشي المخزومي ، المدني (ت ٩٤ هـ) (٣) .

والرابع هو :

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي المدني (ت ٩٨هـ) (٤) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ١١٩/٥ ـ ١٤٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ (ط بيروت) ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦م ، ٥٤/١ ـ ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٩/٩ ـ ١٠٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨٤/٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ١٧٨/٥ ـ ١٨٢ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣٩٥/٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٨٠/٧ ـ ١٨٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٠٧/٥ ـ ٢٠٨ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣٣٦/٢/٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١٥/٩ ـ ١١٦ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٢٥٠/٥ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣١٩/١/١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٧٩/١ .

أما خامس فقهاء المدينة فهو :

خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك ، الأنصاري ، الخزرجي ، المدني (ت ١٠٠ هـ) [١] .

وسادس أعلام المدينة السبعة هو :

سليمان بن يسار أبو أيوب ، الهلالي ، المدني ، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم (ت ١٠٧هـ) [٢] .

ويأتي القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، القرشي ، التيمي ، المدني ، آخرهم وفاة في سنة ١٠٨ هـ [٣] .

وليس من قبيل المبالغة أن أقول : ان هؤلاء الفقهاء الكبار كانوا أكثر تأثيرا في عمر ، وان شخصيته العلمية تدين لهؤلاء الرجال الأعلام بالكثير .

ولم يكن هؤلاء الذين ذكرناهم شيوخ عمر وأساتذته فحسب ، بل هناك غيرهم من علماء العصر ، تلقى عنهم عمر وتتلمذ عليهم ، نكتفي هنا بذكر أسماء بعضهم على سبيل المثال ، فمنهم :

أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة (ت ؟ هـ) [٤] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٢٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١٨٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣/ ٧٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ١/ ١٤٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٨ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/ ١٨٧ ـ ١٩٤ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/ ٩٦ ـ ٩٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/ ٣٣٣ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٢٢٣ ، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري أبو زرعة الدمشقي (ت٢٨١هـ) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، تحقيق شاكر الله بن نعمة الله القوجاني (ط دمشق) ١٩٨٠ ، ١/ ٤١٤ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/ ٢/ ٣٤١ .

والربيع بن سبرة الجهني (ت ؟ هـ) (١) .

وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ت ٩٤ هـ) (٢) .

منزلته بين علماء عصره :

وهكذا تتلمذ عمر بن عبد العزيز على يد هؤلاء العلماء المتضلعين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن التابعين ، الذين كان كل واحد منهم علما من أعلام الاسلام ، هذا فضلا عن أبيه عبد العزيز بن مروان الذي علمه وأدبه فحذق علوم الاسلام واللغة العربية ، وقرض الشعر وفي هذا يروي عن نفسه فيقول : " ولقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام من الغلمان ثم تاقت نفسي الى العلم الى العربية فالشعر فأصبت منه حاجتي " (٣) .

فلما اكتمل له هذا العلم غدا بحق اماما يقتدى به ، وشهد له العلماء بذلك منهم مالك ، وابن عيينة (٤) ، وكذلك الذهبي ، الذي قال عنه : " وكان اماما فقيها مجتهدا عارفا بالسنن كبير الشأن ثبتا حجة حافظا قانتا لله أواها منيبا " (٥) ، ويؤيد هذا رواية البخاري وابن عساكر عن أيوب الذي قال : " لا نعلم أحدا ممن أدركنا كان آخذا عن نبي الله منه يعني عمر بن عبد العزيز " (٦) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٤٨/٤ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤٦٢/٢/١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٤/٣ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ١٥٥/٥ ــ ١٥٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٦٣/١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١٦/١٢ ــ ١١٧ .

(٣) عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق محب الدين الخطيب (ط مصر) ١٣٣١ هـ ، ص ٩ .

(٤) البخاري : التاريخ الكبير ١٧٥/٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٧٨/٧

(٥) تذكرة الحفاظ ١١٨/١ .

(٦) التاريخ الكبير ١٧٥/٦ ، تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٥ أ .

وأثناء بحثى فى أمهات الكتب ، لجمع مادة موضوعى لاحظت أنه لم تخل أكثر كتب الفقه أو الحديث أو الأموال من الاشارة الى عمر بن عبد العزيز والاستشهاد برأيه ، واجتهاده (١) ، لكونه من الأئمة المجتهدين ، فى هذه العلوم (٢) وليس أدل على ذلك من قول الامام أحمد " لا أدرى قول أحد من التابعين حجة الا قول عمر بن عبد العزيز " (٣) ، كما وضعه ابن حبان فى ثقات التابعين (٤) ، ووضعه الذهبى فى علمه مع الزهرى (٥) ، وقال عنه ابن سعد ، بأنه كان ثقة ، مأمونا له علم وفقه وورع وروى حديثا كثيرا . (٦)

---

(١) الامام مالك بن أنس (ت ١٦٩ هـ) : الموطأ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (ط القاهرة) ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م الصفحات ٢/١ - ٤ ، ص ٢٥٥ ٢٧٠ ، ص ٢٧٧ - ٢٨٠ ، ٧٢٢/٢ ، ص ٧٢٥ ، انظر : الامام محمد بن ادريس الشافعى (ت ٢٠٤ هـ) : الأم (ط بيروت) ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م على سبيل المثال : ٣٩/٢ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ١٥٢/٤ ، ٢١٧ ، ٢٤٥/٧ - ٢٤٦ ، والقاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) الأموال تحقيق محمد خليل هراس (ط القاهرة) ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م . الصفحات : ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١٠٨ ، ... ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية (ط بيروت) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ، (الجزء الخامس ، تحقيق شعيب الأرنؤوطى) (ط بيروت) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، ص ١١٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٢/٩ .

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٧٨/٧ .

(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٩/١ .

(٦) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١١٥/٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٧٦/٧ .

ويروى أن ابن شهاب الزهرى دخل على عمر بن عبد العزيز فحدثه حديثاً كثيراً فقال له عمر : كل ما حدثتنيه قد سمعته ولكنى حفظت ومن ثم نسيت (١)، وقال عمر : مرة فى معرض حديثه " خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى فلما قدمت الشام نسيت " (٢) ، وقد بلغ اتساع أفقه وغزارة علمه أنه كان عالماً بأصل كل العلوم (يعنى علوم الاسلام) وفروعها فيروى عن الليث بن سعد المصرى أنه قال : " حدثنى رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة قال : ما التمسنا علم شىء الا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه " (٣) .

ولبيان منزلة عمر بين علماء عصره ، يروون أنه بعد أن تولى عمر الخلافة جاءه العلماء يظنون أنه محتاج الى علمهم ومعرفتهم ، ولكن الأمر لم يكن كذلك ، يقول مجاهد (٤) : أتينا الى عمر بن عبد العزيز نريد أن نعلمه ، ونحن نرى أنه محتاج الينا ، فما برحنا حتى تعلمنا منه ، بل واحتجنا اليه ، وكان مجاهد قد مر بعمر بن عبد العزيز وهو فى طريقه الى الغزو (٥) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٨٥/٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٦ أ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٦ أ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٩/١ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٥ أ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/٩ .

(٤) هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبى السائب ويقال لقيس بن السائب المخزومى المكى القرشى التابعى توفى فى مكة سنة ١٠٣ هـ انظر ابن قتيبة : المعارف ص ١٩٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ ـ ٤٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٣٩٨/٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٤٠ ب ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (ط بيروت) ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥م ، ٦٢/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/٩ .

ويروى عن أبى النضر المدينى أنه قال : " لقيت سليمان بن يسار خارجا من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم . قال : فقلت هو والله أعلمكم " (١) .

وهكذا سما عمر بعلمه سموا كبيرا وارتفعت منزلته بين أقرانه من العلماء المعاصرين له سموا جعلهم يثنون عليه وينعتونه بمعلم العلماء (٢) .

وقد استحق عمر هذا اللقب عن جدارة بشهادة علماء عصره . قال ميمون ابن مهران : " أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه يحتاج الينا فما كنا معه الا تلامذة " وفى رواية أخرى " ما وجدت العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذة " (٣) .

وهذا مما جعل الكثير من علماء عصره يأتونه ليسألوه ويتفقهوا بعلمه فيروى أن محمدا بن كعب القرظى قال : " اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز ، فقلنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، فقلنا : نحب أن تسأل عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) (٤) قال : فسأله ونحن نسمع فقال عمر سألت عن التناوش وهى التوبة طلبوها حين لم يقدروا عليها " (٥) .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٥ أ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٩٤ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٥أ ، ابن كثير البداية والنهاية ٩/١٩٤ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٥أ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/١١٩ .

(٤) آية ٥٢ من سورة سبأ .

(٥) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٨ .

أمثلة من فقه عمر :

والأمثلة الدالة على علم عمر وتفقهه وتقفيه آثار رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته كثيرة جدا ، ونكتفي بايراد بعض منها على سبيل المثال .

يروى أن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء المدينة من العراق للحج فصلى خلف واليها عمر بن عبد العزيز فقال : " ما صليت خلف امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بصلاة رسول الله من امامكم يعني عمر بن عبد العزيز " (١) ، فقد كان عمر يخفف القعود والقيام ويتم الركوع والسجود ، اذ كان يسبح في الركوع والسجود عشرا في كل منهما (٢) ، وشهادة مثل هذا الصحابي الجليل كافية للدلالة على فقه عمر وعلمه .

وقد سأل الزهري مرة عمر عن السبب في عدم اتمام التكبير مع أن عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن يتمه ؟ أجابه : تلك هي الصلاة الأولى ورفض أن يقبل منه (٣) . ومن الأمثلة الأخرى التي توضح ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يبايع لولده عبد العزيز بن الوليد بدلا من أخيه سليمان بن عبد الملك ولي العهد فرفض عمر ذلك وكانت حجته أن في عنقه بيعة لسليمان فعلم الوليد بهذا ، فأمر بسجنه في بيت وأن يطين عليه ، فكاد أن يموت لولا تشفع أخته أم البنين فيه وهي زوج الوليد بن عبد الملك وأم عبد العزيز المراد المبايعة له (٤) .

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٨ ، ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦ .

(٣) أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ١/٥٢٠ .

(٤) المصدر السابق ١/٥١٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥/١٤٨ — ١٤٩ .

ونختم هذه الأمثلة من فقه عمر ببعض ما ذكر عن استشارة عماله له وكذلك قضاته فيما كان يعرض لهم ، مع أن عمر كان دقيقا في اختياره لهم ، حيث كان كل منهم عالما من علماء عصره فقد كتب اليه عدى بن أرطاة عامله على البصرة يسأله في شأن تعذيب بعض المقتطعين من مال الله فقال : " ان قبلى أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجه من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب ، فان رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن في ذلك أفعل ؟ "

فأجابه عمر :

" أما بعد ، فان العجب كل العجب استئذانك اياى في عذاب بشر ، كأنى لك جنة ، وكأن رضائى عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه البينة ، ومن أقر لك بشيء ، فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله ، وايم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب الى من أن ألقى الله عز وجل بدمائهم والسلام " (١).

ومن هذا القبيل أرسل اليه قاضيه على مصر عياض بن عبيد الله الأزدى " أن رجلا خرج يعد فرسا له في المضمار فصدم امرأة على الطريق فقتلها فأبى مواليه أن يعقلوا عنه وليس يأخذ العطاء ، وانا لا نشك أن مواليه كانوا آخذى عقله لو أصيب ، وان منعوا ذلك رأوا أن قد ظلموا فلا يسقطن عندك عقل مسلم " .

فكتب اليه عمر :

" اعلم أن عامة هذه الموالى لا تحفظ أنسابها فعاقلها فاجعل ذلك على مواليه قال ابن وهب أخبرنى الليث أن عمر بن عبد العزيز كتب بذلك " (٢).

---

(١) الآجرى : أخبار أبى حفص عمر بن عبد العزيز ص ٧٨ ، وانظر ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٥ ، وابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ، صححه رفن كست ، (ط بيروت) : ١٩٠٨م ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

وأمثلة من بيانه وشعره :

كما كان عمر بن عبد العزيز فصيحا بليغا يروى أن الخليفة عبد الملك بن مروان قال له : " قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك فقال وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة ، فأعجب به عبد الملك ، فقال بعض أولاد عبد الملك : هذا كلام تعلمه فأداه "[1]، أرادوا بذلك أن يبخسوا بفصاحة عمر وبلاغته الا أن عبد الملك كان معجبا بعمر وعلمه وفصاحته ، ولهذا تحين فرصة دخول عمر عليه مرة ثانية ليثبت لهم ضلال رأيهم فيه فقال له "يا عمر كيف نفقتك ؟ فقال الحسنة بين السيئتين يا أمير المؤمنين قال فما هما ؟ قال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)[2] فقال عبد الملك من علمه هذا ؟ "[3].

وكان عمر بن عبد العزيز يقرض الشعر فيذكر ابن رشيق فى كتابه العمدة بعضا من شعر عمر بن عبد العزيز يستشهد به للرد على من كره الشعر وقرضه فمن ذلك قوله :

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم ؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت جفونا لعينيك الدموع السواجم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم ، والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف تكره غبة كذلك فى الدنيا تعيش البهائم [4]

ومما أثبته حماد الرواية من شعره :

انه الفؤاد عن الصبا وعن انقيادك للهوى
فلعمر ربك ان فى شيب المفارق والجلا
لك واعظا ولو كنت تتعظ اتعاظ ذوى النهى

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ .
(٢) آية " ٦٧ " من سورة الفرقان .
(٣) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ .
(٤) الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط بيروت) ١٩٧٢م ٣٧/١ .

حتى متى لا ترعوى ؟ والى متى ؟ والى متى ؟
بلى الشباب وانت ان عمرت رهن للبلى
وكفى بذلك زاجرا للمرء عن غى ، كفى

ومن شعره أيضا :

ولولا النهى ثم التقى خشية الردى لعاصيت فى حب الصبا كل زاجر
صبا ما صبا فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالى الغوابر (١).

تلامذته :

وقبل أن نختم حديثنا عن حياة عمر العلمية ، حرى بنا أن نلفت الأنظار الى تلامذته الذين رووا عنه العلم ، فعمر كان دائما وأبدا معطاءا للخير لم يضن بما عنده من علم اكتسبه على تلاميذه ، أو حتى على جلسائه أو عامة رعيته ، كلما أتاحت له الظروف ذلك .

وقد روى عنه أكثر من ستين تلميذا كما أثبتته المصادر من بينهم عدد من شيوخه في حين كتب اليه البعض الآخر يستفتونه فأجابهم (٢) .

أما شيوخه الذين رووا عنه فهم :

١ ــ أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى من سادات قريش ومن كبار أئمة التابعين وهو أحد فقهاء المدينة (ت ٩٤ هـ) (٣) .

٢ ــ وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى ثم البخارى المدنى أحد المفتين الكبار فى المدينة وأعلم أهل زمانه بالقضاء (ت ١٢٠هـ) (٤) .

---

(١) المصدر السابق ١/٣٧ ــ ٣٨
(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧/٤٧٦ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/١٥٥ ــ ١٥٧ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/٦٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢/١١٦ ــ ١١٧ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ٢/٣٨٣ ، خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٥٠ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥/٣١٣ ــ ٣١٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٢/٣٨ ــ ٣٩ .

٣ ــ ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي المدني عالم الشام والحجاز وحافظ زمانه (ت ١٢٤ هـ) (١) .

كما روى عنه عدد كبير من العلماء الكبار من بينهم :

٤ ــ عمير بن هانئ العبسي الداراني الامام التابعي الثقة (ت ١٢٧ هـ) (٢) .

٥ ــ ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي ، المدني الثقة ، العالم الورع أحد علماء السيرة (ت ١٢٨ هـ) (٣) .

٦ ــ ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى ، القرشي التيمي المدني الامام الحافظ القدوة شيخ الاسلام (ت ١٣٠هـ) (٤) .

٧ ــ وأيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني العنزي مولاهم ، البصري الآدمي الامام الحافظ سيد العلماء والفقهاء الثقة الصدوق الثبت الحجة العدل من صغار التابعين (ت ١٣١ هـ) (٥) .

٨ ــ وعمرو بن مهاجر بن أبي مسلم واسمه دينار الأنصاري أبو عبيد الدمشقي وهو مولى أسماء بنت زيد (ت ١٣٩ هـ) (٦) .

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/١/٧١ محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) : تهذيب الأسماء واللغات (ط بيروت) بدون سنة الطبع ١/١/٩٠ ــ ٩٢ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/١٠٨ ــ ١١٣ .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣/٣٧٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥/٤٢١ ــ ٤٢٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/١٤٩ ــ ١٥٠ .

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢/٢١١ ــ ٢١٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء (الجزء السادس تحقيق حسين أسد) ص ١٢٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١١/٣٩٢ .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/١/٩٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/١٢٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣ .

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/١٣٠ ــ ١٣٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/٣٩٧ ــ ٣٩٩ .

(٦) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٤١٨ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/١٠٧ ــ ١٠٨ .

٩ ــ وكذلك حميد بن أبي حميد الطويل ، أبو عبيدة البصري مولى طلحة الطلحات الامام ، الحافظ الثقة (ت ١٤٣ هـ)[١].

١٠ ــ وعمرو بن ميمون بن مهران الجزري الرقي عامل عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة[٢] كان ثقة صدوقا (ت ١٤٥ هـ)[٣]

١١ ــ وابراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن عبد الله المرتحل الشامي المقدسي الامام القدوة الثقة الصدوق من بقايا التابعين (ت ١٥٢ هـ)[٤] .

١٢ ــ والنضر بن عربي أبو روح الباهلي ، مولاهم الجزري الحراني ، الامام الثقة ، العالم ، المحدث (ت ١٦٨ هـ)[٥] .

١٣ ــ كما روى عن عمر عدد من أبنائه وأقربائه فمن بينهم :

ابن عمه مسلمة بن عبد الملك وهو من تابعي أهل الشام لقب بالجرادة الصفراء وهو قائد الجيوش وكان ميمون النقيبة (ت ١٢٠ هـ)[٦] .

١٤ ــ وأخوه زبان بن عبد العزيز سيد بني عبد العزيز وفارسهم قتل سنة (١٣١ هـ)[٧]

١٥ ــ ومن أبنائه الذين رووا عنه :

عاصم بن عمر بن عبد العزيز (ت ١٢٧ هـ)[٨] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ١٧/٧ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢٢١/٢/١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٥٢/١ .
(٢) قال ياقوت في معجم البلدان ١٣٤/٢ جزيرة أقورهي التي بين دجلة والفرات ،
(٣) ابن الأثير : الكامل ٥٧٢/٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠٨/٨ ــ ١٠٩ ،
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦٠٨/٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٢٣/٦ ــ ٣٢٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٤٢/١ ــ ١٤٣ .
(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء (الجزء السابع تحقيق علي أبو زيد) ص ٤٠٣ ــ ٤٠٥ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٤٢/١٠ ــ ٤٤٣ .
(٦) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٥٠ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢٦٦/١/٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٦/ورقة ٢٢٢أ ، ٢٢٦أ .
(٧) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٦١٦/٢/١ .
(٨) المصدر السابق : ٣٤٦/٣ ، خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٧٧ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٨/ورقة ٣٢٧أ ، ٣٢٨أ .

١٦ ــ وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز (ت ١٣٢ هـ) (١) .
١٧ ــ وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (ت ١٤٧ هـ) (٢) .
١٨ ــ وابراهيم بن عمر بن عبد العزيز (ت ؟) (٣) .
١٩ ــ وادريس بن عمر بن عبد العزيز (ت ؟) (٤) .
٢٠ ــ ويزيد بن عمر بن عبد العزيز (ت ؟) (٥) .
٢١ ــ كما روت عنه زوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (ت ؟) (٦) .

أما من جلسائـه :

فما خلا مجلس له معهم من تفقيه لعقولهم ، وتنبيه لوجدانهم ، وتوجيه لأفئدتهم ، الى ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم .

فيروى أن رباح بن عبيده قال : " كنت قاعدا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه ، فقال عمر : مهلا يا رباح انه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم عليه الفضل " (٧) .

ومن هذا القبيل أيضا ما يروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه قال :
" دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد ، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني وكان يعجبه التمر ، فرفع بكفه منه فقال :

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٢٢/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣٩/١٠ ـ ٤٠ .
(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣٨٩/٢/٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٤٩/٦ ـ ٣٥٠ .
(٣) ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢/ورقة ٢٤٣ أ .
(٤) المصدر السابق مجلد ٢/ورقة ٣٠٧ أ .
(٥) المصدر السابق مجلد ١٨/ورقة ١٧٥ب .
(٦) المصدر السابق مجلد ١٩ / ورقة ٢٤٧ ب .
(٧) أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ط بيروت) ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م ، ٢٧٧/٥ .

يا مسلمة أترى لو أن رجلا أكل هذا ثم شرب عليه الماء ـ فان الماء على التمر طيب ـ أكان يجزيه الى الليل ؟ قلت لا أدرى فرفع أكثر منه قال : فهذا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى ما يبالى أن لا يذوق طعاما غيره . قال فعلام ندخل النار ؟ قال مسلمة فما وقعت منى موعظة ما وقعت هذه " (١) .

وقد أوضح عمر هذا صراحة فى حديثه مع ميمون بن مهران الذى قال : كنت سامرا عند عمر بن عبد العزيز فسألته " ما بقاؤك على ما أرى أنت بالنهار فى حوائج الناس وأمورهم ، وأنت معنا الآن ، ثم الله أعلم ما تخلو عليه .

قال فعدى عن جوابى وقال :
يا ميمون ، انى وجدت لقى الرجال تلقيحا لألبابهم " (٢) .

كما أنه لم يخل على عامة رعيته بعلمه وموعظته اياهم فهو خليفتهم والمسئول عن كل صغيرة وكبيرة لهم أمام الله لذا رأى لزاما عليه تذكير من غفل وتفقيه من لم يعلم منهم بواجباتهم أمام أنفسهم ، وأمام الله ، ولم يدع ذلك يفوته أبدا حتى فى أحلك ظرف كان يعيشه ، وهو لحظة دفنه ولده ، فيروى ابن الجوزى " أن عمر بن عبد العزيز رأى وهو يدفن ابنه عبد الملك رجلا يشير بشماله فقال يا هذا ، اذا تكلمت فلا تشر بشمالك ، أشر بيمينك فقال الرجل ما رأيت كاليوم رجلا دفن أعز الناس اليه ثم انه يهمه شمالى ويمينى فقال عمر اذا استأثر الله بشىء قال عنه "(٣) .

وفى رواية أخرى " قال رجل لعمر بن عبد العزيز وهو فى قبر ابنه آجرك الله يا أمير المؤمنين ـ وأشار بشماله فقال له عمر يا عبد الله أشر بيمينك فقال الرجل أما فى موت عبد الملك ما يشغلك عن نصيحة المسلم " (٤) .

---

(١) المصدر السابق : ٥/٢٧٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٧١ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٦٥ .

وتجلى هذا أيضا فى خطبه المتعددة نذكر بعضها على سبيل المثال :

قال : " يا أيها الناس انما أنتم أغراض تنتقل فيها المنايا ، انكم لا تؤتون نعمة الا بفراق أخرى ، وأية أكله ليس معها غصة ، وأية جرعة ليس معها شرقه ، وان أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه ، وخلف فى أيديكم حكمته ، وأن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن ، وان غدا آت بما فيه ، وأين يهرب من يتقلب فى يدى طالبه ! انه لا أقوى من طالب ، ولا أضعف من مطلوب انما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم فى غير هذه الدار ، انما أنتم فروع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله " (١) ويروى أنه خطب الناس بالشام مرة فتكلم بثلاث كلمات قال :

" أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق له فى الموت والسلام عليكم ". (٢)

ولم يكتف عمر بأمثال تلك الخطب، بل كان يكتب الى أهل الأمصار يعظهم ويذكرهم بواجبهم أمام الله ، الذى أنعم عليهم ، ومن ذلك ما يروى عن عدى ابن أرطاة ، الذى كتب اليه يقول : " قد أصاب الناس من الخير خير حتى لقد خشيت أن يبطروا . قال فكتب اليه عمر :

ان الله تبارك وتعالى حين أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار رضى من أهل الجنة بأن (قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) (٣) فمر من قبلك أن يحمدوا الله ". (٤)

وكتب الى أهل الأمصار فى الزلزلة يقول :

" ان هذه الرجفة شئ يعاتب الله به العباد . وقد كنت كتبت الى أهل بلد كذا وكذا أن يخرجوا يوم كذا وكذا فمن استطاع أن يتصدق فليفعل ، فان الله عز وجل يقول (قد أفلح من تزكى) (٥) وقال: قولوا كما قال أبوكم آدم : (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (٦) وقولوا كما قال نوح : (والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) (٧) ، وقولوا كما قال موسى : (رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى) (٨).

---

(١) الأصبهانى : حلية الأولياء ٥/ ٢٦٥ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٦٥ .
(٣) آية رقم ٧٤ من سورة الزمر .
(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٨ .
(٥) آية رقم ١٤ من سورة الأعلى .
(٦) آية ٢٣ من سورة الأعراف .
(٧) آية ٤٧ من سورة هود .
(٨) آية ١٦ من سورة القصص ، وانظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٨

جهود عمر بن عبد العزيز فى تدوين السنة :

وقبل أن أنتهى من هذا المبحث ، لابد أن أنوه بالجهود المشكورة التى بذلها عمر فى جمع الحديث النبوى وتدوينه صيانة له وحفظا من الضياع ، ذلك التدوين الذى يعتبر امتدادا لما بدأه أبوه عبد العزيز ابن مروان ، وفى هذا المقام أشير الى أن ذلك لم يكن أول مرة يكتب فيها الحديث النبوى وانما بدأت كتابته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

فوجه دعوة عامة لجميع أفراد الرعية الاسلامية قال فيها : " أيها الناس قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب " [2] ، ثم أردف هذا بكتب أخرى بعث بها الى الآفاق شرح من خلالها للناس سبب أمره هذا قال عبد الله بن دينار : " كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه واحفظوه فانى أخاف دروس العلم وذهاب العلماء " [3] ، وقد خص أهل المدينة بهذا لأنها مهبط الوحى وسكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام كما كان لايزال عدد من صحابة رسول الله أحياء يرزقون بها الى جانب تلامذتهم من التابعين فأرسل اليهم يقول :

" أن أنظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه ... ، فانى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله " [4] .

---

(١) انظر ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله (ط بيروت) ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م ٧٠/١ ـ ٧١ .

(٢) الأصبهانى : حلية الأولياء ، ٣٤٢/٥ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٩/٩ .

(٣) الأصبهانى : ذكر أخبار أصبهان (ط ليدن) ١٩٣٤م ، ٣١٢/١ .

(٤) أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ) : تقييد العلم تحقيق يوسف العش طبع بدون مكان الطبع ١٩٧٤م ، ص ١٠٦ وانظر الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى (ت ٣٦٠هـ) : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى تحقيق محمد عجاج الخطيب (ط بيروت) ١٣٩١هـ ـ ١٧٧١م ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

ولم يقف الأمر به عند هذا الحد انما تعداه الى أمر الخاصة من أفراد الأمة الاسلامية الأكفاء للقيام بهذا الأمر الجليل ، ولهذا أرسل الى عامله على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقول : " انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء " (١) ، وفى رواية أخرى عن عبد الله بن دينار قال : " كتب عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه فانى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله " . (٢)

وأردف كتابه هذا بكتاب آخر جاء فيه : " اكتب الى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحديث عمر " (٣) . وتنفيذا لأمر عمر بن عبد العزيز كتب ابن حزم كتبا لم تصل لعمر لوفاته قبل ارسالها اليه . (٤)

وكذلك وجه عمر أمره هذا الى عدد من العلماء غير ابن حزم منهم ابن شهاب الزهرى ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال الزهرى : " أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفترا " . (٥)

---

(١) ابن حجر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ط مصر) ١٣٩٠ هـ ، ١٩٥/١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٨٧/٢ ، والخطيب : تقييد العلم ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى (ت ٢٥٥ هـ) السنن بدون مكان الطبع ولا سنته ١٢٦/١ .

(٤) السيوطى : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (ط بيروت) بدون سنة الطبع ص ٥ .

(٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ٩١/١ — ٩٢ .

وقد عقب الزهري على هذا فقال : " كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين " (١) ، وكان عمر بن عبد العزيز — كما سيأتي ذكره — قد أمر ابن شهاب الزهري أن يكتب اليه مصارف الزكاة الثمانية ووجوه صرفها فكتبها له .

وقد ساعد على هذا أن عمر بن عبد العزيز كان أول خليفة جعل في بيت المال نصيبا لأصحاب الحديث ، حيث أمر واليه على حمص أن يأمر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يلهيهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وفي رواية أخرى أنه كتب الى عماله أن يجروا على طلبة العلم الرزق ويفرغوهم (٣) .

هذا بالنسبة لحياة عمر بن عبد العزيز العلمية والتي اكتفيت منها بهذا القدر والتي أعلم بأني مهما كتبت وأوضحت فلن أفي صاحبها حقه لما كان يتمتع به من سمو علمي وفكري .

قال النووي في شأن عمر :

" أجمع العلماء على جلالة عمر ، وفضله ، ووفور علمه ، وصلاحه ، وزهده وورعه ، وعدله ، وشفقته على المسلمين ، وحسن سيرته فيهم ، وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله ، وحرصه على اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين ، وهو أحد الخلفاء الراشدين ، ومناقبه أكثر من أن تحصى " . (٤)

---

(١) المصدر السابق ١/ ٩٢

(٢) الخطيب : شرف أصحاب الحديث تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي (ط انقرة) ١٩٧١م ، ص ٦٤ .

(٣) عبد الحي الكتاني (ت ؟) نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الادارية (ط الرباط) ، ١٣٤٧ هـ ، ١/ ٣٩٥ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ١٧

المبحث الثالث

" حياتـــه الاجتماعيـة "

زوجات عمر ، وأبناؤه :

أما بالنسبة لحياة عمر بن عبد العزيز الاجتماعية ، فقـــد ظل عمر في المدينة مكبا على دروس العلم ، حيث " ... قعد مع مشايخ قريـــش وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخـــذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده وقدمه على كثير منهم " (١).

وذلك لاعجابه بخلقه وعلمه ولا غرو في ذلك فلم يؤثر أن أحدا من بني عمومتـــه حذا حذوه في هذا المضمار ، وآية هذا الاعجاب أن زوجه عبد الملك من ابنتـــه فاطمة ، فيروى ابن الجوزي أن عبد الملك قال لعمر : " قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك فقال وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزلت العطية وكفيت المسألة " (٢).

وقد صادف هذا العرض هوى في نفس عمر ، التي كانت تتوق للزواج منها (٣) وفاطمة هذه هي التي قال فيها الشاعر وضاح اليمن :

بنت الخليفة والخليفة جدهـــا أخت الخلائف والخليفة زوجهـــا

ولم يعرف لامرأة غيرها أن اجتمعت لها هذه الصفات ، الى جانب ما كانـــت تتمتع به من حسن وجمال (٤)، روت عن زوجها عمر ، وروى عنها المغيرة بن حكـــيم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١٩٣.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ ، وانظر ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٩/ ورقة ٢٤٨ أ ، والسيوطي : تاريخ الخلفـــاء ص ٢٢٩ .

(٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأنبـــاء أبناء الزمان تحقيق احسان عباس (ط بيروت) طبع بين عامي ١٩٦٨ - ١٩٧٢ م ، ٢/ ٣٠١

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١٩٣ ، وانظر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني : (ت ٣٥٦) ، كتاب الأغاني (ط/ بيروت) ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م : ٦/ ٤٠ .

الصنعانى اليمانى ، وعطاء بن أبى رباح ، وأبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهــــرى ، ومزاحم مولى عمر ، وزخر مولى مسلمة بن عبد الملك [١] .

كما كانت مثال الزوجة الطائعة الصابرة المحتسبة . وقد أثمر هذا الـــزواج المبارك ولدين هما : اسحاق ، ويعقوب [٢] .

ولم تكن فاطمة هى الزوجة الوحيدة لعمر ، بل كانت له عدة زوجات غيرها ، منهن لميس بنت علي بن الحارث بن عبد الله بن الحصين ذى الغصة الحارثيــــة ، وله منها عبد الله ، وبكر ، وأم عمار .

ومن زوجاته أيضا أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن الأصبغ ، وله منها ولـــده ابراهيم .

ويضيف ابن سعد الى ما تقدم ، أنه كان له أيضا زوجة أم ولد كان له منهــا أبناؤه : عبد الملك ، والوليد ، وعاصم ، ويزيد ، وعبد الله ، وعبد العزيز ، وزبان وآمنه ، وأم عبد الله [٣] .

وقد اتفق ابن عساكر مع ابن سعد فى أسماء بعض أولاد عمر ، وانفرد بذكـــر البعض الآخر فاتفق معه بأن له من الولد اسحاق ، ويعقوب ، وابراهيم ، وعبد الملـــك والوليد ، وعاصما ، ويزيد ، وعبد الله ، وعبد العزيز ، وآمنة ، وأم عبد الله [٤] وانفرد باضافـــة

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٩/ورقة ٢٤٧ ب ، ٢٤٨ أ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٩/ورقة ٢٤٨ أ .

(٣) الطبقــــات : ٥/ ٣٣٠ ، ابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٥ .

(٤) تاريـــــخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٩/ورقة ٢٤٨ أ ، ومجلد ٨/ورقة ٣٢٧ ب .

بشر [١] ، وحفص [٢] ، وأصبغ [٣] ، وادريس [٤] ، ومحمد [٥] .

تربية أولاده :

وكما كان عمر عظيما فى علمه ، كان أيضا عظيما فى تربية أولاده ، وتنشئتهم التنشئة الصالحة ، ونستشفه ذلك من طريقته فى تربيتهم ، ومن خلال رسائله الموجهة لمن وكله بتأديبهم ، ورسائله اليهم ، فلم يرغب عمر أن ينشأ أولاده فى نعيم وترف ، فيجرفهم تيار المجون والدعة عن اكتساب العلوم ، بغية مرضاة الله عز وجل ، ولهذا عمل على أن يخشوشنوا ، فيروى ابن عساكر عن رجاء بن جميل الايلى أنه قال : " وكان عمر بن عبد العزيز يبدى [٦] ولده عندنا بالمدينة وكان يأمر قيمة عليهم يكسوهم الكرابيس [٧] والبتوت [٨] واذا حملهم من منزلهم الى منزل حملهم على الحمر الاعرابية " [٩] .

كما عهد بتأديبهم الى مولاه سهل [١٠] ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل له رسالة أوضح له فيها الطريقة المثلى التى يجب عليه الالتزام بها فى تربيتهم .

---

(١) المصدر السابق مجلد ٣/ ورقة ١٧٣ ب .
(٢) المصدر السابق مجلد ٥ / ورقة ١٩١ أ .
(٣) المصدر السابق مجلد ٣/ ورقة ٣٢ ب .
(٤) المصدر السابق مجلد ٢/ ورقة ٣٠٧ أ
(٥) المصدر السابق مجلد ١٥/ ورقة ٣٨٩ أ .
وراجع الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥/١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٦) البداوة خلاف الحضر وتبدى أقام بها وتبادى تشبه بأهلها ، راجع محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧ هـ) القاموس المحيط (ط. مصر) ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م ، ٤/٣٠٤ .
(٧) الكرباس بالكسر الثوب من القطن الأبيض . المصدر السابق ١/١٤٧ .
(٨) البيت هو : الطيلسان من خز ونحوه . المصدر السابق ٢/٢٥٤ ، وفى مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر من عبد القادر الرازى (ت ٦٦٦ هـ) (ط بيروت) بدون سنة الطبع ص ٥٦٦ الثوب الخشن .
(٩) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٥١ أ .
(١٠) هو سهل بن صدقة مولى عمر بن عبد العزيز روى ابن المبارك عن أبى الصباح الايلى عنه انظر : ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/١/١٩٩ .

ليكونوا رجال الغد الصالحين الطائعين لله في كل ما أمرهم ، فكتب اليه يقول :
" من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى سهل مولاه . أما بعد فاني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي فصرفتهم اليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة بي، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لاقدامهم ، وترك الصحبة ، فان عادتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك فان كثرته تميت القلب ، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فانه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت العشب الماء ، ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن ، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته فاذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج الى الغرض [1]حافيا فرمى سبعة أرشاق [2] ثم انصرف الى القائلة [3] فان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول يا بني قيلوا فان الشياطين لا تقيل " [4].

ومن هذه الرسالة تبين لنا الأسس والمبادئ السمحة التي اعتمدها عمر بن عبدالعزيز في تربية أولاده ، والتي استنبطها من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الأسس التي ساد بها الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفقوا يفتحون أرجاء الأرض ، ينشرون رسالة السماء ، فكان من نتاجها

---

(١) الغرض : الهدف الذي يرمى فيه ، الرازي : مختار الصحاح ص ٤٧٢ .

(٢) أرشاق : مفردها الرشق وهو الرمي بالنبل، المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٣) القائلة : الظهيرة وقد يكون بمعنى القيلولة وهي النوم في الظهيرة ، نفس المصدر ص ٥٥٨ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

حضارة راقية اعترفت لها الدنيا بالسيادة قرونا من الزمن ، فما أحوجنا نحن الآن الى هذه المبادئ ، خاصة ونحن فى زمن كثرت فيه الملاهى والمفاسد فى تربية أولادنا ، ليعيدوا مجد آبائهم وأجدادهم . ولم يكتب عمر بن عبد العزيز أيضا بهذا المؤدب الذى اختاره لهم ، بل عهد بتأديبهم كذلك الى أستاذه صالح بن كيسان (١) .

كما أشرف بنفسه على تلقينهم كتاب الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء تواجدهم معه فيروى أنه كان يأذن لأولاده بالدخول عليه كل يوم جمعة قبل أن يأذن للناس ، يتذاكر معهم كتاب الله عز وجل " فاذا قال أيها قرأ الأكبر منهم ثم اذا قال أيها قرأ الذى يليه حتى يقرأ طائفة منهم " (٢) .

كما كان لا يدع الفرصة تفوته فى تنمية روح الفضيلة والتسامح عندهم ، فيروى أنه قال مرة لابنه عبد العزيز : " اذا سمعت كلمة من امرىء مسلم فلا تحملها على شىء من الشر ما وجدت لها محملا على الخير " (٣) . كذلك عمد الى مراقبة كل تصرف من تصرفاتهم ، وقاسه بمقياس الاسلام ، فان وجد فيهم اعوجاجا عن جادة الحق قومهم ومن هذا القبيل يروى ابن الجوزى أن عمر بن عبد العزيز بلغه مرة أن أحد أبنائه اتخذ خاتما واشترى لهذا الخاتم فصا بألف درهم فكتب اليه عمر يقول :

" أما بعد فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتما من حديد صينى واكتب عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه (٤).

هذا من ناحية التربية والتعليم ، أما من ناحية معاملته لهم فقد حرص على العدل بينهم لكى لا يثير فى نفوسهم الحقد والبغضاء ، لأنه كان مراقبا لله فى نفسه ،

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١٤٨/١ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢/ورقة ٢٤٣ أ .

(٣) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٥ .

وفى كل عمل يقوم به ، ومن أجل ذلك نراه يخشى أن يكون ايثاره لابن الحارثية ونومه معه جورا فتركه وفى هذا الصدد يروى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال :

" كان عمر بن عبد العزيز له ابن من امرأة من بلحارث بن كعب وكان يحبه وينام فى بيته ، قال : فتعرضت له ذات ليلة ، فقال : أعبد العزيز ؟ قلت : نعم . قال: شر ما جاء بك ؟ ادخل . فدخلت فجلست عند شاذ كونته (١) ، وهو يصلى ... فأتانى فقال : مالك ؟ فقلت : ليس أحد أعلم بولد الرجل منه ، وانك تصنع بابن الحارثية مالا تصنع بنا ، فلست آمن أن يقال ما هذا الا من شىء تراه عنده ولا تراه عندنا . فقال : أعلمك هذا أحد ؟ فقلت : لا . قال : فاقعد على . فأقعدت عليه . فقال : ارجع الى بيتك . فرجعت فكنت أنا وابراهيم وعاصم وعبد الله نهيت جميعا . فاذا نحن بفراش يحمل ، وتبعه ابن الحارثية .

فقلنا : ما شأنك ؟ قال : شأنى ما صنعت بى قال : كأنه خشى أن يكون جورا " . (٢)

وكما حرص على المساواة بين أبنائه فى المنام معهم ، لم يسمح للهوى أن يغلب عليه فيزين له أولاده فى عينيه ، فيحابيهم ويؤثرهم على حساب الناس من غير حق ، ولهذا أصر على عدم توليتهم أمرا من أمور الناس لئلا يحابيهم الناس دون حق أو يلقوا منهم ظلما باسم السلطان فيروى أن عمر بن عبد العزيز قال لأولاده :

" كيف أنتم اذا أنا وليت كل رجل منكم جندا ؟ فقال ابنه ابن الحارثية : لم تعرض علينا أمرا لا تريد أن تفعله ؟ قال : أترون بساطى هذا ؟ انه لصائر الى بلى ، وانى أكره أن تدنسوه بخفافكم فكيف أرضى لنفسى أن تدنسوا على دينى ؟! " (٣) .

وهكذا رسم عمر بن عبد العزيز لأولاده النهج القويم ليسيروا عليه ، وكان هو نفسه أسوة حسنة تأثروا به وأثروا به واكتسبوا من علمه وفضله وأخلاقه ما انعكس عليهم

---

(١) شاذكونته : ثياب غلاظ مضربه تعمل باليمن ، راجع الفيروز آبادى : القاموس ٢٤١/٤ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢٠/ورقة ١٩٠ ب .

(٣) الأصبهانى : حلية الأولياء ٥/ ٣١٤ ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٤ . بزيادة وهى : أولى كل رجل منكم جندا فينطلق تصلصل به جلاجل البريد .

في حياتهم فيما بعد فهذا ابنه عبد الملك قد امتلأ صدره علما وفقها ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغدا من أنسك الناس وأعبدهم ، لا يخشى في الله لومة لائم ، وعندما تولى أبوه عمر الخلافة ، كان في المدينة وقتها فحزن أشد الحزن لذلك وتمنى لو أن الله من عليه بسماع نبأ موته على استخلافه [١] ، وذلك من عظم ما ألقى على كاهل والده من مسئولية كبيرة أمام الله ، ولهذا رأى أن بر والده يوجب عليه العودة الى الشام ، ليكون بجانبه ، يساعده في تحمل هذه المسئولية بموعظته وتنبيهه كلما دعت الضرورة ولهذا ، فكان لوالده بمثابة الوزير الصالح والبطانة الخيرة . [٢]

وقد بلغ عبد الملك بتقواه وزهده وطاعته لوالده أن وصفه النووي بأنه كان من أبر أهل زمانه بوالده . [٣] كما كان عبد الملك أثيرا لدى والده عمر دون سائر اخوته لما علمه من زهده وتقواه وعقله .

قال الأصبهاني : " غضب عمر بن عبد العزيز يوما غضبا شديدا وكان فيه حدة — وعبد الملك ابنه حاضر — فلما سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذى وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه فقال أما تغضب يا عبد الملك ؟ قال ما تغني سعة جوفي ان لم أردد فيها الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه [٤] " .

مختصر من سير الملوك

(١) عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي (ت ٧١٧ هـ) : الذهب المسبوك × تحقيق مكي السيد جاسم (ط بغداد) بدون سنة الطبع ص ٢١ ، النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١٩/٢/١ ، ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٥٨ .

(٢) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١٩/٢/١ .

(٣) المصدر السابق ١٩/٢/١ .

(٤) حلية الأولياء ٣٥٨/٥ ، وانظر ابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦٠ .

وقد توفى عبد الملك فى خلافة أبيه ، على أثر اصابته بالطاعون .[1] ولا بأس اذا نحن قد اسهبنا بعض الشيء فى الحديث عن عبد الملك وذلك لعظم مواقفه مع أبيه وتأثيره فيه لمعايشته أباه أثناء الخلافة بما لم تسمح لاخوته الظروف بمثله وذلك لموت أبيهم وهم لا يزالون صغارا أو كلهم أبوهم الى الله فلم يخيب الله أمله ورجاءه .[2]

فأما ولده عبد الله فقد أمدتنا كتب التاريخ بعجالة عن حياته السياسية دون الاشارة الى حياته العلمية ، أو الى سنة ولادته ، أو حتى أمه هل هى لميس بنت الحارث ؟ أو هى أم ولد ؟ واكتفت بالقول ؛ بأنه روى عن والده عمر بن عبد العزيز وروى عنه شعبة[3] ، وعندما كبر وبلغ مبلغ الرجال ، كان شجاعا ، ولاه يزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٢٦ هـ) العراق فى سنة ست وعشرين ومائة وذلك لحب أهل العراق لأبيه عمر بن عبد العزيز[4] ، وأثناء ولايته احتفر نهرا سمى باسمه ، وقد أراد أهل البصرة المبايعة له بعد يزيد بن الوليد[5] ، الا أن مروان بن محمد عزله عن العراق فى سنة ثمان وعشرين ومائة ، وولاها يزيد بن عمر بن هبيرة[6] ، وسجنه بحران حيث هلك هناك فى وباء وقع فيها فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة .[7]

أما ولد عمر الثالث فهو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (ت ؟) وأمه أم ولد[8]

---

(١) الأصبهانى : حلية الأولياء ٣٥٤/٥ ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٥٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢١٠/٩ .

(٣) البخارى : التاريخ الكبير ١٤٥/٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٠ أ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٧٦/٧ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ٣٠٢/٥ .

(٥) الأربلى : الذهب المسبوك ص ٢١ .

(٦) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٨٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ٤٢٢/٥ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ٣٣٠/٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٠/ورقة ١٨٩ ب ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٥ .

روى عن أبيه عمر بن عبد العزيز [١] ، وعن غيره من التابعين مثل : الربيع بن سبرة ، ومكحول ، وقزعة بن يحيى وغيرهم ، وروى عنه شعبة ، ويحيى القطان ، وابراهيم بن عبلة ، ووكيع وغيرهم من الأئمة ، وثقة أكثر أئمة الحديث منهم يحيى بن معين ، وابن حبان ، والنسائي ، وأبو داود ، وروى له كل من البخاري ، ومسلم ، بينما قال عنه ابن حنبل ، ليس من أهل الحفظ والاتقان [٢] .

هذا بالنسبة لحياته العلمية ، أما بالنسبة لحياته السياسية ، فقد ولاه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف في سنة ست وعشرين ومائة [٣] ، وأقره عليها مروان بن محمد ، ثم عزله عنها في سنة تسع وعشرين ومائة ، وولى مكانه عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان [٤] .

وتوفي عبد العزيز رحمه الله بعد سنة سبع وأربعين ومائة للهجرة [٥] .

ومن أولاد عمر بن عبد العزيز أيضا :
عاصم ، وأمه أم ولد [٦] ، روى عن أبيه عمر ، وروى عنه برد أبو العلا ، وحماد بن يحيى الأبح ، وأبو بكر بن محمد بن عياش [٧] .

وقد قتل عاصم في بعض فتن الضحاك في العراق سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة أثناء ولاية أخيه عبد الله عليها [٨] .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٠أ ، ابن حجر تهذيب التهذيب ٤٧٦/٧ .
(٢) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ٣٠٦/١/١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٤٩/٦ ــ ٣٥٠ .
(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٧٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٥٠/٦ .
(٤) خليفة بن خياط تاريخ ص٤٠٦ ــ ٤٠٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٠/ورقة ١٩١أ .
(٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٨/ورقة ٣٢٧أ ، ابن حجر تهذيب التهذيب ٣٥٠/٦ .
(٦) ابن سعد : الطبقات ٣٣٠/٥ ، ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٥ .
(٧) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣٤٦/٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٠/ورقة ٣٢٧أ .
(٨) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٧٧ .

أما بقية أولاد عمر بن عبدالعزيز فلم يحظوا بمثل هذه الترجمات فى كتب التاريخ الا ابن عساكر ويبدو أن سبب ذلك يرجع الى ضعف دورهم العلمى والسياسى فى تلك الفترة ، وسأورد ما ذكر عنهم :

فابنه ابراهيم ذكر عنه ابن عساكر أنه " ابراهيم بن عمر بن عبدالعزيز ... سمع أباه وابن شهاب روى عنه بشر بن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز والليث بن سعيد وعبدالله بن لهيعة ... وأمه أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن الاصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب " . (١)

أما ابنه ادريس فذكر ابن عساكر أنه : " ادريس بن عمر بن عبدالعزيز ... حدث عن أبيه روى عنه ابنه خلف بن ادريس " . (٢)

و " يزيد بن عمر بن عبدالعزيز ... حدث عن أبيه عن أبى سلمة ... روى عن معاوية بن اسحاق وأبى عائشة السعدى وذكره أبو محمد بن حزم وقال كان له عقب " . (٣)

أما " محمد بن عمر بن عبدالعزيز ... حكى عن أمه فاطمة بنت عبدالملك حكى عنه مقاتل مولى أبيه " . (٤)

وأما بشر فهو " بشر بن عمر بن عبدالعزيز ... فى الطبقة الخامسة " (٥) . وبالنسبة لباقى أولاد عمر مثل الوليد (٦) ، وحفص (٧) ، وأصبغ (٨) ، واسحاق (٩) ، فاكتفى

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢/ورقة ٢٤٣ أ .

(٢) المصدر السابق مجلد ٢ /ورقة ٢٠٧أ .

(٣) المصدر السابق مجلد ١٨/ورقة ١٧٥ ب .

(٤) المصدر السابق مجلد ١٥ /ورقة ٣٨٩أ .

(٥) المصدر السابق مجلد ١٣/ ورقة ١٧٣ ب .

(٦) المصدر السابق مجلد ١٧/ورقة ٤٤٣ ب .

(٧) المصدر السابق مجلد ٥/ورقة ٩١ أ .

(٨) المصدر السابق مجلد ٣/ورقة ٣٢ ب .

(٩) المصدر السابق مجلد ٢/ورقة ٣٨٩ ب .

ابن عساكر بقوله عن كل منهم بأن له ذكرا وعقبا .

بيتـــه :

لقد كانت حياة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ملائمة وموافقة لما كان عليه من الزهد والتعلق بالآخرة ، فقد عاش عمر بعد استخلافه حياة تختلف كل الاختلاف عما كان يحوساه قبلها وانعكس ذلك أيضا على أهله .

فمثلا لم تذكر لنا المصادر شيئا عن بيت شيدة عمر لسكناه كما فعل بعض خلفاء بنى أمية ، الا أنه ورث عن والده عبد العزيز رحمه الله داره التى فى دمشق الملاصقة للجامع الأموى (1) ، ويبدو أنها كانت دارا متواضعة بدليل أن المصادر لم تذكر وصفا لها لكونها كباقى بيوت العامة فى ذلك الوقت ، ولو أنها كانت أكثر من ذلك لحظيت بوصف المؤرخين لها ، كما وصفوا قصور الخلفاء الآخرين .

وقد ظل عمر فى منزلة هذا بعد أن أفضت الخلافة اليه ، الا أنه بدلا من زيادة طنافسه وستوره ورياشه ، جرده من كل ما فيه منها وحتى ثيابه وعطره باعها ووضع ثمنها فى بيت المال (2) .

فغدا خاليا من كل ذى بال ، وليس أدل على ذلك مما يرويه ابن عبد الحكم الذى يقول : " وقدمت امرأة من العراق على عمر بن عبد العزيز ، فلما صارت الى بابه قالت : هل على أمير المؤمنين حاجب ؟ فقالوا : لا فلجى ان أحببت ، فدخلت المرأة على فاطمة وهى جالسة فى بيتها وفى يدها قطن تعالجه ، فسلمت فردت عليها السلام ، وقالت لها : ادخلى فلما جلست المرأة رفعت بصرها فلم تر فى البيت شيئا له بال فقالت : انما جئت لأعمر بيتى من هذا البيت الخرب !

فقالت لها فاطمة : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك .

---

(1) المصدر السابق : مجلد ١٠/ ورقة ١٩٤ أ .
النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ٣٠٧ .

(2) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٤ .

فاقبل عمر حتى دخل الدار فمال الى بئر فى ناحية الدار فانتزع منها دلاء صبها على طين كان بحضرة البيت — وهو يكثر النظر الى فاطمة — فقالت لها المرأة : استرى من هذا الطيان فانى أراه يديم النظر اليك . فقالت : ليس هو بطيان هو أمير المؤمنين قال : ثم اقبل عمر فسلم ودخل بيته فمال الى مصلى كان له في البيت ... "(١) .

وقد بلغ بعمر الزهد كراهيته البناء فى داره فيروى أنه :

" كانت لعمر مرقاتان يرقى من صحن داره الى مقر بيته عليهما ، فانقلعت احدى المرقاتين فأتاها رجل من أهل بيته فأصلحها كراهية أن يشق على عمر ، فلما جاء عمر ونظر اليها قال : من صنع هذا ؟ قالوا : فلان قال على به فلما جاء قال : ويحك يا فلان ، أنفست على عمر أن يخرج من الدنيا ولم يضع لبنة ؟ والله لولا أن يكون فساد بعد اصلاح لغيرتها ، الى ما كانت عليه "(٢)

أما فى أثناء ولايته على المدينة فعلى الرغم من ترفه وبذخه لم تكن له دار فيها فقد أثر أنه كان ينزل فى دار مروان(٣) .

<u>لباســـه :</u>

لقد اشتهر عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة بأنه كان " أعظم أموى ترفهـا وتملكا ، غذى بالملك ونشأ فيه ، لا يعرف الا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته فـى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى العمرية فكان الجوارى يتعلمنها مـن حسنها وتبختره فيها ... وكان يسبل ازاره حتى ربما دخلت نعله فيه فيتحامل عليه فيشقه ولا يخلعها ، ويسقط أحد شقى ردائه عن منكبه فلا يرفعه ، وتنقطع نعلـه فلا يعرج عليها ، وربما لحقه بها المملـوك فيعنفه ويطبع بخاتمه فتتسخ الطينـة

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٣٣ .

من المنبر ، فلم يزل على ذلك حتى ولى الخلافة !" (١) .

وقال أحدهم يصف طيبه وثيابه :

" كان عمر يذيل ثيابه ويسرف فى عطره ، فلقد كان يدخل فى طيبه حصل القرنفل ، ولقد رأيت المنبر على لحيته كالملح ... " (٢) .

وقال آخر : " رأيته فى المدينة وهو أحسن الناس لباسا ، ومن أطيب الناس ريحا ومن أخيل الناس فى مشيته" (٣) .

وكذلك كان حاله أثناء توليه المدينة فيذكر ابن عبد الحكم :

" أن عمر عندما تولى المدينة سار أحسن سيرة ، وكان مع ذلك يصف ريحه ويرخى شعره ، ويسبل ازاره ، ويتبختر فى مشيته وهو مع ذلك لا يغمز عليه فى بطن أو فرج ولا حكم " (٤) .

وقال آخر : " كان عمر ... من أعطر قريش وألبسها " (٥) ، فقد كان يتخير أغلى الثياب وألينها ويستخشنها رغم غلائها ، قال حجاج الصواف : " أمرنى عمر .... وهو وال على المدينة أن أشترى له ثيابا فاشتريت له ثيابا فكان فيها ثوب بأربعمائة ، فقطعه قميصا ثم لمسه بيده فقال : ما أخشنه وأغلظه !" (٦) .

كما كانت له مرجلة ترجل له شعره فيروى " أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوما فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال : كانت مرجلتى تسكن شعرى ، فقال له : قدمت ذلك على الصلاة ؟ وكتب الى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق رأسه " (٧) .

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٢ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٣٢ .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٣٤ .

(٦) المصدر السابق ٥/٣٣٤ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٩٣ .

وقد بلغ به حرصه على التنعم حدا جعله يقول : " لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لى عن كسوتى ، وما لبست ثوبا قط فرآه الناس على الا خيل الى أنه قد بلى " (١) .

ولكن هل بقى حال عمر هكذا بعد توليه الخلافة ؟

وللجواب على ذلك نقول : لقد أجمع المؤرخون على أن عمر ترك كل هذه الحياة المرفهة المترفة وتلك الزينة ليتمتع بما عند الله بعد الموت ، عقب احساسه بالمسئولية ، وبدلا من أن يلبس أغلى الثياب ، أصبح يبحث عن أرخصها ، حتى أن الثوب الذى كان ثمنه دراهم قليلة صار يصفه بالغلاء ، ولين الملمس . يروى ابن عبد الحكم أنه :

" أتاه رجل فأمره أن يشترى له كساء بثمانية دراهم فاشتراه له فأتاه به فوضع يده عليه وقال : ما ألينه ! وأعجبه ، فضحك الرجل الذى اشتراه . فقال له عمر : انى لأحسبك أحمق ، أتضحك من غير شئ ؟ فقال : ماذاك بى ولكنك أمرتنى قبل ولايتك أن أشترى لك مطرف خز، فاشتريت لك مطرفا بثمان مائة درهم ، فوضعت يدك عليه فقلت :

ما أخشنه ! وأنت اليوم تستلين كساء بثمانية دراهم فعجبت من ذلك وأضحكنى فقال عمر : ما أحسب رجلا يبتاع كساء بثمانمائة درهم يخاف الله عز وجل " (٢).

وروى آخر فقال : أخبرنى رياح بن عبيدة وكان تاجرا من أهل البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز يأمره وهو بالمدينة أن يشترى له جبة خز قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ثم أتيته بها فمسها وقال انى لاستخشنها . فلما ولى الخلافة أمرنى فاشتريت له جبة صوف بدينار ، فأتيته بها ، فجعل يدخل يده فيها ويقول ما ألينها. فقلت عجبا تستخشن الخز أمس وتستلين الصوف اليوم . قال تلك حال وهذه حال " (٣).

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٣) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٠ .

بل أصبحت ثيابه كلها تقوم بدراهم معدودة قال رجاء بن حيوة : " كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وألبس الناس وأخيلهم مشية ، فلما استخلف قوموا ثيابه باثني عشر درهما من ثياب مصر ، كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه وخفاه ورداءه "(١).

كما أصبح لا يملك من الثياب الا ما يستر جسده ، ويعرى اذا غسلت فيروى الأصبهاني عن عطاء أن " عمر ... أخر الجمعة يوما عن وقته الذى كان يصلى فيه ، فقلنا له أخرت الجمعة اليوم عن وقتك ؟ قال : ان الغلام ذهب بالثياب يغسلها فحبس بها ، فعرفنا أنه ليس له غيرها . ثم قال : أما انى قد رأيتنى وأنا بالمدينة وانى لأخاف أن يعجز ما رزقنى الله عن كسوتى فقط ، ثم قال يتمثل :
قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عودة أخرى الليالى الغوابر "(٢).

" وقال أبو أسلم : حدثنى خصى أسود كان لعمر بن عبد العزيز قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فى يوم شات فى داره بدير سمعان(٣) قال : فالفيته قاعدا فى زاوية الدار فى الشمس ، وقد التفع بازاره ووضع أبو أسلم ثوبه على رأسه وجمعه بكفيه من ناحية خديه ، ووضع مرفقيه على ركبتيه ، وقال : هكذا أرانيه الخصى حين وصف فعل عمر فلما دنوت سلمت ، فرد على السلام ، ثم قال لى : انزل فقعدت ثم قال لى انزل فالهمت أنما يريد النعلين فخلعتهما ، فاقول على بالكلام ، فلما أنست كرهت أن أقول له ياسيدى لئلا يجد على قال : فقلت يا أمير المؤمنين ما الذى يقعدك هكذا . قال : غسلت ثيابى قال : فقلت : وما ثيابك يا أمير المؤمنين ؟ قال قميص ورداء وازار ... "(٤).

وبلغ به الزهد فى الدنيا وما فيها أنه لم يعد يملك من الثياب الا المرقوع منها، فيروى سعيد بن سويد " أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فلما فرغ جلس وجلسنا معه ، قال : فقال له رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ، ان الله قد أعطاك فلو لبست وصنعت .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/٤٠٢ وانظر ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥١ .
(٢) حلية الأولياء ٥/٣٢٢ .
(٣) دير سمعان : هو دير بنواحي دمشق ياقوت : معجم البلدان ٢/٥١٧ .
(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٣٤ - ١٣٥ .

فنكس مليا حتى عرفنا أن ذلك قد ساءه ، ثم رفع رأسه فقال : ان أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة " (١).

ولم تصل الحال بعمر الى هذا الحد الا لأنه طلب بالخلافة شرف الآخرة ولهذا نظر بعد استخلافه الى كل ما كان له من عبد أولباس أو عطر وأشياء الفضول فباع منها كل ما له عنه غنى وجعله في سبيل الله " (٢).

وهكذا أصبح عمر بن عبد العزيز بعد أن كان من أعطر رجال قريش وألبسهم من أخشنهم ثوبا ومن أخشنهم عيشا (٣).

وحتى المشية المعروفة به حاول عمر جاهدا تغييرها ، وربما قال لمولاه مزاحم : ذكرني اذا رأيتني أمشيها ، فيذكره ، فيخلطها ثم لا يستطيع الا اياها ، فيعود اليها (٤). لكنه استطاع في النهاية تغييرها قال علي بن بذيمة : " رأيته بالمدينة ... من أخيل الناس في مشيه ، ثم رأيته بعد يمشي مشية الرهبان ، فمن حدثك أن المشي سجية فلا تصدقه بعد عمر " (٥).

وقد انعكس هذا الزهد والتقشف على أهل بيته أيضا ، فمثلا زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، تركت كل ما تملك من الحلي وردته الى بيت المال (٦). كما تركت فاخر الثياب ، روى أن امرأة من المهالبة دخلت عليها ، فلما رأتها ورأت حالها قالت لها هل تهيأ المرأة لزوجها الا بما يحب ؟ قالت : لا . قالت فانه يحب هذا مني (٧) ، كما أصبحت تعالج القطن بيدها (٨) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق ٥/٣٤٥ .

(٣) المصدر السابق ٥/٣٣٤ .

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٢ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٣٣٢ .

(٦) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٧) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٢ .

(٨) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٥ .

وحتى أولاده أيضا صاروا لا يملكون من الثياب الا ما يسترون به أجسادهم .
قال ابن الجوزي " مرت ابنة لعمر بن عبد العزيز ، يقال لها آمنة ، فدعاها عمر : يا آمن ، يا آمن ، فلم تجبه فأمر انسانا فجاء بها فقال ما منعك أن تجيبي قالت اني عارية ، فقال يا مزاحم ، انظر الى تلك الفرش التى فتقناها فاقطع لها منها قميصا ، فذهب انسان الى أم البنين عمتها ، فقال ابنة أخيك عارية وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت اليها بتخت من ثياب ، وقالت لا تطلبي من عمر شيئا " (1).

ويروى " أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى الى أبيه ، وهو خليفة يستكسى أباه ، فقال : يا أبت ، اكسني ، فقال : اذهب الى الخيار بن رياح البصري ، فان لي عنده ثيابا فخذ منها ما بدا لك ، قال : فذهبت الى الخيار ابن رياح ، فقلت : اني استكسيت أبي ، فأرسلني اليك ، وقال ان لي عند الخيار بن رياح ثيابا ، فقال صدق أمير المؤمنين ، فأخرج اليه ثيابا سنبلانية أو قطرية ، فقال : هذا ما لأمير المؤمنين عندي ، فخذ منها ما بدا لك ، قال عبد الله : ما هذا من ثيابي ولا من ثياب قومي ، فقال هذا ما لأمير المؤمنين عندي ، فرجع عبد الله الى أبيه ، فقال : يا أبتاه استكسيتك فأرسلتني الى الخيار بن رياح فأخرج لي ثيابا ليست من ثيابي ، ولا من ثياب قومي . قال فذاك ما لنا عند الرجل ، فانصرف عبد الله ... " (2).

طعامه :

كان المسلمون في بادئ الأمر يقللون من طعامهم تبعا لتعاليم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي كان يقول : " ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه " (3) وقد كان خيراً دسمهم اللحم ، الا أنهم بعد ما فتحوا البلاد واختلطوا بشعوبها تبدلت أطعمتهم ، وتعددت أصنافها (4)،

---

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٥ .
(2) المصدر السابق ص ٢٧٣ .
(3) الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) : المسند (ط بيروت) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ٤/ ١٣٢
(4) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ط القاهرة) ١٩٦٤ م ، ١/ ٥٤١ - ٥٤٣ .

فأقبلوا عليها وترك أكثرهم تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة أصحابه المهديين ، وامتلأت كتب التاريخ بحكايات فيها شيء من المبالغة عن نهم بعض الأشخاص ، ومن بينهم بعض الخلفاء الأمويين .

وعمر بن عبد العزيز كأموي غني كان يأكل في بادئ الأمر ما لذ له وطاب من أصناف الطعام ، حتى امتلأ جسمه وغلظ عنقه ، قال عمرو بن ميمون : " أتيت سليمان بن عبد الملك بهذه الحريرة فرأيت عنده عمر وهو كأشد الرجال وأغلظهم عنقا ، فما لبثت بعد ما استخلف عمر الا سنة ، حتى أتيته فخرج يصلي بنا الظهر.. وقد نحل ودقت عنقه " (١).

وقال يونس بن أبي شبيب " شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت ، وان حجزه ازاره لغائبة في عكنه ، ثم رأيته بعد ما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت " (٢).

فعمر بعد استخلافه زهد في الدنيا كلها وترك كل ما كان فيه ، كما ترك ألوان الطعام ، وقلل منه ، واقتصر فيه على العدس والحمص ، فالأول يرقق القلب ويغزر الدمع ، قال ميمون بن مهران : " قال لي عمر بن عبد العزيز حدثني فحدثته ، فبكى بكاء شديدا ، فقلت : لو علمت لحدثتك ألين منه فقال : انا نأكل العدس وهي ما علمت مرقة للقلب ، مغزرة للدمعة ، مذلة للجسد " (٣). واستمر في أكلهما على الرغم من ايذائهما له ، فيروي ابن سعد أنه كان لعمر بن عبد العزيز " صحابة يحضرونه يميلون برأيهم ، ويسمع منهم، قال فحضروه يوما فأطال الصبح فقال بعضهم لبعض : تخافون أن يكون تغير قال فسمع ذلك مزاحم ، فدخل فأمر من أيقظه ، فأخبره ما سمع من أصحابه ، وأمره فأذن لهم ، فلما دخلوا عليه قال : اني أكلت هذه الليلة حمصا وعدسا فنفخني .

(١) ابن سعد : الطبقات ٤٠٢/٥ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٢ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣٧/٥ .

قال فقال بعض القوم : يا أمير المؤمنين ، ان الله يقول فى كتابه : (كلوا من طيبات ما رزقناكم)[1]. فقال عمر : هيهات ، ذهبت به الى غير مذهبه ، انما يريد به طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام " [2] .

كما أنه لم يكن يجد هذا ولا ذاك ، فكان يتعشى كسرا وزيتا ، قال محمد ابن الزبير الحنظلى : " دخلت على عمر بن عبد العزيز ، أحسبه قال ، ليلة وهو يتعشى كسرا وزيتا . قال فقال : ادن فكل ، قال قلت : بئس طعام المقرور ، قال فأنشدنى :

اذا ما مات ميت من تميم | وسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر | أو الشيء الملفف فى البجاد

وأنشد بيتا ثالثا قافيته :

ليأكل رأس لقمان بن عاد

قال قلت : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أرى هذا البيت فيها ، قال : بلى هو فيها " [3] .

وكان يطعم من هذا الطعام ضيوفه أيضا ، فيروى ابن عبد الحكم عن خصى أسود كان لعمر بن عبد العزيز فيقول : " دخلت على عمر بن عبد العزيز فى يوم شات فى داره بدير سمعان ، قال : فألفيته قاعدا فى زاوية الدار فى الشمس ، وقد التفع بإزاره ... فما كان بأوشك أن جاء عمرو بن مهاجر فقال له : أين كنت ؟ قال : كنت خارجا أدفع مظلمة عن رجل من أهل الكتاب — وكان عمرو بن مهاجر صاحب حرس عمر بن عبد العزيز — فقال : على بفلان ، فما كان بأوشك أن جاء غلام حدث ، فقال : يا فلان ، ائته بغدائه الساعة ، فما كان بأوشك أن أتاه الغلام بصحفة غليظة عميقة ، فيها خبز قد كسر وصب عليه ماء وملح وزيت . فقال : تغده . قال : فلما أخذت بالبطش بالغداء نهض ... فلما جن الليل أذن مؤذن المغرب ، فخرج فصلى ، فكنا أربعة رهط : أنا وعمرو بن المهاجر ، ورجلان من الأنصار

(١) آية " ٨١ " من سورة طه .

(٢) الطبقات ٣٦٧/٥ .

(٣) المصدر السابق ; ٣٧٢/٥ — ٣٧٣ .

من أهل المدينة . فلما صلى وانصرف صعدت أنا والأنصاريان حتى كنا في غرفة ، فما كان بأوشك أن عادت علينا تلك القصعة التي تغدى فيها فاذا فيها ثريد عدس ، وبصل عليها مشقق ، أخرجت الى من يخدمه أو لمن ببابه فقال الخادم : لو كان لعمر عشاء غيره لعشاكم منه وما فطره الاعلى مثل هذا " (١).

ورآه آخر وهو يأكل ثوما مسلوقا بزيت وملح . (٢)

وشهد خادم له " أنه لم يمتلىء من طعام من يوم ولى حتى مات " (٣).

ولم يكن حال أهله بأحسن منه ، فيروى ابن عبد الحكم " وكان عمر يصلى العتمة ، ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن ، فدخل عليهن ذات ليلة فلما أحسسنه ، وضعن أيديهن على أفواههن ، ثم تبادرن الباب . فقال للحاضنة : ما شأنهن ؟ قالت: انه لم يكن عندهن شيء يتعشينه الا عدس وبصل ، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن ، فبكى عمر ثم قال لهن : يا بناتي ، ما ينفعكن أن تعشين الألوان ، ويمر بأبيكن الى النار قال : فبكين حتى علت أصواتهن ثم انصرف " (٤).

وكان هذا أيضا طعام خدمه ، وقد جعلهم تكراره يتأففون منه يقول أبو أمية غلام عمر بن عبد العزيز : " دخلت يوما على مولاتي فغدتني عدسا فقلت كل يوم عدس ؟ قالت : يا بني ، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين " (٥).

كما عجزت به نفقته عن شراء الفاكهة وغيرها من الطعام (٦)، وسبب ذلك أنه كان " لا يأخذ من بيت المال شيئا ولا يجري على نفسه من الفيء درهما ...

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣٤ — ١٣٥ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٤٥/٥ .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٩ .

(٥) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٢ .

(٦) انظر ابن سعد : الطبقات ٣٧٧/٥ ، وابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٤ .

وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كل يوم • فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ؟ فقال : ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى "(١) وقد كان جملة هذا المال حين ولى الخلافة ، وحين توفى ، كما يروى ابنه عبد العزيز بن عمر " قال لى أبو جعفر يعنى أمير المؤمنين ـ كم كانت غلة أبيك عمر حين ولى الخلافة ؟ قلت : اربعين الف دينار • قال فكم كانت غلته لما توفى ؟ قلت أربعمائة دينار ولو بقى لنقصت "(٢) ، وفى رواية أخرى قال : " دعانى أبو جعفر فقال كم كانت غلة عمر بن عبد العزيز حين أفضت اليه الخلافة ؟ ، فقلت خمسين ألف دينار ، قال فكم كانت يوم مات ؟ قلت ما زال يردها حتى كانت مائتى دينار ولو بقى لردها "(٣) .

وهذا الحال جعل الكثيرين يعجبون له وينعتونه بالزاهد ويفضلونه على كل من زهد فى الدنيا ، قال مالك بن دينار(٤) : " الناس يقولون مالك بن دينار زاهد انما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذى أتته الدنيا فتركها "(٥) .

وقال أحمد بن أبى الحوارى : " سمعت أبا سليمان الدارانى وأبا صفوان يتناظران فى عمر بن عبد العزيز وأويس القرنى(٦) قال أبو سليمان لأبى صفوان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس قال له : ولم ؟ قال لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها • قال له أبو صفوان وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر • فقال أبو سليمان لا تجعل من جرب كمن لم يجرب ، ان من جرت الدنيا على يديه ليس لها فى قلبه موقع ، أفضل ممن لم تجر على يديه وان لم يكن لها فى قلبه موقع "(٧) .

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت٣٢٧هـ) العقد الفريد تحقيق أحمد أمين وآخرين (ط القاهرة) ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٥ م ، ٤/٤٣٤

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(٤) هو مالك بن دينار السلمي الناجي مولاه ابو يحيى البصرى التابعي الزاهد اختلف في سنة وفاته . انظر النووى : تهذيب الاسماء واللغات ٢/١/٨٠-٨١ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠/١٤-١٥ .

(٥) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٥ .

(٦) هو اويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادى الزاهد سيد التابعين اصله من اليمن سكن الكوفة (ت ٣٧ هـ) انظر : ابن سعد : الطبقات ٦/١٦١ ، ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ١/١/٣٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب : ١/٤٦ .

(٧) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٥ .

المبحث الرابع
" ولايته علــى المدينة "

عمر والحياة العملية :

ولقد عرف عمر بن عبد العزيز الحياة العملية منذ وقت مبكر ، وتحمل بعض المسئوليات الرسمية في الدولة ، قبل أن يلى الخلافة ، ولا نــرى الا أنه كان موفقا ناجحا في تلك الأعمال .

ولايته على خناصرة :

وكان أول المناصب التي تولاها امارته على خناصرة ، وهــى بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية [١] ، حين ولاه اياه عبد الملك ابن مروان [٢]، وقيل ولاه اياها سليمان بن عبد الملك [٣] ، والأول هو الأرجح لقول أكثر المؤرخين بملازمة عمر لسليمان بن عبد الملك ، أثناء خلافته ملازمة تامة، ويؤيد هذا ما يرويه أبو زرعة الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز قال :

" كانت خلافة سليمان بن عبد الملك كأنها خلافة عمر بن عبد العزيز ، كان اذا أراد شيئا ، قال له : ما تقول يا أبا حفص ؟ [٤].

وقد علل بعض الباحثين سبب تولية عبد الملك لعمر هذه الامارة بقولــه : أن " عبد العزيز بن مروان قد مات ومن ثم صارت ولاية العهد الى الوليد، ومن بعده لسليمان ، ولم يصر لأبناء عبد العزيز وراثة في الخلافة ، وهنا أراد عبد الملك أن يمسح عن عمر حزنه على أبيه ، ويرضيه بعد اقصاء عرقه ، فولاه خناصرة سنة خمس وثمانين ، فأقام عليها عمر واليا ، حتى مات عبد الملك " [٥].

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٢٩٠/٢ .

(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء ٢٩٩/٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٠١/٥ .

(٤) تاريخ : ١٩٣/١ ـ ١٩٤ .

(٥) عبد العزيز سيد الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (ط بيروت ١٩٧١ م ص ٣٨ .

وأضيف الى ما تقدم ما أشرت اليه سابقا وهو أن اعجاب عبد الملك بعمر منذ صغره جعله يوليه هذا المنصب ، ويلاحظ أن أحدا لم يذكر شيئا عن أعمال عمر في هذه الولاية . ويبدو أن ذلك راجع الى عدم أهميتها .

ولايته على المدينة :

أما أهم أعمال عمر قبل الخلافة فهي : ولايته على المدينة ، فقد كان الوليد بن عبد الملك ، يعامله بنفس المعاملة الحسنة التي كان والده عبد الملك يعامله بها من قبل ، ولهذا قام بتوليته امارة المدينة ، بعد أن عزل عنها هشام ابن اسماعيل المخزومي عامل عبد الملك عليها (١) .

وقد اختلف المؤرخون بشأن ولاية عمر على المدينة في أمرين :

الأول سنة توليته اياها ، حيث قال بعضهم :

انه وليها في سنة ست وثمانين للهجرة (٢) .

وقال آخرون : بل تولاها في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين (٣) وهو الأرجح .

الأمر الثاني هو مدى سلطته حينئذ .

فقد برز لي ثلاثة آراء في هذا الصدد ألخصها فيما يلي :

الأول : أنه ولي المدينة فقط (٤) .

الثاني : أنه ولي الحرمين (٥) .

الثالث : أنه ولي المدينة أولا ، ثم اتسعت ولايته لتشمل مكة والطائف في سنة تسعين هجرية قال الطبري : " وكان عمر بن عبد العزيز في هذه السنة

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣١١ ، أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ١/٥١٨ - ٥١٩ ، الطبري : تاريخ ٦/٤٢٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ ب - ١٣٣ أ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٩٤ .

(٢) أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ١/٥١٩ ، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ /ورقة ١٣٢ ب - ١٣٣ أ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٩٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٣١ ، الطبري : تاريخ ٦/٤٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ٤/٥٢٦ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٣١ ، خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣١١ ، وأبو زرعة الدمشقي تاريخ ١/٥١٨ - ٥١٩ .

(٥) أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ) : الأخبار الطوال تحقيق عبد المنعم عامر (ط بغداد) ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ، ص ٣٢٦

عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف " (١). ويؤكد ذلك قول ابن الأثير : " وفى هذه السنة (٩٣هـ) عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة " (٢).

ويبدو أن هذا هو الذى دفع أحد الباحثين الى القول بأن ولاية مكة قد أضيفت الى عمر (٣).

والراجح عندى أن عمر بن عبد العزيز ولى الحجاز كله وانما ذكرت المدينة وحدها باعتبارها كانت قصبة الحجاز ، ومدينة العلم ، وعاصمة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين ، فأطلق لفظ المدينة فاعتبرت المدينة رمزا للحجاز كله .

وكان عمره وقتذاك خمسا وعشرين سنة (٤).

إلا أن عمر بن عبد العزيز أبطأ فى الخروج لتسلم مهام منصبه هذا ، يقول ابن عساكر: " بلغنى أن الوليد بن عبد الملك استعمل عمر بن عبد العزيز على الحجاز كله ، المدينة ومكة ، والطائف، فأبطأ عن الخروج ، فقال الوليد لحاجبه ويلك ، ما بال عمر لا يخرج الى عمله قال : زعم أن له اليك ثلاث حوائج ، قال فعجله على فجاء به الوليد فقال له عمر : إنك استعملت من كان قبلى ، فأنا لا أحب أن تأخذنى بعمل أهل العدوان والظلم والجور ، فقال له الوليد اعمل بالحق وان لم ترفع الينا الا درهما واحدا . قال والحج قد بلغت ما ترى من السن والحال وأشك فى العطاء أن يكون سأله إياه يخرجه للناس " (٥).

---

(١) تاريـــــخ ٤٤٧/٦ .

(٢) الكامل ٥٧٧/٤.

(٣) أحمد زكى صفوت : عمر بن عبد العزيز (ط مصر) ١٩٦٦ ، ص ٣٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٣٣١/٥ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ ورقة ١٣٥ ب ، وابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢ ــ ٣٣ .

وكان عمر بن عبد العزيز يحس أنه يختلف عمن سبقه من الولاة الذين اشتهر عنهم الظلم والجور ، مما جعل الناس يضجون منهم بالشكوى نتيجة عدم التزامهم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما هو فكان يعتقد نتيجة عمق ايمانه ، وشدة ارتباطه بأوامر الله سبحانه وتعالى ، وانتهائه عما نهى عنه أنه سيختلف عنهم في حكمه للناس ، ومن هنا سأل الخليفة أن لا ينظر اليه كما كان ينظر الى من سبقه من الولاة الذين استعملوا الجور في جمع الأموال ، ولقد أقره الخليفة الوليد على ذلك ، حتى انه أعفاه من أن يقدم للدولة أى دخل طالما استعمل العدل في معاملة الناس ، وكان الوليد يثق في أن عمر سوف يحكم بين الناس بالعدل ، وفي هذا يكسب الوليد وتكسب الدولة الأموية محبة الناس ، بعد أن كانوا قد مجوها على عهد الولاة السابقين ، وفي سبيل ذلك فليكن شيء من نقص فيما يأتي الى العاصمة من المال ، طالما أن ذلك نتيجة السيرة العادلة في حكم الرعية . وكان المطلب الثاني لعمر بن عبد العزيز أن يتولى رئاسة موسم الحج معززا طلبه هذا بعمره وحاله ، فأقره الوليد على ذلك .

أما مسألة عمر الثالثة فكانت تتصل بالعطاء ، غير أن ابن عساكر في روايته قد تشكك في احتمال طلب عمر له .

وقد قدم عمر الى المدينة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين للهجرة ، وقد حملت أمتعته على ثلاثين بعيرا ، فنزل دار جده مروان بن الحكم ، ثم دخل عليه الناس فسلموا ، وبعد أن صلى الظهر ، دعا عشرة من فقهاء المدينة (أشرت الى بعضهم في أثناء حديثي عن شيوخ عمر بن عبد العزيز فيما سبق) وهم :

١ ـ عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ) .
٢ ـ أبو بكر بن عبد الرحمن (ت ٩٤ هـ) .
٣ ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت ٩٨ هـ) .
٤ ـ خارجة بن زيد (ت ١٠٠ هـ) .
٥ ـ عبد الله بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٥ هـ) .
٦ ـ سالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦ هـ) .(٢)
٧ ـ سليمان بن يسار (ت ١٠٧ هـ) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢٦/٥ ، ابن العماد : الشذرات ١٣١/١ .
(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى المدني الفقيه العابد الزاهد القدوة أحد العلماء : انظر ابن سعد الطبقات ١٩٥/٥ ، ٢٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٣٤/٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٣٣/١ .

٨ — القاسم بن محمد (ت ١٠٨ هـ)
٩ — أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمه (ت ؟ هـ) .
١٠ — عبدالله بن عامر بن ربيعة (ت ؟ هـ) (١)

فلما حضروا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يخاطبهم :

" انى دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، ما أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم ، أو برأى من حضر منكم ، فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامه ، فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك الا أبلغنى . فجزوه خيرا وافترقوا " (٢).

لقد بين عمر هذه المقالة القصيرة السياسة التى يريد اتباعها خلال فترة ولايته للمدينة وهى :

انه أراد أن يرجع فى حكمه الى مبدأ الشورى الذى استنه الله سبحانه وتعالى لعباده ، ومن أجل تطبيق هذا المبدأ رأيناه كيف أنه رغب الفقهاء فى هذا الأمر ، الذى من أجله دعاهم ، وبين لهم أن الله يجزيهم عليه خيرا ، ثم بين لهم أيضا أنه يريدهم له أعوانا يعينونه على ما فيه خير ، وصلاح ، وحق ، ثم أوضح لهم أنه لن يقضى بأمر مهما صغر الا بعد مشاورتهم به وأخذ رأيهم فيه كلهم أو بعضهم .

---

(١) هو عبدالله بن عامر بن ربيعة العنزى أبو محمد المدنى حليف بنى عدى ولد فى عهد النبى روى عن أبيه وعمر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وروى عنه الزهرى توفى سنة بضع وثمانين ، انظر ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ؛ ٢/٢/١٢٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥/٢٧٠ — ٢٧١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٣٤ ، الطبرى : تاريخ ٦/٤٢٧ — ٤٢٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٢٣ ب ، ابن الأثير : الكامل ٤/٥٢٦ .

ثم انتقل بعد ذلك الى القسم بالله سبحانه وتعالى بأن يخبروه بكل شكـوى تصدر من عامة الناس عليه ، أو على أحد من عماله .

وهكذا بدا أن عمر قد عزم على أن يلتزم بما جاء فى كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يرجع اليهما ثم الى أولى الرأى والعلم .

وهذا ما جعل الكثيرين يشهدون له بحسن سيرته ، وصلاح عمله قال ابن عبد الحكم :

" ولى عمر المدينة فسار بأحسن سيرة ... لا يغمص عليه فى بطن ولا فرج ولا حكم " (١).

وقال مالك بن أنس : " كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب ، فارسل اليه انسانا يسأله ، فدعاه فجاء حتى دخل فقال عمر : أخطأ الرسول : انما أرسلناه يسألك فى مجلسك " (٢).

وسعيد هذا كان لا يأتى أحدا من الخلفاء أو الأمراء (٣) ، الا أنه جاء عمر وذلك تقديرا منه لهذا الحاكم الشاب الفذ ، الذى كان يعمل فى حكمه بالكتاب والسنة .

وشهد آخر على أحكام عمر بن عبد العزيز فى المدينة ، قال الليث : " حدثنى قادم البربرى أنه ذاكر ربيعة بن أبى عبد الرحمن يوما شيئا من قضايا عمر بن عبد العزيز اذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ والذى نفسى بيده ما أخطأ قط " (٤) .

وكان عمر قد ولى على قضاء المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (٥).

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٨٢/٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/٩ .

(٤) المصدر السابق ١٩٤/٩ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٣٣١/٥ .

ومن أهم الأعمال التي قام بها عمر خلال ولايته على المدينة هي :

١ ـ توسعة المسجد النبوي بالمدينة :

جاءه كتاب الوليد بن عبد الملك في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثمانين[١] وقيل سبع وثمانين[٢] للهجرة " يأمره بادخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قدم القبلة ان قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك فانهم لا يخالفونك ، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الأثمان ، فان لك في ذلك سلف صدق ، عمر وعثمان فاقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم الى الثمن ، فأعطاهم اياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يمكث الا يسيرا حتى قدم الفعلة ، بعث بهم الوليد " [٣].

٢ ـ حفر الآبار وتسهيل الثنايا :

وفي ذلك العام أرسل الوليد الى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في المدينة .

٣ ـ عمل الفوارة :

كما أرسل يأمره بعمل الفوارة بالمدينة ، فعملها عمر وأجرى ماءها من ظاهر المدينة وقد بنيت تلك الفوارة في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته ، وعندما حج الوليد وشاهدها أعجبته ، فأمر لها بقوام يقومون عليها . كما أمر أهل المسجد أن يشربوا منها [٤].

---

(١) الطبري : تاريخ ٦ / ٤٣٥ ، أحمد بن اسحاق بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) تاريخ اليعقوبي (ط بيروت) ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٠١ .

(٣) الطبري : تاريخ ٦ / ٤٣٥ ، وانظر ابن الأثير الكامل ٤ / ٥٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٧٤ .

(٤) الطبري : تاريخ ٦ / ٤٣٣ ، وانظر خليفة بن خياط تاريخ ص ٣١١ ، وابن الأثير الكامل ٤ / ٥٣٣ ، هذا وقد جاء في رواية لابن كثير أن الذي أقام الحج في هذه السنة هو نائب عمر على المدينة وقاضيه بها محمد بن عمرو بن حزم ، انظر ابن كثير البداية والنهاية ٩ / ٧٢ ـ ٧٣ .

كما قام عمر بن عبد العزيز على موسم حج عام سبعة وثمانين للهجره (١).

وكذلك عام ثمانية وثمانين للهجره، قال صالح بن كيسان: " خرج عمر بن عبد العزيز ... بعدة من قريش، أرسل اليهم بصلات وظهر للحمولة، واحرموا معه من ذى الحليفه، و ساق معه بدنا، فلما كان بالتنعيم ليقيهم نفر من قريش ... فاخبروه ان مكة قلية الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش، وذلك ان المطر قل، فقال عمر: فالمطلب هاهنا بين، تعالوا ندع الله. قال: فرأيتهم دعوا ودعا معهم، فألحوا في الدعاء. قال صالح: فلا والله ان وصلنا الى البيت ذلك اليوم الا مع المطر حتى كان مع الليل، وسكبت الا السماء، جاء سيل الوادى، فجاء أمر خافه أهل مكه، ومطرت عرفة ومنى وجمع، فما كانت الاعبرا، قال: ونبتت مكة تلك السنة للخصب " (٢).

وقد انتهز عمر بن عبد العزيز فرصة وجود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك بالمدينة للحج فسأله عن خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجابه أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، خطب بمكة قبل التروية بيوم، وخطب بعرفة يوم عرفة، وخطب بمنى الغد من يوم النحر والغد من يوم النفر (٣).

كما أقام عمر بن عبد العزيز الحج في الاعوام التاليه ايضا وهي: عام تسعة وثمانين، وتسعين، واثنين وتسعين (٤).

---

(١) الطبرى: تاريخ ٦/٤٣٧، ابن الأثير: الكامل ٤/٥٣٣، ابن كثير البدايه والنهايه ٩/٧٥.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل ٦/٤٣٧ـ ٤٣٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٥/٣٣١ـ ٣٣٢.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخ ص٣١١ـ٣١٢، الطبرى: تاريخ ٦/٤٤١، ٤٤٧، ٤٦٨، اليعقوبي: تاريخ ٢/٢٩١، ابن الاثير: الكامل ٤/٥٤٠، ٥٤٨، ٥٦٩.

أما في عام ثلاثة وتسعين للهجرة فقد كتب اليه الوليد بن عبد الملك قبل أن يعزله يأمره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير وأن يصب الماء البارد على رأسه، فضربه عمر خمسين سوطا ، وصب عليه ماء باردا في يوم شات ثم وقفه على باب المسجد فمات من يومه (١).

ويكمل ابن كثير بقية الرواية فيقول : " وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان اذا بشر بشيء من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول هذا اذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة الثكلى ، وكان اذا أثني عليه يقول : خبيب وما خبيب ان نجوت منه فأنا بخير .

وما زال على المدينة الى أن ضرب خبيبا فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف واحسان وعدل وصدقة وبر وعتق وغير ذلك " (٢).

نهاية ولايته على المدينة :

اتفق المؤرخون على أن نهاية ولاية عمر على المدينة كانت في عام ثلاثة وتسعين للهجرة ، وقالوا بصدد ذلك : " ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج بأهل عمله بالعراق ، واعتدائه عليهم ، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية ، وأن ذلك بلغ الحجاج ، فاضطغنه على عمر ، وكتب الى الوليد : ان من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ، ولجأوا الى المدينة ومكة ، وان ذلك وهن .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٧٨/٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٧/٩

(٢) البداية والنهاية : ٨٧/٩ .

فكتب الوليد الى الحجاج : أن أشر على برجلين ، فكتب اليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله ، فولى خالداً مكة وعثمان المدينة " (١).

وهكذا تظهر حادثة عزل عمر عن المدينة مدى قوة نفوذ الحجاج في الدولة الأموية ، ولدى خلفائها ذلك النفوذ الذي يجعلهم يأخذون برأيه ومشورته فيعزلون عمر رغم صلاحه .

وهكذا كلف عمر بن عبد العزيز كراهيته للظلم عزله عن ولاية المدينة . ولما خرج من المدينة معزولا ، التفت اليها فبكا ، ثم قال لمزاحم تخشى أن تكون ممن نفت المدينة ، قال ابن كثير : " يعني أن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وينصع طيبها " (٢).

قال مزاحم : وعند خروجنا من المدينة كان القمر في الدبران فكرهت أن أقول ذلك له فقلت : ألا تنظر الى القمر ؟ ما أحسن استواءه في هذه الليلة : فنظر عمر فاذا هو بالدبران فقال : كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالدبران . يا مزاحم انا لا نخرج بشمس ولا بقمر ، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار (٣).

ونزل عمر بن عبد العزيز بمكان قريب من المدينة يطلق عليه السويداء (٤) ،

---

(١) الطبري تاريخ ٦ / ٤٨١ ـ ٤٨٢ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٤ / ٥٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٨٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٣٩٦ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٩٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ .

(٤) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام ، ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٢٨٦ .

حينا من الزمن ، ثم توجه بعدها الى دمشق ، حيث قدم على بنى عمه هناك (١) .

وهكذا انتهت ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة ، ومهما يكن من أمر فلا أظننى أبالغ اذا اعتبرت أن الله قد حبا عمر بهاتين الولايتين ليعده للولاية الكبرى ، الا وهى الخلافة ليتدرب من خلالهما على سياسة الرعية ، وليقف بنفسه على أحوال الناس وليعرف احتياجاتهم وقد برهن عمر أثناء خلافته على صدق ذلك .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٦/٤٨٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٩٥ .

الفصل الثانى
عمر الخليفة

المبحث الأول : الظروف التى لابست استخلافه

المبحث الثانى : منهج عمر بن عبد العزيز فى إدارة الدولة الاسلامية

المبحث الثالث : على طريق الإصلاح

المبحث الرابع : دوره فى نشر الإسلام

المبحث الأول
" الظروف التي لابست استخلافه "

تمهيد :

تصادف أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة على رأس المائة الأولى للهجرة (٩٩هـ) ، وكان ذلك في الوقت الذي طفت على سطح الأحداث أخبار الصراع العنيف بين بني أمية ، وبين مناهضيهم سواء من الشيعة ، والمتشيعين، أو من عرب الجنوب ، وذاع في الأمة الاسلامية أن جور بني أمية قد بلغ مداه ،كان ذلك في الوقت الذي زاد فيه الاهتمام بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروايته ، ومتابعة تحقيقه ، وكان من بين الأحاديث الصحيحة الاسناد حديث رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (١).

فكان المسلمون يتوقعون تحقيق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الفترة التي ولي فيها عمر ، وكعادة كل مجتمع أن تكثر التوقعات بين الناس، وتروج حول من يجدد دين الله للأمة ، ومن العجب أن كثيرا من تلك التنبؤات كانت تنطبق على شخصية عمر بن عبد العزيز ، وقد نقلت لنا المصادر كثيرا من النبوءات ، ومنها مارواه ابن سعد ، حول نبوءة عمر بن الخطاب التي جاء فيها " ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا " (٢).

وقد حقق الامام النووي هذا القول ، وأثبت صحته ،فذكر بعد أن أورد حديث عمر بن الخطاب أنه " أراد بالشين الشجة التي كانت في وجهه " فقال: " باسناده المتفق على صحته ... عن ابن عمر قال : انا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضي حتى يلي هذه الأمة رجل من ولد عمر ، يسير فيها بسيرة عمر

---

(١) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، السنن (ط بيروت) بدون سنة الطبع ٤ / ١٠٩.

(٢) الطبقات ٥/ ٣٣٠.

بوجهه شامة ، قال : فكنا نقول : هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز " (١) .

أما شجته تلك ، فهي أثر لجرح أصابه في طفولته ، نتيجة سقوطه من فوق دابة ركبها ، أو اصابته حين اصطدم بها عفوا ، يقول الطبرى بصدد ذلك : فضمته أمه اليها ، وأخذت تمسح الدم عن وجهه ، فلما دخل عليها زوجها ، وهي على هذه الحالة ، أخذت تعذله وتلومه لكونه لم يضم الى ولدها خادما ، أوحاضنا يرعاه من مثل هذه الحال ! فأجابها عبد العزيز : اصمتي يا أم عاصم ، فطوباك ان كان هو أشج بني أمية (٢) .

الظروف التي لابست استخلافه :

لم يصل عمر بن عبد العزيز الى منصب الخلافة وصولا عاديا ، ذلك أن الخلافة كانت قد ابتعدت عنه نتيجة لموت والده عبد العزيز الذي كان أبوه قد بايع له بعد أخيه عبد الملك ، غير أن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، خرج على نظام الخلافة الوراثي الذي التزم به بنو أمية ، وعهد بها من بعده لابن عمه عمر .

ويرجع الفضل في صدور قرار سليمان الى الدور الذي قام به رجاء بن حيوة ، وزير سليمان بن عبد الملك ، اضافة الى سليمان ذاته ، لذلك فمن المفيد في هذه الدراسة أن نقف وقفة قصيرة ، نتحدث فيها عن هاتين الشخصيتين ، ودور كل منهما في تطور الأحداث التي انتهت باستخلاف عمر بن عبد العزيز .

رجاء بن حيوة :

أما رجاء فهو ابن حيوة بن جرول بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو الكندي ، وكنيته أبو المقدام الشامي الفلسطيني ، ويقال الأردني

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٩ .

(٢) تاريخ ٦/٥٦٦ ، وانظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١ ، وابن الأثير الكامل ٥/٥٩ .

الامام الفقيه شيخ أهل الشام ومن جلة التابعين (١).

روى عن عبد الله بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الرحمن بن غنم ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد الخدري ، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ، وكذلك عن غيرهم من كبار التابعين ، وروى عنه كثير من التابعين ، قال مطر الوراق : ما رأيت شاميا أفقه منه . وقال مكحول عنه : رجاء شيخنا ، وسيدنا ، وسيد أهل الشام في أنفسهم . وقال عنه مسلمة الأمير : برجاء وبمثله ننصر (٢) ، كان ثقة ، كثير العلم ، فاضلا عالما (٣) ، وقال عنه النووي : كان قاضيا ، وقد أجمع العلماء على جلاله وعظم فضله في نفسه وعلمه (٤) ، وقال الذهبي وكان كبير الدولة الأموية (٥) ، وأضاف ابن خلكان أنه كان مشير الخلفاء والأمراء (٦) ، وجاء في سير الأعلام : أن الله قد أجرى على يديه الخيرات (٧) .

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ٣٠١ ، النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١ / ١٩٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١ / ١١٨ .

(٢) الأصبهاني : الحلية ٥ / ١٧١ ، النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١ / ١٩٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١ / ١١٨ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ / ٢٦٥ ــ ٢٦٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٧ / ٤٥٤ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١ / ١٩٠ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١ / ١١٨ .

(٦) وفيات الأعيان ٥ / ١٧٠ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء (الجزء الرابع تحقيق مأمون الصاغرجي) ص ٥٦٠ .

كل هذه الصفات التى ذكرت عن رجاء تدل على أنه كان حصيف الرأى ، حكيما ، مسموع الكلمة لدى بنى أمية ، وذا حظوة عند خلفائهم ، الأمر الذى يؤيد ما ذكره المؤرخون عن الدور الذى قام به ، وساعد على وصول عمر بن عبد العزيز الى منصب الخلافة كما سيأتى .

وقد توفى هذا العلم فى سنة اثنتى عشرة ومائة للهجرة [١].

سليمان بن عبد الملك :-

أما الشخصية الثانية ، فهو الخليفة السابع — من بنى أمية — سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس الأموى القرشى ، وكنيته أبو أيوب .

ولد فى المدينة ، فى بنى جديلة ، فى سنة ستين للهجرة [٢] ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسية أم أخيه الوليد [٣] .

نشأ فى الشام عند والده عبد الملك [٤] ، أو فى البادية عند أخواله [٥] ، روى قليلا عن والده ، وعن عبد الرحمن بن هنيدة ، وروى عنه ابنه عبد الواحد ، والزهرى [٦] ، وكان قد طلب من أبيه بأن يعهد اليه بعد أخيه الوليد ففعل ،

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٤٣ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١/١/١٩٠ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/١١٨ .

(٢) الذهبى : تاريخ الاسلام ٤/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٧٧ ، حسين بن محمد بن الحسن الدياربكرى (ت ٩٦٦ هـ) : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس (ط مصر) ١٢٨٣ هـ ٢/٣١٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٤٢٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٢/٢٩٣ ، الدياربكرى : تاريخ الخميس ٢/٣١٤ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٧٧ .

(٥) الأربلى : الذهب المسبوك ص ١٣ .

(٦) الذهبى : تاريخ الاسلام ٤/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٧٧ .

ولهذا تولى الخلافة بعد أخيه الوليد ، في سنة ست وتسعين للهجرة بناء على ذلك (١) .

وبلغ به حرصه على مصلحة الرعية أنه لم يستأثر بحكمها وحده ، مخافة أن يظلمها ، ولهذا لجأ فور استلامه الحكم لابن عمه الفقيه والامام باعتراف أئمة المسلمين آنذاك عمر بن عبد العزيز ،فاتخذه " وزيرا ومستشارا وقال له : انا ولينا ما ترى ، وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب " (٢) .

ونتيجة لذلك عزل سليمان عمال الحجاج الثقفي ، وكذلك أخرج من كان في سجن العراق ، وأطلق سراح الأسرى ، وبذل الأعطيات بالعراق ، ورد المظالم ، ومن ذلك أيضا أنه كتب بأن الصلاة قد أميتت ، فأحيوها ، وردوها الى ميقاتها الأول ، هذا بالاضافة الى كثير من الأمور الحسنة التي كان يسمعها من ابن عمه عمر ، الى جانب حبه للعدل ، والغزو ، وتوقفه عن الدماء (٣) .

وكان محبا للعلماء ، مكرما لهم حريصا على لقائهم ، والانتفاع بما أوتوا من العلم (٤) .

كما أخذ على عاتقه أن يلتقي بالناس في كل يوم جمعة ، يعظهم ، ويحثهم على تقوى الله وطاعته ، روى ابن كثير عن يزيد بن حازم أنه قال (٥) : " كان سليمان ابن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول أيها الناس ، انما أهل الدنيا

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٦/٩ ، ١٧٨ ، الديار بكري : تاريخ الخميس ٣١٤/٢ .

(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ٨/٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٨/٩

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٢٠/٢ ، الاربلي : الذهب المسبوك ص ١٣ ، الذهبي :تاريخ الاسلام ٨/٤ ،ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٧/٩ ، الديار بكري :تاريخ الخميس ٣١٤/٢ .

(٤) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٤ .

(٥) البداية والنهاية : ١٧٩/٩ .

على رحيل لم تمض بهم نية ، ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي وعد الله ، وهم على ذلك ، لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائعها ، ولا يتقى من شر أهلها ، ثم يقرأ (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)[1] » .

هذا هو سليمان بن عبد الملك الذي قال عنه المؤرخون ، بأنه كان من خيار خلفاء بني أمية ، وأنه مفتاح الخير ابتدأ بخير ، واختتم خلافته بخير ، افتتحها باجابة الصلاة لمواقيتها ، وختمها باستخلاف عمر بن عبد العزيز[2].

وقد اشتهر عن سليمان بن عبد الملك حبه للجهاد في سبيل الله ، ومن ذلك ما ذكره المؤرخون ، من أنه أمر بغزو القسطنطينية ، وجهز لذلك الجيوش في البر والبحر ، وكان ذلك في سنة ثمان وتسعين للهجرة ، وسار هو نفسه من بيت المقدس ، الى مدينة دمشق ، حيث اجتمعت له العساكر ، فأمر عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وقال لهم : سيروا على بركة الله . بعد أن أوصاهم بتقوى الله ، وطاعته ، وبالتناصح ، والتناصف ، وأمرهم بالاقامة هناك حتى يتم لهم فتحها .

أما هو فقد سار من دمشق حتى نزل مرج دابق ، لأنه آلى على نفسه ألا يرجع الى دمشق حتى تفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك ، فحصل بهذه النية على أجر الرباط في سبيل الله ، حيث وافته المنية هناك ، اثر اصابته بالحمى ، ويقال أصيب بذات الجنب . وكان ذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة[3] ، بعد أن عهد بولاية العهد لابن عمه عمر بن عبد العزيز .

هذان هما الرجلان اللذان أثرا في مجرى الأحداث ، حتى آلت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز ، فكيف تم ذلك الأمر ؟

---

(١) الآيات : ٢٠٥ ــ ٢٠٧ من سورة الشعراء .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٧٩ .

(٣) الطبري : تاريخ ٦/٥٤٦ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٧٧ .

استخلاف عمر بن عبد العزيز :

لمعرفة ذلك أترك المجال لبعض المصادر المبكرة كي تقدم لنا هذه المناسبة المهمة في تاريخ الدولة الأموية ، يذكر ابن سعد في طبقاته [1] :

" عن سهيل بن أبي سهيل قال : سمعت رجاء بن حيوة يقول : لما كان يوم الجمعة ، لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خز ، ونظر في المرآة فقال : أنا والله الملك الشاب . فخرج الى الصلاة يصلي بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل كتب كتابا عهده الى ابنه أيوب ، وهو غلام لم يبلغ فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ انه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح .

وقال سليمان : كتاب أستخير الله فيه ، وأنظر ، ولم أعزم عليه . فمكث يوما أو يومين ، ثم خرقه ، ثم دعاني ، فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت هو غائب بقسطنطينية ، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت . قال : يا رجاء فمن ترى؟ قال : فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أن أنظر من يذكر . فقال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله فاضلا ، خيارا مسلما . فقال : هو على ذلك ، والله لئن وليته ، ولم أول أحدا من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبدا يلي عليهم الا أن أجعل أحدهم بعده .

— ويزيد بن عبد الملك يومئذ غائب على الموسم — قال : فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده ، فان ذلك مما يسكنهم ويرضون به . قلت : رأيك ، قال فكتب بيده : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، اني وليته الخلافة من بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له ، وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا ، فيطمع فيكم . وختم الكتاب فأرسل الى كعب بن حامز صاحب شرطة أن مر أهل بيتي فليجتمعوا .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٣٥ — ٣٣٨ .

فأرسل اليهم كعب ، فجمعهم ، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم :
اذهب بكتابي هذا اليهم ، فأخبرهم ، أنه كتابي ، ومرهم فليبايعوا من وليت .
قال : ففعل رجاء ، فلما قال لهم ذلك رجاء قالوا : سمعنا وأطعنا لمن فيه ،
وقالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين ، قال : نعم . فدخلوا فقال لهم
سليمان : هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم وهم ينظرون اليه في يد رجاء بن حيوة ـ
هذا عهدي ، فاسمعوا ، وأطيعوا ، وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب .
قال فبايعوه رجلا رجلا . قال : ثم خرج بالكتاب مختوما في يد رجاء .

قال رجاء : فلما تفرقوا ، جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا المقدام ، ان سليمان كانت لي به حرمة ومودة ، وكان بي برا ملطفا ، فأنا أخشى أن يكون قد أسند الي من هذا الأمر شيئا ، فأنشدك الله وحرمتي ومودتي ، الا أعلمتني ان كان ذلك حتى أستعفيه الآن ، قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر الساعة .
فقال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفا واحدا . قال : فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يارجاء ، ان لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر ، فأعلمني أهذا الأمر الي ؟ فان كان الي علمت ، وان كان الى غيري تكلمت ، فليس مثلي قصر به ، ولا نحيي عنه هذا الأمر ، فأعلمني فلك الله الا أذكر اسمك أبدا .

قال رجاء : فأبيت وقلت لا والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسر الي .
فانصرف هشام وهو مؤس ، وهو يضرب باحدى يديه على الأخرى ، وهو يقول :
فالى من اذا نحيت عني ؟ أتخرج من بني عبد الملك ؟ فوالله اني لعين بني عبد الملك .

قال رجاء : ودخلت على سليمان بن عبد الملك ، فاذا هو يموت . قال : فجعلت اذا أخذته سكرة من سكرات الموت ، حرفته الى القبلة ، فجعل يقول وهو يفاق :
لم يأن لذلك بعد يا رجاء . حتى فعلت ذلك مرتين . فلما كانت الثالثة قال :
من الآن يا رجاء ، ان كنت تريد شيئا أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . قال فحرفته ، ومات ، فلما أغمضته سجيته بقطيفة خضراء

وأغلقت الباب ، وأرسلت الى زوجته تنظر اليه ، كيف أصبح فقلت : نام وقد تغطى ، فنظر الرسول اليه ، مغطى بالقطيفة فرجع ، فأخبرها ، فقبلت ذلك وظنت أنه نائم .

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق به ، وأوصيته أن لا يريم حتى آتيه ، ولا يدخل على الخليفة أحدا . قال : فخرجت ، فأرسلت الى كعب بن حامز العنسى ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا فى مسجد دابق فقلت : بايعوا ، قالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى أ قلت : هذا أمر أمير المؤمنين ، بايعوا على ما أمر به ، ومن سمى فى هذا الكتاب المختوم . فبايعوا الثانية رجلا رجلا .

قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان ، رأيت أنى قد أحكمت الأمر ، قلت قوموا الى صاحبكم فقد مات . قالوا : انا لله وانا اليه راجعون . وقرأت عليهم الكتاب ، فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام : لا نبايعه أبدا . قال قلت : أضرب والله عنقك ، قم فبايع . فقام يجر رجليه .

قال رجاء : وأخذت بضبعى عمر ، فأجلسته على المنبر وهو يسترجع ، لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام الى عمر ، قال : انا لله وانا اليه راجعون ، أى حين صار هذا الأمر اليك على ولد عبد الملك . قال فقال عمر : نعم فانا لله وانا اليه راجعون ، حين صار الى لكراهتى له (١) .

واذا كان ابن كثير قد تطابقت روايته فى مجملها حول ظروف اعطاء ولاية العهد لعمر مع رواية ابن سعد والطبرى ، غير أنه علق على ذلك بقوله : " وقد ذكرنا فى ترجمة سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يعهد الى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد الى عمر بن عبد العزيز من بعده ، وصوب ذلك رجاء فكتب سليمان العهد

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الرسل ٦ / ٥٥٠ ـ ٥٥٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٣٨ ب ـ ١٣٩ أ ، ١٣٩ ب ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٣٨ ـ ٤٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٨١ ـ ١٨٣ .

فى صحيفة وختمها ، ولم يشعر بذلك عمر ، ولا أحد من بنى مروان سوى سليمان ورجاء " (١).

أما رواية ابن عبد الحكم التى أوردها فى كتابه : " سيرة عمر بن عبد العزيز " فهى وان كانت تتفق فى مجملها مع رواية ابن سعد ، الا أنها تخالفها فى بعض التفاصيل التى لها دلالتها ، ومن أجل ذلك أوردها ، وقد جاء فيها :

" وكان لسليمان بن عبد الملك ابن يقال له أيوب بن سليمان ، فعقد له ولاية العهد من بعده ، ثم ان أيوب توفى قبل سليمان ، ولم يبق لسليمان ولد الا صغير فلما حضرته الوفاة ، أراد أن يستخلف ، فحضره عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ، فقال لرجاء : اعرض على ولدى فى القمص والأردية . فعرضهم عليه ، فاذا هم صغار لا يحتملون ما لبسوا من القمص والأردية يسحبونها سحبا فنظر اليهم وقال : يا رجاء :

انى بنى صبية صغار أفلح من كان له كبار

فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، يقول الله تبارك وتعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) (٢) . ثم قال يا رجاء اعرض على بنى فى السيوف ، فقلدهم السيوف ، ثم عرضهم عليه فاذا هم صغار لا يحملونها ، يجرونها جرا فنظر اليهم وقال :

ان بنى صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

فقال له عمر بن عبد العزيز : يقول الله تبارك وتعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) فلما لم ير فى ولده ما يريد حدث نفسه بولاية عمر بن عبد العزيز ، لما كان يعرف من حاله ، فشاور رجاء فيمن يعقد له ، فأشار عليه رجاء بعمر ، وسدد له رأيه فيه ، فوافق ذلك رأى سليمان ، وقال : لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب ، فلما اشتد به وجعه عهد عهدا – لم يطلع عليه أحدا الا رجاء بن حيوة الكندى – استخلف فيه عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر . فدخل سعيد بن خالد مع عمر بن عبد العزيز وبعض أهل بيته

---

(١) البداية والنهاية ١٩٧/٩ .

(٢) الآيتان ١٤ – ١٥ ، من سورة الأعلى .

يعودون سليمان ، فرأوا به الموت ، فمشى عمر بن عبد العزيز وسعيد بن خالد ورجاء بن حيوة ، وتخلف عمر كأنه يعالج نعليه ، حتى أدركه رجاء فقال له يارجاء : انى أرى أمير المؤمنين فى الموت ، ولا أحسبه الا سيعهد ، وأنا أناشدك الله ان ذكرنى بشىء من ذلك الا صددته عنى ، وان لم يذكرنى أن لا تذكرنى له فى شئ من ذلك ، فقال رجاء لعمر : لقد ذهب ظنك مذهبا ما كنت أحسبك تذهبه : أتظن بنى عبد الملك يدخلونك فى أمورهم ؟ وقد كان سليمان فرغ من ذلك ، ولكنه أراد اخفاءه عن عمر ، فلما ولى هشام بن عبد الملك ذكر له فضل رجاء بن حيوة ، فقال : أوليس بصاحب عمر بن عبد العزيز يوم وافقه ؟ ثم أصبح وقد استخلف فذكر ذلك لرجاء فقال رجاء : أو لا أخبركم عن ذلك الموقف ؟ ان عمر نشدنى الله أن لا أذكره فى شئ من أمر الخلافة ، وان كان سليمان ذكره أن أصده عنه ، فعجب هشام من قول رجاء وقال : وما أحسب عمر خطا خطوة الا وله فيها نية ،

فلما حضر سليمان ، واشتد ما به ، أمر بالبيعة لمن كان فى كتابه ممن عهد اليه ، فبايع الناس ولا يعلمون من فى كتابه ، ثم قضى الله على سليمان بالموت ، فلما مات كتمه رجاء بن حيوة ، ثم خرج الى الناس فقال : ان أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة لمن كان عهد اليه ، وقد أصبح بحمد الله صالحا ، فقالوا : أوصلنا الى أمير المؤمنين لننظر اليه ، وننفذ لأمره ، فدخل ، فأمر به فأسند بالوسائد ، وأقام عنده خادما ، وأمر بالناس فأدخلوا عليه ، فيقفون عند الباب ، فيسلمون من بعيد ، وهم يرون شخصه ، فيرد الخادم عنه رد المريض وهم ينظرون اليه ، ثم قال : يأمركم أمير المؤمنين أن تبايعوا لمن عهد اليه وتسمعوا له وتطيعوا ، فخرجوا الى المسجد والناس مجتمعون ، وجوه بنى مروان وبنى أمية وأشراف الناس ، فبايعوا حتى اذا رضى رجاء من ذلك ، نظر فاذا هو لا يرى عمر ، فخرج يلتمسه فى المسجد ، حتى رآه قاصيا فوقف عليه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قم الى المنبر ، فقال : أنشدك الله يا رجاء فقال رجاء : أناشدك الله أن يضطرب بالناس حبل ، فقد لقى سليمان ربه ، وقضى

الله عليه الموت • فقام عمر حتى جلس على المنبر ، فنعى للناس سليمان وفتح الكتاب فاذا فيه استخلاف عمر ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر ، فلما قرأ ذكر عمر جثا هشام بن عبد الملك على ركبتيه وقال : هاه • فسل رجل من أهل الشام سيفه وقال : تقول لأمر قد قضاه أمير المؤمنين هاه • فلما قرأ ثم يزيد بن عبد الملك من بعد عمر قال هشام : سمعنا وأطعنا • فسمع الناس ، وأطاعوا وقاموا ، فبايعوا لعمر ". (١)

أما الرواية الثالثة فيرويها لنا الدينوري فيقول :

" ... ثم مرض (سليمان) مرضته التي مات فيها ، فلما ثقل كتب كتابا ، وختمه ، ولم يدر أحد ما كتب فيه ، ثم قال لصاحب شرطه : اجمع اليك اخوتي ، وعمومتي ، وجميع أهل بيتي ، وعظماء أجناد الشام ، واحطهم على البيعة لمن سميت في هذا الكتاب ، فمن أبى منهم أن يبايع فاضرب عنقه ، ففعل •

فلما اجتمعوا في المسجد ، أمرهم بما أمر به سليمان • فقالوا : أخبرنا ، من هو ؟ لنبايعه على بصيرة •

فقال : والله ما أدري من هو ، وقد أمرني أن أضرب عنق من أبى قال رجاء بن حيوة : فدخلت على سليمان ، فأكببت عليه وقلت : يا أمير المؤمنين ، من صاحب الكتاب الذي أمرتنا بمبايعته ؟ فقال : ان أخوي يزيد وهشام لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة ، فجعلتها للرجل الصالح ، عمر بن عبد العزيز ، فاذا توفي عمر رجع الأمر اليهما •

فخرج رجاء بن حيوة ، فأخبر يزيد وهشاما بذلك ، فرضيا وسلما وبايعا ثم بايع بعدهما جميع الناس ". (٢)

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٨ – ٣١ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٧ ب – ١٣٨أ •

(٢) الأخبار الطوال ص ٣٢٩ – ٣٣٠ •

وهذه الروايات توضح تماما دور كل من الرجلين الخليفة سليمان بن عبد الملك ، ورجاء بن حيوة في استخلاف عمر بن عبد العزيز ، فبالنسبة للخليفة سليمان بن عبد الملك ، فانه قد تدبر الأمر ، وفكر فيه مليا ، اذ علم أن الله سائله فيه ، ماذا عمل به أهو أعطاه لمن يستحقه ، أم أسنده لرجل يضيع ويضيع الأمة الاسلامية ؟ ولهذا توقف عن اسناد الخلافة لبنيه الصغار لضخامة مسئوليتهما عليهم ، وأسندها للرجل الصالح عمر بن عبد العزيز الذي أعانه في خلافته ، وكان له وزيرا ومشيرا ، فعرف من خلالها أنه أنسب رجل يصلح لها .

كما أن سليمان قد توقف عن اسناد الخلافة لأخويه يزيد ، وهشام ، لأنه علم أنهما لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة الاسلامية ، ولهذا جعلها للرجل الصالح عمر بن عبد العزيز ، فاذا توفي عمر عاد الأمر اليهما .

أما دور رجاء بن حيوة ، فكان دور واضع الخطة التنفيذية لما قرره سليمان من استخلاف عمر ، فعلى أسلوبه الذي وضعه ، لا بلاغ الخبر الى بني أمية ، وطريقة حصوله على بيعتهم لعمر ترتب تنفيذ عهد سليمان ، اذ لو اتبع أي أسلوب آخر غير ذلك لما كان هشام بن عبد الملك هو المعترض وحده ، بل لاعترض كل البيت الأموي على هذا التعيين ، لأن بيدهم من الحجج ما كانوا يستطيعون بها الدفاع عن اعتراضهم ، ولكنهم بايعوا بظهر الغيب ، وقبل أن يعرفوا شخصية من يبايعون له ظنا منهم أنها سوف تكون في نطاق أبناء عبد الملك ، أو أبناء سليمان بن عبد الملك على الأرجح ، وكانت بيعتهم من باب طاعة ولي الأمر التي أمر بها الله عز وجل في كتابه العزيز ، على أننا لو أخذنا بما جاء في رواية ابن عبد الحكم من أن رجاء هو الذي أشار على سليمان بتولية عمر الأمر الذي يؤيده الذهبي (1) ، لكان دور رجاء أخطر ، وأضخم في استخلاف عمر بن عبد العزيز ، ولصار هو صاحب الأمر كله ، اللهم الا توقيع كتاب التولية الذي ما كان يملكه الا ولي الأمر سليمان ، وهكذا استخلف عمر بن عبد العزيز

---

(1) دول الاسلام : (ط حيدر آباد) ١٣٣٧ هـ ١/٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥/١١٣ .

بعد أن تمت مبايعة البيت الأموى ، والناس له ، وذلك فى العاشر من شهر صفر سنة تسع وتسعين هجرية (١) .

ولكن قبل أن نواصل حديثنا عن عمر بن عبد العزيز ، هناك سؤال يطرح نفسه : ترى ما هى الأسباب التى جعلت سليمان بن عبد الملك يجازف ويصدر مثل هذا القرار الخطير ؟

لا شك أن سليمان حين أمر أن لا تفض وصيته الا بعد موته ، كان يدرك تماما أن أبناء عبد الملك سيعارضون هذا العمل بشدة ، وأنه سوف يتعرض للمواجهة مع أخوته .

ويعلل بعض المؤرخين المتقدمين هذه الأسباب فيقولون :
وكان الوليد قد " عزم ... على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ليولى ابنه ... ، وأراد على ذلك آله ، فامتنع عمر بن عبد العزيز ، وقال : لسليمان : فى أعناقنا بيعة ، فغضب الوليد ، وطين على عمر ، ثم فتح عليه بعد ثلاث ، وقد ذبل ، ومالت عنقه ، وقيل خنق بمنديل حتى صاحت أم البنين - أخت عمر - ، فلذلك شكر سليمان لعمر ، وأعطاه الخلافة من بعده " (٢) .

أما الباحثون المحدثون فيرجعون سبب استخلاف سليمان لعمر الى تجرد سليمان على غير عادة من سبقه من بنى أمية من الأنانية ، وأخذ مصلحة المسلمين بعين الاعتبار (٣) ، بعكس والده عبد الملك بن مروان الذى حرص على خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد ، وتولية ولده الوليد وكاد أن يفعل ذلك الا أن موت أخيه عبد العزيز قبله ساعده على العهد لابنه الوليد ، وكذلك من أخيه الوليد الذى حاول تكرار العمل نفسه معه ، ولكن الموت أدركه قبل أن يتم له ذلك .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٥٠/٦ ، ابن الأثير :الكامل ٣٧/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٤/٩ .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٤٨/٥ - ١٤٩ ، تاريخ الاسلام ١٤٧/٤ .

(٣) محمد جبر أبو سعده : محاضرات فى تاريخ الخلفاء الأمويين (ط القاهرة) ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ص ٤٢ ، أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى (ط القاهرة) ١٩٧٣ م ٧٨/٢ .

الى جانب ما سبق من عرض لآراء القدامى والمحدثين فهناك عوامل أخرى ساعدت سليمان على اتخاذ هذا القرار منها : نزعته الى الخير ، وحرصه على أن يلقى الله بعمل يقربه منه ، يكون به عنه راضيا ، وتعود نزعة الخير الكامنة في نفس سليمان الى تدينه ، والتزامه بتعاليم القرآن ، وتجلى ذلك واضحا في عدله واحسانه لرعيته كما لمسنا ذلك من خلال تتبع حياته .

رأى العلماء في صحة استخلاف عمر بن عبد العزيز :

ونعود الآن لنطرح السؤال الآخر وهو : هل كانت هذه البيعة صحيحة أم لا ؟

وللاجابة على ذلك ، أورد ما جاء في بعض المصادر ذات الصلة الوثيقة بهذه المسألة ، يقول الحافظ ابن كثير :

" وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصى الوصية في كتاب ، ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريرى : أجاز ذلك وأمضاه ، وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز ، وروى ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة المخزومى ومكحول ، ونمير بن أوس وزرعة بن ابراهيم ، والأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام .

وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه ، وقضاة جنده ، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهل مصر ، والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاتهم . وروى عن قتادة ، وعن سوار بن عبد الله ، وعبيد الله ابن الحسن ، ومعاذ بن معاذ العنبرى ، فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد ، واسحاق بن راهوية . قلت : وقد اعتنى به البخارى في صحيحه . قال المعافى : وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم ابراهيم وحماد والحسن ، وهو مذهب الشافعى وأبى ثور

قال : وهو قول شيخنا أبى جعفر ، وكان بعض أصحاب الشافعى بالعراق يذهب الى القول الأول ، وقال الجريرى : والى القول الأول نذهب " (١) .

وقال الماوردى : (٢)

" ولو عهد الخليفة الى اثنين أو أكثر ورتب الخلافة فيهم فقال : الخليفة بعدى فلان فان مات فالخليفة بعد موته فلان ، فان مات فالخليفة بعده فلان ، جاز ، وكانت الخلافة متنقلة الى الثلاثة على ما رتبها ، فقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش مؤتة زيد بن حارثة ، وقال : فان أصيب فجعفر بن أبى طالب ، فان أصيب فعبد الله بن رواحة ، فان أصيب فليرتض المسلمون رجلا ، فتقدم زيد فقتل ، فأخذ الراية جعفر ، وتقدم ، فقتل ، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فتقدم ، فقتل ، فاختار المسلمون بعده خالد بن الوليد واذ فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فى الامارة ، جاز مثله فى الخلافة . فان قيل هى عقد ولاية على صفة وشرط ، والولايات لا يقف عقدها على الشروط والصفات ، قيل هذا من المصالح العامة التى يتسع حكمها على أحكام العقود الخاصة ، فقد عمل بذلك فى الدولتين من لم ينكر عليه أحد من علماء العصر ، هذا سليمان بن عبد الملك عهد الى عمر بن عبد العزيز ، ثم بعده الى يزيد بن عبد الملك ، ولئن لم يكن سليمان حجة فاقرار من عاصره ، من علماء التابعين ومن لا يخافون فى الحق لومة لائم هو الحجة " .

وقد أيد ابن حجر صحة الايصاء بالاستخلاف على اعتبار " أن الاستخلاف أضبط لأمر المسلمين " (٣) ، وفى هذا استخلاف أبى بكر لعمر " دليل على جواز عقد الخلافة من الامام المتولى لغيره بعده ، وأن أمره فى ذلك جائز على عامة المسلمين لاطباق الصحابة ، ومن معهم على العمل بما عهده أبو بكر لعمر ،

---

(١) البداية والنهاية ١٩٧/٩ ــ ١٩٨ ، وانظر ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٢٨ ب .

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٣ .

(٣) فتح البارى ٢٠٧/١٣ .

وكذلك لم يختلفوا في قبول عهد عمر الى الستة ، قال : وهو شبيه بايصاء الرجل على ولده ، لكون نظره فيما يصلح أتم من غيره ، فكذلك الامام "(١) ، وقد أورد ابن حجر كثيرا من الأحاديث ، والأدلة القياسية على صحة الاستخلاف ، وهذا يؤكد لنا صحة استخلاف سليمان لعمر بن عبد العزيز .

ونضيف الى ما تقدم ، أن عمر بن عبد العزيز عندما اعتلى المنبر قال : " أيها الناس ، انى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين . وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم .

فصاح الناس صيحة واحدة . قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فل أمرنا باليمن والبركة "(٢).

واذا لم تصح بيعة عمر بن عبد العزيز على رأى من عارض عمل سليمان صحت له بعد حلهم من بيعتهم له ، ثم قيامهم بمبايعته عن رغبة منهم وبهذا تكون بيعته قد توفرت فيها جميع الشروط التى حددها الشرع الاسلامى ، الا وهى الشورى فى أجل صورها .

ولم يكتف عمر بمبايعة الحاضرين له ، ليصبح خليفة بل اشترط فى قبوله الخلافة موافقة الأمصار الاسلامية الأخرى ، فيذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز قال فى خطبته الأولى عقب استخلافه : " ... وان من حولكم من الأمصار والمدن

---

(١) المصدر السابق ١٣ / ٢٠٧ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٣ ، وانظر كمال الدين الدميرى (ت ٨٠٨ هـ) : حياة الحيوان الكبرى ، بدون مكان الطبع ولا سنته ، ١/٦٨ .

ان أطاعوا كما أطعتم ، وان هم أبوا فلست لكم بوال ، ثم نزل " (١).

وقد كتب الى الأمصار الاسلامية ، فبايعت كلها (٢) . وهذه نقطة أخرى لصالح تأكيد شرعية خلافة عمر بن عبدالعزيز اذ لم يكتف بأهل الحل والعقد فى دابق وحدها ، بل أخذ البيعة من سائر المسلمين فى الأمصار ، فكانت البيعة الجامعة الشاملة .

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ١٨٣

(٢) فمثلا كتب الى يزيد بن المهلب يقول : " أما بعد فان سليمان كان عبدا من عباد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ، ويزيد بن عبدالملك من بعدى ان كان ، وان الذى ولانى الله من ذلك وقدر لى ليس على بهين ، ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج أو اعتقاد أموال ، لكان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسألة غليظة الا ما عفا الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك ، انظر ابن الأثير : الكامل ٥/ ٦٠ .

المبحث الثاني
" منهج عمر في ادارة الدولة الاسلامية "

لقد صدم عمر بن عبد العزيز عندما سمع العهد باستخلافه ، فلم يستطع الوقوف رهبة ، وخوفا مما أسند اليه [١] ، وهنا قال : " أما والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب بهامتي دنيا " [٢] ، وقال أيضا : " يا أيها الناس اني والله ما سألتها الله في سر ، ولا علانية قط " [٣].

ومن هذه اللحظة عزم عمر أن يطلب بها شرف الآخرة ، ولهذا قرر أن يرجع بالخلافة الى عهد الخلفاء الراشدين ، يحيي سننا كثيرة أماتها من كان قبله من الخلفاء الأمويين ، شاهدها بنفسه ، ولمسها بذاته ، ويصلح ما أفسدوه ، ويرفع الظلم عمن ظلموه .

فمنذ اليوم الأول من خلافته ، بدأت التغييرات التي خالف بها سيرة من سبقه من خلفاء بني أمية ، فاذهل بها القاصي ، والداني ، وأغضب بها قرابته ، وأسر بها عامة رعيته ، وعلى رأسهم رجاء بن حيوة ، لتحقق صدق فراسته فيه ، وهذا ما جعل المنذر بن عبيد يقول :

" ولي عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الجمعة ، فأنكرت حاله في العصر " [٤] ، لأن عمر عمد في هذا اليوم ، والى آخر يوم من حياته ، الى كل خلية من خلايا الدولة الاسلامية ، فأزال عنها ما حدث لها ، وأرجع اليها نبضها الأول الذي نزلت به رسالة السماء ، وقد كلفه هذا غاليا ، الا وهي حياته ، ولكنه أرضى قبل كل شيء مليكه ، وخالقه ، سبحانه وتعالى ، فكان بحق خليفة الله على الأرض .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥١

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤٠ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٥

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤١ .

وكان عهده أشبه ما يكون بعهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم الأمر الذى جعل العلماء أمثال سفيان الثورى (ت ١٦١ هـ) والشافعى (ت ٢٠٤ هـ) ، يصفونه بالخليفة الراشد الخامس ، ويلحقون عهده بعهد الخلفاء الراشدين [1] ، واعتبره آخرون غيرهم مثل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، مجدد المائة الأولى ، فيروى ابن كثير عن أحمد بن حنبل قال : " ان عمر ابن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، وان كان هو أولى من دخل فى ذلك وأحق ، لامامته وعموم ولايته ، وقيامه ، واجتهاده فى تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيرا ما تشبه به " [2] .

ولمعرفة حقيقة الأعمال التى قام بها عمر بن عبد العزيز فى خلافته ، والتى بهرت كل من كان حوله من الرعية ، والعلماء ، والمؤرخين ، بعد ذلك ، ويشهدون له بمثل هذه الشهادات ندع النصوص التاريخية تقدمها لنا .

<u>اللقاء الأول مع الأمة :</u>

صعد عمر المنبر ، وقال فى أول لقاء مع الأمة بعد استخلافه :

" أيها الناس ، انى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم ".

فصاح الناس صيحة واحدة ، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك فل أمرنا باليمن والبركة " .

وهنا شعر أنه لا مفر من تحمل مسئولية الخلافة ، فأضاف قائلا يحدد منهجه وطريقته فى سياسة الأمة المسلمة :

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٤٦أ ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٩ — ٦٠ .

(٢) البداية والنهاية ٢٠٧/٩ ، وانظر ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٠ .

" أما بعد فانه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، ألا ان ما أحل الله حلال الى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام الى يوم القيامة ، ألا انى لست بقاض ، ولكنى منفذ ، ألا انى لست بمبتدع ، ولكنى متبع ، ألا انه ليس لأحد أن يطاع فى معصية الله ، ألا انى لست بخيركم ، ولكنى رجل منكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملا " .

" أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ، والا فلا يقربنا : يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما نهتدى اليه ، ولا يغتابن عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه " .

" أوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شئ ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فانه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه . وأصلحوا سرائركم ، يصلح الله الكريم علانيتكم . وأكثروا من ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فانه هادم اللذات ، وان من لا يذكر من آبائه — فيما بينه وبين آدم عليه السلام — أبا حيا لمعرق له فى الموت . وان هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ، ولا فى نبيها صلى الله عليه وسلم ، ولا فى كتابها وانما اختلفوا فى الدينار ، والدرهم . وانى والله لا أعطى أحدا باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا .

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

يا أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له. أطيعونى ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم " .

" وان من حولكم من الأمصار والمدن فان هم أطاعوا كما أطعتم فأنا وليكم ، وان هم نقموا فلست لكم بوال ثم نزل " (١)

---

(١) وردت هذه الخطبة — مع بعض الاختلاف عند ابن سعد : الطبقات ٣٤٠/٥ ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ٣٥ — ٣٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ ورقة ١٣٨ ب ، ١٤١ أ ، ابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٣ — ٥٤ ، ٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ٦٣/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٣/٩ ، ١٩٨ ، ٢١٣ .

وهكذا عقدت الخلافة لعمر بن عبدالعزيز فى ذلك اليوم ، وهو يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

أسس هذا المنهج ومعالمه :

ويظهر لنا من هذه الخطبة السياسة التى قرر عمر ابن عبدالعزيز اتباعها فى الحكم وهى :

التزامه بالكتاب والسنة ، وأنه غير مستعد للاستماع الى أى جدل فى مسائل الشرع ، والدين ، على أساس أنه حاكم منفذ ، وأن الشرع بين من حيث تحليل ما أحل الله ، وتحريم ما حرم الله .

رفضه للبدعة والآراء المحدثة .

حدد لمن يريد أن يتصل به ، ويعمل معه من رعيته أن يكون اتصاله معه لخمسة أسباب هى :

أ ـ أن يرفع اليه حاجة من لا يستطيع أن يصل الى الخليفة ، أى أنه جعل المقربين منه همزة وصل بينه ، وبين من لا يستطيعون الوصول اليه ، فيعرف بذلك حوائج الناس ، وينظر فيها .

ب ـ أن يعينه على الخير ما استطاع ، أى أن علاقة هؤلاء به تقوم على أساس نزعة الخير يعين الخليفة عليه ، وبالتالى يحذره من أى شر .

جـ ـ فرض على من يتقرب اليه فريضة ، أن يرشده ، ويهديه الى ما فيه خير الأمة ، وخير الدين .

د ـ نهى من يريد أن يتقرب اليه ، عن أن يغتاب اليه أحد .

هـ ـ أن لا يتدخل أى متقرب منه فى شئون الحكم ، وفيما لا يعنيه عامة .

لقد كان يدرك مدى تأثير البطانة ، والمقربين من الحاكم على الحاكم ، وعلى الرعية ، وعلى أسلوب الحكم ، فآثر أن ينبه الناس حتى يتركوه ، يحكم بما ارتضى فى نطاق شرع الله ، دون أن يبعدهم نهائيا ، لأنه أجاز لهؤلاء المقربين ، أن يدلوه على الخير ، ويعينوه عليه ، وأن ينقلوا اليه حاجة المحتاج .

كما أنه حذر الناس من عواقب الدنيا لو أساؤا فيها ، وطلب اليهم أن يصلحوا سرائرهم ، ويحذروا الموت ، ويتعظوا به .

كما قطع على نفسه عهدا بأن لا يعطى أحدا باطلا ، ولا يمنع أحدا حقا ، وأنه أعطاهم حقا عليه ، وهو أن يطيعوه ما أطاع الله ، وأنه لا طاعة له عليهم اذا عصاه سبحانه وتعالى .

تبين هذه السياسة الواضحة الصريحة ، التزامه في المقام الأول بالدين ، وتطبيق الشرع من جانبه على نفسه ، وفي رعيته ، كما ألزم الرعية بالتمسك بالشرع .

وأنه في هذا كان صريحا في التزامه بآراء السلف ، وبعده عن أي ابتداع ، ولعله بهذا أراد أن يوقف تيار البدع الذى كان قد بدأ يطل من جانب بعض غلاة المتشيعين .

وسوف نرى حين الحديث عن اصلاحاته مدى التزامه بهذه السياسة التى أعلنها لحظة توليه الخلافة .

هذه هي الخطوط العريضة لسياسة عمر ، ذكرها في أول مواجهة له مع الرعية وأهل الحل والعقد في المسجد ، على أنه بما جبل عليه من الوضوح في العمل والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأفعال السلف الصالح من الصحابة ، فقد آثر أن لا يدع لأي عامل من عماله حجة عليه بعد ذلك ، ففصل ما أجمل في خطبته الأولى في كتب أرسلها الى عماله ، وقد كانت هذه الكتب نوعين :

١ ــ كتب الى العمال يبصرهم بما يجب عليهم أن يلتزموا به في مسلكهم الشخصى ، والخاص ، ازاء الرعية ــ وسوف أتحدث عن هذه فيما بعد ــ .

٢ ــ كتبه الى عماله التى تحدد سياستهم ، وطريقة تعاملهم مع أفراد الرعية من المسلمين ، وغير المسلمين ، ممن كانوا يسكنون دار الاسلام ، وعمر في هذه الكتب ــ كما سيظهر ــ تكلم من موقفه كفقيه متبحر في أصول الدين ، وقد انفرد ابن عبد الحكم بجمع هذه الكتب في كتابه سيرة عمر ابن عبد العزيز .

ولكنى أكتفى هنا بذكر واحد فقط من تلك الكتب، خشية الاطالة ، و أدل على مواضع بقيتها لمن أراد الرجوع اليها (١) .

قال عمر فى كتابه الى عماله على الأمصار :

" من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى العمال . أما بعد : فان من بلى من أمر السلطان بشىء فقد ابتلى فى الدنيا ببلية عظيمة ، مع ما ابتلى به فى خاصة نفسه . فنسأل الله عافيته وحسن معونته . وأى بلاء أشد من بلاء يبسط للمرء فيه لسانه ، وفعله ، فان مال فيه الى كل هوى أو سخطه كان فيه وكف الا يعفو الله ويغفر . فانما وجدت والى السلطان عبدا مملوكا ولى ضيعة ، عليه الاجتهاد فى اصلاحها ، أجره احسان ان أحسنه ، واحسان عمل به فيهم على ملكه الذى خلقه لما شاء أن يخلقه له . فانزل بتلك المنزلة فى أمرك ، واصبر على ما كرهت ، واصبر على ما أحببت ، وقف نفسك فى كل سر وعلانية عند الذى ترجو به النجاة ، عند ذلك ، حتى تفارق الذى أنت فيه ، فان ذلك لعله أن يكون الى قريب وأنت محسن ومأجور . وتذكر ما سلف مما لا تحب فاصلحه قبل أن يتولى صلاحه غيرك . ولا يكبر عليك فى ذلك قول الناس ، اذا علم الله أنك تجعل ذلك له ، فانه سيكفيك المؤونة فى عاجل الأمر مع ما يدخر لك من الخير فيما عنده .

وكن لمن ولاك الله أمره ناصحا ، فيما بعثتك اليه من أمورهم فى دينهم وأعراضهم ، واستر كل ما استطعت من عوراتهم الا شيئا أبداه الله لا يصلح لك ستره ، واملك نفسك عنهم اذا هويت واذا غضبت ، حتى يكون ذلك فيما استطعت مستويا حسنا . واذا سبقك أمر أو سلف منك هوى ، أو غضب ، فراجع أمرك ، فقد رأيت حقا أن أكتب اليك بالذى كتبت به مما استطعت ، ونستعين بالله ، ونسأله أن يصلح لنا عملنا ، ويكفينا مؤونة ما نحن فيه ، ومؤونة ما نرجع اليه فيما بعد الموت بأحسن كفاية والسلام " (٢) .

---

(١) انظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٩ ــ ٦٧ ، ٧٨ ــ ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ ــ ٧٤ .

وجملة القول في هذه الكتب التي بعث بها عمر الى ولاته عقب استخلافه: أنه في تنظيمه للعلاقة بينه وبين الرعية منح الرعية الحرية في العمل ، والانتقال ، والتصرف في حدود ما أمر الله رسوله ، وتلك لعمري سياسة رشيدة جديرة بأن تؤكد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من تلقيب عمر بن عبد العزيز بالخليفة الراشد الخامس ، خصوصا مع التزامه بما جرى عليه السلف ومحاربته لكل بدعة ، ومبتدع ، وهو الذي يقول " فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي ، وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي ، كان في الله يسيرا " (١)، وقال أيضا : " لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا " (٢) ، كما كان لاصلاح النفوس البشرية الأولية عند عمر بن عبد العزيز قبل ماديات الحياة من التعمير وغيرها ، وأن العكس هو اصلاح فاشل ، اذ مصيره بين لحظة وأخرى الى الدمار ، ولهذا أصر دائما وأبدا طيلة خلافته على أن الاصلاح الحقيقي لا يكون بوضع الزخارف ، وترميم أبنية المدن ، بل هو اصلاح للبشر أنفسهم وتقويمهم •

مراسلته العلماء :

واذا كان عمر بن عبد العزيز قد وضع معالم سياسته في خطبته تلك ، وفي رسائله الى عماله ، فانه لم يستأثر بذاته عند معالجة الأمور المختلفة بعد ذلك فطالما استشار أهل الحكمة والعلم ، وطلب الرأي ممن كان يعتقد أن لديهم رأيا يساعد في اصلاح الرعية ، وتحسين أحوال الناس ، ويعين على حسن السياسة ، وتطبيق شرع الله ، فأرسل الى العديد من كبار العلماء يطلب اليهم تقديم النصح له ، وبذل الرأي السديد فيما يواجه من مسئولية جسيمة ، وأعباء ثقيلة ، توجب على أهل الرأي معاونة الخليفة في السير بالأمة بنجاح نحو غاياتها السامية ، ولقد اخترت رسالته الى سالم بن عبد الله بن عمر ، ورد سالم عليها كمثال لحرص أمير المؤمنين، وعلماء الأمة على تحقيق واقامة شريعة الاسلام الصافية في المجتمع الاسلامي •

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٤٣ ، وانظر ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٤٨ أ •

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٨٣ •

كتب الى سالم يقول :

" أما بعد ، فان الله تبارك اسمه ، وتعالى جده ، ابتلانى بما ابتلانى به من أمركم من غير مشورة منى فيه ، ولا طلب الاقضاء من الرحمن الرحيم ، فأسأل الذى ابتلانى بما ابتلانى به من أمر عباده ، وبلاده ، أن يحسن عونى وعاقبتى، وعاقبة من ولانى أمره . وقد رأيت أن أسير فى الناس بسيرة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أن قضى الله ذلك ، واستطعت اليه سبيلا . فابعث الى بكتب عمر ، وقضائه فى أهل القبلة ، وأهل العهد ، فانى متبع أثره ، وسائر بسيرته ان شاء الله تعالى ، وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى " (١) .

فأجابه سالم :

" أما بعد ، فان الله عز وجل خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له ، فجعل لها مدة قصيرة كأن ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء ، فقال : (كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) (٢) لا يقدر أهلها منها ياعمر على شئ حتى تفارقهم ، ويفارقوها ، بعث بذلك رسوله ، وأنزل كتابه ، ضرب فى ذلك الأمثال ، وضرب فيه الوعيد، جعل دينه فى الأولين والآخرين دينا واحدا ، فلم يختلف رسله ولم يعدل قوله . ثم انك ياعمر ، لست تعدو أن تكون رجلا من بنى آدم يكفيك ما يكفى لرجل منهم ـ أو قال رجلا منهم ـ من الطعام ، والشراب ، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذى توجه اليه شكر النعم ، فانك قد وليت أمرا عظيما ليس يلى عليك أحد دون الله عز وجل ، ان استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فانه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا وأحيوا ما أحيوا وأتوا ما أتوا حتى ولد فى ذلك رجال ونشؤا فيه ، وظنوا أنها السنة فسدوا على الناس أبواب الرخاء ، فلم يسدوا منها بابا الا فتح الله عليهم باب بلاء ، فان استطعت ـ ولا قوة الا بالله ـ أن تفتح على الناس أبواب الرخاء فافعل ، فانك لن

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ ، وانظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٣

(٢) الآية ٨٨ من سورة القصص .

تفتح منها بابا الا سد الله الكريم عنك باب بلاء ، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله فانك اذا كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعوانا فأتاك بهم وانما قدر عون الله اياك بقدر نيتك فان تمت نيتك تم عون الله الكريم اياك ، وان قصرت نيتك قصر من الله العون ، بحسب ذلك . واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلع ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ، وانفقأت أعينهم التي كانوا لا تنقطع لذتها ، واندقت رقابهم غير موسدين ، بعد ما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، فصاروا جيفا في بطون الأراضي تحت مهادها ، والله لو كانوا الى جانب مسكين لتأذى بريحهم بعد انفاق مالا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب ، كل ذلك اسرافا ، فانا لله وانا اليه راجعون . ما أعظم الذي ابتليت به ، وأفظع الذي سيق اليك ، أهل العراق أبرهم منك منزلة من لا فقر بك اليه ، ولا غنى بك عنه ، فمن بعثت من عمالك الى العراق فانهه نهيا شديدا شبيها بالعقوبة عن أخذ الأموال ، وسفك الدماء ، الا بحقها . المال المال يا عمر ، والدم فانه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ، ثم لم تغيره . وانه من بعثت من عمالك أن يعملوا بمعصية ، أو أن يحكموا بشبهة ، أو أن يحتكروا على المسلمين بيعا ، فانك ان اجترأت على ذلك أتى بك يوم القيامة ذليلا صغيرا ، وان تجنبت عنه عرفت راحته في سمعك ، وبصرك ، وقلبك . كتبت الى تسألني أن أبعث اليك بكتب عمر ، وبقضائه في أهل القبلة ، وفي أهل العهد ، وان عمر رضى الله عنه عمل في غير زمانك ، وعمل بغير رجالك ، وانك ان عملت في زمانك على النحو الذي عمل عمر بن الخطاب في زمانه بعد الذي رأيت ، ولوت رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب ، فقل كما قال العبد الصالح (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) »(١) .

---

(١) آية ٨٨ من سورة هود . وانظر : ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

كما طلب من الحسن البصري أن يكتب اليه بصفات الامام العادل ؟ فأجابه الحسن البصري في رسالة مطولة [١] .

واجتهادا من عمر رضي الله عنه في احقاق الحق ورفع الظلم ، أعلن عن تقديم مكافأة مالية مجزية لمن يدله على الخير ، أو ينبهه على وجه من وجوه الاصلاح ، من بين أفراد الأمة عامة ؛ فقد روى ابن عبد الحكم ، أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الموسم يقول :

" أما بعد ، فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة ، أو أمر يصلح الله به خاصا أو عاما من أمر الدين ، فله ما بين مائة دينار الى ثلاثمائة دينار ، بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة ، رحم الله امرءا لم يتكاءده بعد سفر ، لعل الله يحيي به حقا ، أو يميت به باطلا ، أو يفتح به من ورائه خيرا ، ولولا أني أطيل عليكم ، وأطنب فيشغلكم ذلك عن مناسككم ، لسميت أمورا من الحق أظهرها الله ، وأمورا من الباطل أماتها الله ، وكان الله هو المتوحد لكم في ذلك ، لا تجدون غيره ، فانه لو وكلني الى نفسي لكنت كغيري والسلام " [٢] .

عمر وأعوانه :

ولقد أكرم الله عمر بن عبد العزيز بفريق من الأعوان المخلصين لله ، وللأمة ، فكانوا الى جانبه يسددونه ، ويذكرونه ، ويعينونه على الخير . ذكر ابن سعد أن عمر قال بعد استخلافه لميمون بن مهران :

" يا ميمون ، كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم ، وآمنهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لا تشغل قلبك بهذا ، فانك سوق ، وانما يحمل الى كل سوق ما ينفق فيها ، فاذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك الا الصحيح لم يأتوك الا بالصحيح " [٣] .

وقد أعانه الله ، ورزقه فعلا بالبطانة الصالحة ، فقد انفض عنه الخطباء ، والشعراء ، وبقي معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : " ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله " [٤] .

---

(١) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ١/٣٤ ــ ٣٦ .
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٧ .
(٣) الطبقات ٥/٣٩٤ .
(٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ٤٠ ب ، ابن كثير البداية والنهاية ٩/١٩٨ .

وكان من بين هؤلاء العلماء الذين كانوا في خاصة عمر بن عبد العزيز : رجاء بن حيوة ، وميمون بن مهران ، الى جانب قوم آخرين ، كانوا دون هؤلاء عنده ، وهم :
محمد بن الزبير الحنظلي[١] ، وعون بن عبد الله بن عتبة[٢] ، وعمرو بن قيس[٣] .

هذا الى جانب أعوانه من أهله . يذكر ابن عبد الحكم " وكان الله قد أعانه من أهله بسهل أخيه ، وعبد الملك ابنه ، ومزاحم مولاه ، فكانوا أعوانا له على الحق "[٤] .

بالاضافة الى العلماء الذين كان يراسلهم ، أو يلتقي بهم ، كما ذكرت سابقا .

عماله :

كما وفقه الله سبحانه وتعالى الى اختيار العمال الصالحين ، وأرشده الى انتقائهم من بين العلماء ، فكان كل واحد منهم علما من أعلام الاسلام في عصره ، وسيأتي ذكرهم تفصيلا فيما بعد ان شاء الله .

تفرغه للخلافة وانشغاله بمسئولياتها :

على أن هناك ظاهرة على عهد عمر بن عبد العزيز لم يختلف عليها اثنان ، وهي : انه حين آلت اليه الخلافة فرغ نفسه ، وكرس جهده ، ووقته كي ينهض بأعبائها ، وكان له من خشية الله دافع ، ووازع ، ويؤكد لنا ذلك تصرفاته منذ اللحظة الأولى لتوليه ، فلما رجع من دفن سليمان - وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه - انقلب الى بيته وهو مهتم مهموم ، فقال له مولاه : مالك هكذا مغتما مهموما ، وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال له عمر ويحك ، وما لي لا أغتم ، وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة الا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه اليه ، سواء كتب الي في ذلك أو لم يكتب ، طلبه مني أو لم يطلب[٥] .

(١) هو محمد بن الزبير التميمي الحنظلي البصري روى عن الحسن البصري روى عنه جرير بن حازم وابن اسحق (ت ٢ هـ) انظر ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٣/٢/٢٥٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩/١٦٧ .
(٢) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي روى عن يوسف بن عبد الله وعنه الزهري توفي سنة بضعة عشرة ومائة انظر النووي : تهذيب الاسماء واللغات : ٢/١/٤١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/١٧١-١٧٣ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٩٥ .
(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٥ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٩٨ .

حقا من طلب شرف الآخرة اغتم مما أوكل اليه من مسئولية هو مسئول عنهـا يوم يسأل الله عباده .

ولكي يكون على قدر المسئولية التي انيطت به فرغ نفسه لها كلية ، قالوا : انه خير زوجته فاطمة بنت عبد الملك بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له اليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت فاطمة ، وبكى جواريها لبكائها ، فسمعت ضجة فـي بيته ، ثم اختارت فاطمة مقامها معه على كل حال (١).

كذلك خير جواريه فقال لهن : " قد نزل بي أمر قد شغلنا عنكن ، فمـن أحب أن أعتقه أعتقته ، ومن أمسكته لم يكن مني اليه شيء ، فبكين يأسا منه " (٢).

وحتى أصدقاءه ترك صحبتهم من أجل هذا العمل العظيم ، فيروى أن رجلا قال له : " تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغـل شاغـل وعدلت عن طرق السـلامة

ذهب الفـراغ فلا فـرا غ لنا الى يوم القيامـة (٣) .

وحتى جارية زوجته التي كان محبا لها ، معجبا بها وطالما تمنى قربهـا وتودد لزوجته أن تهبها له ، أو تبيعها اليه ، فرفضت ذلك ، ولما أفضت الخلافـة اليه ، ألبستها ، وزينتها له زوجته فاطمة ، وأهدتها له ، فلما اختلى بهـا أعرض عنها ، فتعرضت له الجارية ، فصدف عنها ، فقالت له : ياسيدي ، أين ما كـان يظهر لي من محبتك اياي ؟ فأجابها عمر : والله ان محبتك لباقية كما هي ، ولكـن لا حاجة لي في النساء ، فقد أتاني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألها عن أصلهـا فردها الى أهلها (٤) .

---

(١) يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧ هـ) المعرفة والتاريخ تحقيق أكرم ضياء العمري (طبغداد) ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ١/ ٦٠٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية ١٩٨/٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٩٦/٥ ـ ٣٩٧ ، وانظر ابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠١/٩ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠١/٩ .

المبحث الثالث

" على طريق الاصلاح "

لم يختلط عمر بن عبد العزيز فى حياته قبل الخلافة بكثير من عامة الناس ، فمثلا لم يعايش الخادم فى عمله ، ولا المزارع فى مزرعته ، ولا المولى ، ولا الذمى ، الا أنه رغم بعد حياته الخاصة عن تلك الأجواء التى كان يعيشها كل واحد من هؤلاء ، فان ما أحدثه من اصلاحات تبين وكأنما قد عاش مع كل واحد منهم حياته ، وعرف بدقة متناهية ما يعانيه كل منهم ، وما يحتاج اليه كى يحيا الحياة الكريمة التى ترضى شخصا مسلما ملتزما مثله ، وكأنى به فيما أوجده من اصلاحات باحث اجتماعى ، الا أنه يفترق عنه أن جعل أساس تفكيره واصلاحه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما جرى عليه السلف الصالح ، ابتغاء مرضاة الله ، وخشية منه . روى ابن كثير عن فاطمة زوجة عمر رضى الله عنه أنها قالت : " دخلت يوما عليه وهو جالس فى مصلاه واضعا خده على يده ، ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : ما لك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور ، والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير ، والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فخشيت أن لا يثبت لى حجة عند خصومته ، فرحمت نفسى فبكيت " . (١)

ولا غرو فجده عمر بن الخطاب قد قال قبله : " لو ماتت شاة على شاطىء الفرات ضائعة ، لظننت أن الله ، عز وجل سائلى عنها يوم القيامة " . (٢)

---

(١) المصدر السابق : ٩/٢٠١ .

(٢) ابن الجوزى : مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تحقيق زينب ابراهيم القاروط (ط بيروت) ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ١٦١ .

ولقد انعكس هذا الاحساس والايمان والالتزام من عمر بن عبد العزيز على كل ما قام به من اصلاح ابان ولايته أمر الأمة .

وبعد أن بينا المنهج الذى حدده عمر لسياسته والأعوان الذين اختارهم ليساعدوه فى ذلك ، علينا أن نتبين خطوات هذه السياسة الاصلاحية ، منذ أن ولى، وعلى مدى خلافته التى استمرت سنتين وبضعة أشهر ، صنع خلالها ما يشبه المعجزة .

أولا : " الاصلاحات الادارية "

أ ــ ترك مظاهر البذخ والاسراف التى سادت قبله :

لقد طفت على عمر مظاهر الورع والدين والصيانة والتقشف والنزاهة منذ يوم استخلافه ، فكان أول ما أنكره الناس منه ، أنه لما غسل سليمان ابن عبد الملك ، وكفن ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، ودفن ، أتى عمر بمراكب الخلافة ، وهى البراذين ، والخيل ، وكان لكل دابة سائس فقال: عمر ماهذه ؟ فقالوا له : مراكب الخلافة لم تركب من قبل ، يركبها الخليفة عندما يلى فقال عمر : ما لى ولها ، نحوها عنى ، بغلتى أوفق لى . فأتوه بدابته فركبها ، وقفل راجعا [1] ، بعد أن أمر مزاحما مولاه بضم تلك المراكب ، والسرادقات والحجر التى لم يجلس فيها أحد قط والتى جرت العادة أن تضرب للخليفة أول ما يولى الى بيت المال [2].

ثم أتاه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، كعادته مع الخلفاء السابقين من بنى أمية ، فقال له عمر : تنح عنى مالى ولك ؟ انما أنا رجل من المسلمين ثم سار مع عامة الناس [3].

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٣٨/٥ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٣ ، ابن الأثير :الكامل ٤١/٥ ، ابن كثير :البداية والنهاية ١٩٨/٩ .

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٩٨/٩ .

(٣) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٣ ، الدميرى : حياة الحيوان ، ٦٨/١ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ٣١٦/٢ .

ثم تابع سيره قاصدا منزله فقالوا له : أتنزل منزل الخلافة ، فقال لهم : لا يزال به أهل أبي أيوب ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا عنه ، فأقام في بيته حتى فرغوه . (١)

ثم دخل القصر ، وكان قد فرش بفرش سليمان بن عبد الملك ، التي كان يجلس عليها ، فرفض الجلوس عليها ، وجلس على وسادة أرمينية طرحها بينه وبين الأرض ، وقال : والله لولا أني في حوائج الناس ما جلست عليك (٢) ، وفي رواية أخرى أن عمر قعد للناس على الأرض ، فقالوا له : لو أمرت ببساط يبسط لك ، وللناس تجلسون عليه ، كان ذلك أهيب لك في قلوب الناس ، فتمثل :

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى ... له صبوة احدى الليالي الغوابر
ولولا التقى من خشية الموت والردى ... لعاصيت في حب الصبا كل زاجر (٣)

ثم أمر بستور دار الخلافة فهتكت ، وبالبسط فرفعت ، وأمر ببيعها وادخال أثمانها في بيت مال المسلمين (٤)

وبات عيال سليمان بن عبد الملك يلبسون من الثياب ما لم يلبس حتى تتكسر ، ويفرغون الطيب ، والأدهان من قارورة الى أخرى ، لأنه كان من عادة الخلفاء الأمويين ، اذا مات الخليفة ، فما لبس من الثياب ، أو مس من الطيب ، أصبح لولده من بعده ، وما لم يلبسه من ثياب ، وما لم يمسه من طيب ، صار للخليفة الجديد من بعده ، فلما أصبح عمر بن عبد العزيز قال له عيال سليمان بن عبد الملك : هذا لك وهذا لنا . ترديدا لما جرى عليه الحال وسبق ذكره . فقال عمر : ما هذا لي ، ولا لسليمان ، ولا لكم فأمر مزاحما بضم كل ذلك الى بيت مال المسلمين (٥) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٣٨/٥ .
(٢) المصدر السابق ٣٤٠/٥ ـ ٣٤١ .
(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٣١ .
(٤) الدميري : حياة الحيوان ٦٩/١ ، الدياربكري : تاريخ الخميس ٣١٦/٢
(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٣ ـ ٣٤ .

كما أنه قام بتسريح الحرس الموكول له حراسة الخلفاء ، فيذكر ابن عساكر بسنده عن الحكم بن عمر أنه قال : " شهدت عمر يقول لحرسه ان بي عنكم لغنى ، كفى بالقدر حاجزا ، وبالأجل حارسا ، ولا أطرحكم من مراتبكم ليجرى لكم سنة بعدى من أقام منكم فله عشرة دنانير ومن شاء فليلحق بأهله " (١).

وهكذا صرف عمر بن عبد العزيز كل مظاهر الخلافة ، التى استحدثها الخلفاء الأمويون وأحيا سنة الخلفاء الراشدين ، الذين كانوا يجلسون على الأرض ، ويفترشون التراب ، ويركبون الدواب ، ويلبسون ما يلبس أى فرد فى الرعية ، لا تمييز ولا فروق بينهم ، وبين عامة رعيتهم .

كما كتب الى عماله يأمرهم بالانتهاء عن الصلاة على الخلفاء ، والأمراء ، وأمرهم بالدعاء لعامة المسلمين ، يقول ابن عبد الحكم : " وكتب عمر بن عبد العزيز ... : أما بعد ، فان الناس ما اتبعوا كتاب الله نفعهم فى دينهم ، ومعايشهم فى الدنيا ، ومرجعهم الى الله فيما بعد الموت . وان الله أمر فى كتابه بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٢) . صلوات الله على محمد رسول الله والسلام عليه ورحمة الله وبركاته . ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (واستغفر لذنبك ، وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) (٣) . فقد جمع الله تبارك وتعالى فى كتابه أن أمر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين والمؤمنات ، وان رجالا من القصاص قد أحدثوا صلاة على خلفائهم ، وأمرائهم ، عدل ما يصلون على النبى وعلى المؤمنين . فاذا أتاك كتابى هذا ، فمر قصاصكم فليصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، وليكن فيه اطناب دعائهم وصلاتهم ، ثم يصلوا على المؤمنين والمؤمنات ، وليستنصروا الله ، ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين . وليدعوا

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٥٢ ب — ١٥٣ أ ، وانظر ابن الجوزى:سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٨ .

(٢) آية ٥٦ من سورة الأحزاب .

(٣) آية ١٩ من سورة محمد .

ما سوى ذلك ، فنسأل الله التوفيق فى الأمور كلها ،والرشاد والصواب والهدى فيما يحب ويرضى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والسلام عليك " (١).

ويمكننا اضافة الى ما تقدم أن نقول : أن عمر لم يكتف بهذا ، بل عمد الى عبيد القصر المتواجدين فيه ففرقهم ، بين المحتاجين قال الحكم بن عمر الرعينى : " شهدت عمر حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفه ، ورزق خدمها . قال : وكم هى؟ قالوا : هى كذا وكذا . قال : ابعث بها الى أمصار الشام يبيعونها فيمن يزيد ، واجعل أثمانها فى مال الله عز وجل تكفينى هذه الشهباء . وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم ، وكسوتهم وما يصلحهم . فقال عمر : كم هم ؟ قال : هم كذا وكذا ألفا . فكتب الى أمصار الشام ، أن ارفعوا الى كل أعمى فى الديوان ، أو مقعد ، أو من به فالج ،أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام الى الصلاة . فرفعوا اليه . فأمر لكل أعمى بقائد ، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم . وفضل من الرقيق فكتب أن ارفعوا الى كل يتيم ، ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية " (٢).

وكما فعل بعبيد القصر ، فعل بالجوارى فيذكر ابن عبد الحكم فيقول : " فتوامر الوزراء فيما بينهم ، فقالوا : أما المراكب ، والسرادقات ، والحجر والشوار (٣) ، والوطاء فليس فيه رجاء ، بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهى الجوارى ،نعرضهن عليه ، فعسى أن يكون ما تريدون فيهن ، فان كان ، والا فلا طمع لكم عنده ،فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدمى ،فلما نظر اليهن جعل يسألهن واحدة واحدة من أنت ؟ ولمن كنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٦ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٣) الشوار : بالفتح متاع البيت والرحل راجع الرازى : مختار الصحاح ص ٣٥

أخذت ، فيأمر بردهن الى أهليهن ويحللن الى بلادهن حتى فرغ منهن فلما رأوا ذلك أيسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق " (١) . ثم نهى الناس عن القيام له فقال : " يا معشر الناس ان تقوموا نقم وان تقعدوا نقعد فانما يقوم الناس لرب العالمين " (٢) " ومنع حراسه عن فعل ذلك ومن بدئه بالسلام فقال لهم . " لا تبدئونى بالسلام انما السلام علينا لكم " (٣) كما أباح للمظلومين الدخول عليه بغير اذن (٤) .

ب - عزلة الولاة الظالمين :

كما عمد عمر بن عبد العزيز من أول يوم ولى فيه الخلافة الى اراحة الرعية من ظلم بعض عمال الدولة الأموية الذين طالما تودد وا لخلفائهم على حساب ظلم رعيتهم بغية أن يحظوا لديهم ، ويؤثروا فيروى ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز دعا بدواة وقرطاس فور انتهائه من دفن سليمان ، وكتب ثلاثة كتب حمل أحدها عزل أسامة بن زيد التنوخى وكان على خراج مصر ، وقد أمر عمر أن يحبس فى كل جند سنة ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة ثم يرد فى القيد ، عقابا له لأنه كان غاشما ظلوما معتديا فى العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل ، يقطع الأيدى فى خلاف ما يؤمر به ، ويشق أجواف الدواب ، فيضع فيها القطاع ، ويطرحها للتماسيح ، فحبس بمصر سنة ، ثم نقل الى أرض فلسطين ، فحبس بها سنة ثم مات عمر ، فرده يزيد على مصر (٥).

كما حمل الكتاب الثانى عزل محمد بن يزيد مولى ريحانه بنت أبى العاص الذى ولاه سليمان بن عبد الملك افريقية سنة سبع وتسعين (٦).

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤ ـ ٣٥

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٦ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٦) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣١٨

ويروى ابن عبد الحكم أنه كان " عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور ، والمخالفة للحق ، وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح ، ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون ، وهو يقول : سبحان الله والحمد لله شد يا غلام موضع كذا وكذا لبعض مواضع العذاب وهو يقول : لا اله الا الله والله أكبر شد يا غلام موضع كذا وكذا ، فكانت حالته تلك شر الحالات " (١).

كما عزل عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب الذى ولي خراسان (٢) من قبل سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٧ هـ (٣) ، وكان يزيد قد استطاع فتح جرجان (٤) ، وطبرستان (٥) في عام ٩٨ هـ ، فكتب الى سليمان بن عبد الملك يخبره بذلك ، وأنه صار لديه من خمس ما أفاء الله على المجاهدين

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢ – ٣٣ .

أما الكتاب الثالث فقد حمل أمره بعودة الجيش المرابط على أسوار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك والذى أنفذه سليمان بن عبد الملك لفتحها فلم يحالفه الحظ ، انظر المصدر السابق ص ٣٢ .

(٢) خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق آزاذوار وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها ، ياقوت : معجم البلدان : ٢/٣٥٠ .

(٣) الطبري : تاريخ ٦/٥٢٣ .

(٤) جورجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه ، وقيل ان اول من احدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء ، والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي ياقوت : معجم البلدان : ٢/١١٩ .

طبرستان : هي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم ، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه ، والغالب على هذه النواحي الجبال ، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل ، وهي قصبتها ، وسارية ، وهي مثلها ، وشالوس ، وهي مقاربة لها ، وربما عدت جرجان من خراسان الى غير ذلك من البلدان .

المصدر السابق : ٤/١٣ .

المسلمين ـ بعد أن صار الى كل ذى حق حقه من الغنيمة والفىء ـ ستة آلاف ألف ، وأنه سوف يحمل ذلك المال الى الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وكان كاتبه ويدعى المغيرة بن أبى مرة مولى بنى سدوس قد حذره من هذا ، وقال له : " لا تكتب بتسمية مال ، فانك من ذلك بين أمرين : اما استكثره فأمرك بحمله ، واما سخت نفسه لك به فسوغكه فتكلفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شىء الا استقبله ، فكأنى بك قد استغرقت ما سميت ، ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الذى سميت مخلدا عندهم عليك فى دواوينهم ، فان ولى وال بعده أخذك به ، وان ولى من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فلا تمض كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، سله القدوم فتشافهه بما أحببت مشافهة ، ولا تقصر ، فانك ان تقصر عما أحببت أحرى من أن تكثر .

فأبى يزيد وأمضى . وقال : بعضهم كان فى الكتاب أربعة آلاف ألف " (١) .

وعند ما تولى عمر الخلافة عزل يزيد بن المهلب عن العراق فى سنة تسع وتسعين للهجرة (٢)

وقد كان عمر " يبغض يزيد وأهل بيته ، ويقول هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم ... ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التى كتب بها الى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت ، وانما كتبت الى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى بشىء سميت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد فى أمرك الا حبسك ، فاتق الله وأد ما قبلك ، فانها حقوق المسلمين ، ولا يسعنى تركها ، فرده الى محبسه ... وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان ... حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه ، فحمد الله ، وأثنى عليه

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٣٢/٦ ، ٥٤٤ ـ ٥٤٥ .

(٢) المصدر السابق ٥٥٤/٦ .

ثم قال : ان الله يا أمير المؤمنين ، صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتلينا بك ، فلا نكن أشقى الناس بولايتك ، علام تحبس هذا الشيخ !! أنا أتحمل ما عليه ، فصالحني على ما اياه تسأل ، فقال عمر : لا الا أن تحمل جميع ما نسأله اياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان كانت لك بينة فخذ بها ، وان لم تكن بينة فصدق مقالة يزيد ، والا فاستحلفه ، فان لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجد الا أخذه بجميع المال ...

فلما أبى يزيد أن يؤدى الى عمر شيئا ، ألبسه جبة من صوف ، وحمله على جمل ، ثم قال : سيروا به الى دهلك[1] ، فلما أخرج فمر به على الناس أخذ يقول : ما لى عشيرة ، مالى يذهب بى الى دهلك ! انما يذهب الى دهلك بالفاسق المريب المخارب ، سبحان الله ! أما لى عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولانى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اردد يزيد الى محبسه ، فانى أخاف ان أمضيته أن ينتزعه قومه ، فانى قد رأيت قومه غضبوا له . فرده الى محبسه ، فلم يزل فى سجنه ذلك حتى بلغه مرض عمر "[2] .

ولم يكتف عمر بعزله بل عزل كل الولاة الذين ولاهم يزيد بحكم عمله كوال للعراق وخراسان وهؤلاء الولاة هم :

١ ـ مروان بن المهلب والى البصرة .

٢ ـ سفيان بن حريش الخولانى والى الكوفة .

٣ ـ مخلد بن يزيد والى خراسان .

٤ ـ معاوية بن يزيد والى سجستان .[3]

٥ ـ حبيب بن المهلب والى السند[4] من قبل صالح بن عبد الرحمن والى يزيد بن المهلب على العراق .

٦ ـ زياد بن المهلب والى عمان .

---

(١) دهلك : جزيرة في بحر اليمن وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة ياقوت : معجم البلدان ٢/٤٩٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٦/٥٥٧ - ٥٥٨ .

(٣) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة اسم مدينتها زرنج بينها وبين هراة ثمانين فرسخا . ياقوت : معجم البلدان ٣/١٩٠ .

(٤) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان . ياقوت : معجم البلدان ٣/٢٦٧ .

كما عزل عمر بن عبد العزيز والى سليمان بن عبد الملك على اليمامة نوح بن هبيرة وسليمان بن سعد مولى خشين عامل سليمان على ديوان الخراج والجند (١) ، وحاجب سليمان أبو عبيد (٢) .

يضاف الى ذلك عزله لخالد بن الريان صاحب الحرس لبأوه وهيئته ، يروى ابن الجوزى عن الليث بن سعد : " أن خالد بن الريان عزله عمر - وكان سيافا يقوم على رؤوس الخلفاء - وقال : انى لأذكر بأوه وهيئته ، اللهم انى أضعه لك ، فلا ترفعه أبدا . قال : فحدثنى نوفل بن الفرات قال : ما رأيت شريفا خمد ذكره حتى لا يذكر ، حتى ان الناس ليقولون : ما فعل خالد ؟ أحى هو أم قد مات ؟ " (٣) .

ج - اهتمام عمر بالقضاء :

وقد وجه عمر بن عبد العزيز اهتماما كبيرا نحو القضاء ، باعتباره سبيلا الى حماية حقوق الناس ، وصيانتها من الضياع ، فى خضم المنازعات التى كثيرا ما تقع بينهم ، ولا يخلو منها أى مجتمع . ولا شك فى أن شخصية القاضى وما ينبغى أن يتحلى به من صفات النزاهة ، والعدالة ، والعلم ، والذكاء ، وقوة الشخصية ، هى عماد كل اصلاح ، وأساس كل نجاح فى هذا المجال .

ولقد حدد عمر تلك الصفات التى لا يصح أن يتجرد منها القاضى المسلم الذى يقبل حكمه عن طيب خاطر ، وذلك فيما ذكر ابن سعد عن مزاحم بن زفر الذى قال : " قدمت على عمر بن عبد العزيز فى وفد أهل الكوفة ، فسألنا عن بلدنا ، وأميرنا ، وقاضينا ، ثم قال : خمس ان أخطأ القاضى منهن خصلة كانت فيه وصمة : أن يكون فهيما ، وأن يكون حليما ، وأن يكون عفيفا ، وأن يكون صليبا ، وأن يكون عالما يسأل عما لا يعلم " (٤) ، ولذلك كان

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢) أبو زرعة الدمشقى : تاريخ ٣٥٦/١ - ٣٥٧ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٨ .

(٤) الطبقات ٣٦٩/٥ .

يجتهد للأمة فى اختيار قضاتها ، ويحرص على أن يكونوا من هؤلاء الذين يرضاهم فى دينهم ، وعلمهم ، وسلوكهم ، ليهدأ باله ، وتستريح نفسه ويطمئن الى سيادة العدل بين الرعية ، فمن قضاة عمر :

اياس : المعروف باياس الذكى (ت ١٢٢ هـ)

وهو ابن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال المزنى البصرى ، قاضى البصرة وكنيته ، أبو واثلة ، ولجده صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عن أبيه ، وأنس ، وسعيد بن المسيب ، وأبى مجلز وغيرهم ، وعنه محمد بن عجلان وشعبة ، وحماد بن سلمة وغيرهم [1] .

كان اياس من ثقات التابعين ، وثقة ابن سعد ، والعجلى ، وابن معين ، والنسائى ، وابن حبان ، وأضاف ابن سعد : أنه كان عاقلا من الرجال فطنا ، أما العجلى فأضاف : أنه كان فقيها عفيفا ، ضرب المثل بذكائه وعقله وفصاحته واحكامه وفطنته [2] .

وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة فى عام مائة هجرية غير أنه لم يستمر طويلا ، حيث شد رحله الى دمشق بعد عام تقريبا ، ولقى أمير المؤمنين ، واستعفاه من هذه المهمة ، فأعفاه عمر نزولا على رغبته [3] .

---

(١) البخارى : التاريخ الكبير ١/٤٤٢ ـ ٤٤٣ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١/٢٨٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/٣٩٠ .

(٢) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال تحقيق على محمد البجاوى (ط بيروت) ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م ، ١/٢٨٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٣٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٠ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٥ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٤٤ ، ابن كثير البداية والنهاية ٩/٣٣٧ .

ومن أشهر قضاة عمر على البصرة أيضا : الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وهو الحسن بن أبي الحسن أبوسعيد مولى الأنصار ، سيد التابعين البصريين ، الامام المشهور المجمع على جلالته ، وأحد أئمة الهدى والسنة ، وقد لقى عددا كبيرا من الصحابة ، وروى عنهم أمثال : أنس بن مالك ، وابن عمر ، وجندب بن عبد الله ، ومعقل بن يسار ، كما روى عنه خلق كثير ، منهم : أيوب السختياني ، وحميد الطويل ، وقتادة ، ويونس بن عبيد (١) .

وقد اختلف المؤرخون فيما اذا كان عمر قد ولى اياسا قضاء البصرة قبل الحسن البصري ، أو بعده ؟ لكنه على كل قد طلب اعفاءه من منصبه هذا فلبى عدى بن ارطاة طلبه وأعفاه (٢) .

ومن القضاة الأعلام الذين استعملهم عمر بن عبد العزيز : عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ) ، ولاه عمر قضاء الكوفة سنة ٩٩ هـ (٣).

كذلك استقضى عمر على المدينة : أبا طوالة عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري ، التابعي المدني الثقة (٤) .

وبالاضافة الى هؤلاء القضاة ، كان عمر بن عبد العزيز يمارس القضاء بنفسه .

---

(١) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١/١/١٦١ ـ ١٦٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ١/٥٢٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤١ ، خليفة بن خياط : تاريخ ٣٢٤ ، ابن الأثير الكامل ٥/٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٢٣٧ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤١ ، ابن الاثير : الكامل ٥/١٠٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤١ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/٩٤ ـ ٩٥ .

ومن مواقف قضائه :

ما يرويه الحكم بن عمر الرعينى ، قال : " شهدت مسلمة ابن عبد الملك يخاصم أهل دير اسحاق[١] عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة[٢] ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدى ، ولكن وكل بخصومتك من شئت ، والا فجاثى القوم بين يدى : فوكل مولى له بخصومته فقضى عليه بالناعورة "[٣].

وكان دائما يصر على احقاق الحق فى كل عمل يعمله ، ويتراجع عن الحكم ان ظهر له أنه قد أخطأ فيه ، لأنه كان يرى أن الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل . ودليل ذلك ما كان يقوله : " ما من طينة أهون على فتا ولا من كتاب أيسر على ردا من كتاب قضيت به ، ثم أبصرت أن الحق فى غيره ففتقته "[٤].

وهذا هو ما يطابق النص الذى ورد فى رسالة عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى : " ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل "[٥].

د ـ اقامة الحدود :

وقد اجتهد عمر فى اقامة الحدود ، وشدد على تنفيذها بحق من وجبت عليهم ، فارسل الى عماله يقول : " ان اقامة الحدود عندى كاقامة الصلاة والزكاة "[٦].

ويتجلى هذا الاهتمام فيما يلى :

---

(١) دير اسحق : بين حمص وسلمية ، ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٤٩٨ .
(٢) الناعورة : موضع بين حلب وبالس : المصدر السابق ٥ / ٢٥٣ .
(٣) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٣-٧٤ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٥ .
(٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٧١ .
(٦) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٧٨ .

قال عبادة بن نسى : " شهدت عمر بن عبد العزيز يضرب رجلا حدا فى خمر ، فخلع ثيابه ثم ضربه ثمانين ، رأيت منها ما يضع ومنها ما لم يضع ، ثم قال : انك ان عدت الثانية ضربتك ثم ألزمتك الحبس حتى تحدث خيرا ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتوب الى الله أن أعود فى هذا أبدا . قال فتركه عمر " (١) .

كما أقام عمر الحد على من شهد عليه بشرب الخمر فى أرض العدو وكان ذلك فى خناصرة (٢) ، كما أنه لم يقم حد شرب الخمر على من لم يقر بشربها ، فيروى ابن عساكر عن أبى زرارة القتبانى قال : " سمعت مالكا يقول أتى فتيان الى عمر بن عبد العزيز فقالوا : ان أبانا توفى ، وترك مالا عند عمنا حميد الأمجى فأحضره عمر بن عبد العزيز . قال فلما دخل عليه قال : أنت حميد ؟ قال : فقال : نعم قال فقال : أنت القائل .

وحميد الذى أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الاصلع
أتاه المشيب على شربها فكان كريما فلم ينزع ؟

قال : نعم قال عمر بن عبد العزيز : ما أرانى الا سوف آخذك . قال : ولم ؟ قال : لأنك أقررت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . قال : أيهات أين ذهب بك ؟ ألم تسمع الله عز وجل يقول : (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم ترانهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) ؟ قال فقال عمر : أولأنك يا حميد ما أراك الا وقد أفلت ، ويحك يا حميد كان أبوك صالحا وأنت رجل سوء " (٣) .

كما قام بعقوبة من وقع على بهيمة فضربه دون الحد (٤) .

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٦٥ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٥٤ .
(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٣ ب .
(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٦٥ .

وكذلك قام بعقاب قوم وقعوا على جارية في طهر واحد ، حيث أوجعهم عقوبة [(١)]. ، وذلك منعا لانتهاك الحرمات التي أمر الله باجتنابها .

كما أمر بقطع يد من سرق في أرض العدو ، ثم خرج [(٢)] ، وقطع يد من سرق من المغنم بعد أن سأل أهو ممن أوجف في المغنم ؟ فلما أعلم أنه لم يوجف قطع يده [(٣)] .

وعفا عن من سرق لفقره ، فيروى ابن الجوزى : أن عمر بن عبد العزيز " أتى اليه بسارق فشكا اليه الحاجة فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم " [(٤)].

ولم يمر في خلافته جلد أحدا الا رجلا ، تناول معاوية عنده ، فيروى ابن سعد عن ابراهيم بن ميسرة أنه قال : " ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب أحدا في خلافته ، غير رجل واحد تناول من معاوية فضربه ثلاثة أسواط " [(٥)] .

ولم يكن يتهاون في اقامة حد من حدود الله ، بالرغم مما اشتهر عنه من حب للرأفة والرحمة ، ودعوته لعماله بأن يسلكوا في ذلك مع الرعية ، ولكنه في الحدود حسمها في رسالته لأحد عماله ، قال فيها " لا تبلغ في العقوبة أكثر من ثلاثين سوطا الا في حد من حدود الله " [(٦)].

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٥٤ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٥٤ .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٩ .

(٥) الطبقات ٥/ ٣٨٤ .

(٦) المصدر السابق ٥/ ٣٨٥ .

كما أنه رفض تعذيب الناس لاستخلاص حقوق بيت المال منهم ، فيذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عدى بن أرطاه ، عامله على البصرة ، يقول : " أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك عمالا قد ظهرت خيانتهم ، وتسألني أن آذن لك فى عذابهم ، كأنك ترى أنى لك جنة من دون الله ، فاذا جاءك كتابى هذا فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك ، والا فأحلفهم دبر صلاة العصر بالله الذى لا اله الا هو ، ما اختانوا من مال المسلمين شيئا ، فان حلفوا فخل سبيلهم ، فانما هو مال المسلمين ، وليس للشحيح منهم الا جهد أيمانهم ولعمرى ، لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب الى من ألقى الله بدمائهم والسلام " (١) .

كما حذر عماله من التمثيل بالناس ، وفى هذا الصدد روى الخولانى عن عمر بن خير ان الجذامى، وعثمان بن داوود أنهما قالا : " كتب عمر بن عبد العزيز الى عبيدة بن عبد الرحمن السلمى بأذربيجان : انه بلغنى أنك تحلق الرأس واللحية ، وانه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله جل وعلا جعل هذا الشعر نسكا ، وسيجعله الظالمون نكالا) فاياك والمثلة : جز الرأس واللحية ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثله " (٢) .

بالاضافة الى ذلك كان ملتزما فى حد القصاص التزاما كاملا ، بحيث منع قتل أحد سب خليفة ، فقال : " لا يقتل أحد فى سب أحد الا فى سب نبى " (٣) .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٥ ، وانظر ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) عبد الجبار بن عبد الله بن محمد الخولانى (ت بعد ٣٧٠هـ) تاريخ داريا (ط دمشق ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م) ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٧٩ .

تشدده في أمر الخمر :

التفت عمر بن عبد العزيز من بين ما التفت اليه الى الخمر وقد رأى أن الناس قد بدأوا يتعاطونها في أشكال مختلفة محاولين استغلال اباحة بعض المشروبات كالطلاء على عهد عمر بن الخطاب وأخذوا يحيلونه الى مسكر ، تحايلا منهم على حدود الله ، وكان ذلك دليلا على ما بدأ يصيب المجتمعات الاسلامية من محاولة أفراد منها تناسي حدود الله وما جاء به الشرع ليحللوا لأنفسهم بعض ما حرم عليهم ، وكان الخمر أحد هذه الحدود التي حاولوا التحايل عليها ، ونتيجة لاعتصام عمر بن عبد العزيز بالعمل بالكتاب والسنة ، وهذا يتوجب عليه احلال ما أحلا ، وتحريم ما حرما ، وهو ما ذكره في خطبته الأولى وأرسل به الى عماله في الأمصار ، ولهذا رأى أنه ان تهاون في ردع الناس عن هذا وأمثاله معناه الاجتراء على كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، من أجل ذلك كان اهتمامه بأمر الخمر ، باعتبارها احدى الكبائر ، وشيوعها يغرق المجتمع الاسلامي في المعاصي ، ومن أجل ذلك أرسل الى عماله كتابا جاء فيه " ... ثم ان الطلاء لاخير فيه للمسلمين ، انما هو الخمر يكنى باسم الطلاء ، قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة ، وقد علمت أن ناسا يقولون : قد أحله عمر رضي الله عنه ، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا . وان عمر انما أتى منه بشراب طبخ حتى خثر ، فقال حين أتى : أطلاء هذا ؟ يعني به طلاء الابل ، فلما ذاقه قال : لا بأس بهذا ، فأدخل الناس فيه بعد عمر ، أما من شربه من صالحيكم فانهم شربوه قبل أن يتخذ مسكرا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرام كل مسكر على كل مؤمن ، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دلسه ، ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة ، وأن يحرموه ، فانه من أجمع الأبواب للخطايا وأخوفها عندي أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم " (١)

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١ ـ ٨٢

ومن الاحتياطات التي تحوط بها عمر بن عبد العزيز لمنع تداول الخمر بين المسلمين ، أنه حرم على أهل الذمة أن يدخلوا بها الى أراضي الدولة الاسلامية ، فامتنعوا عن ادخالها (١) ، وقد شاهده الناس بأم أعينهم وهو يأمر بزقاق الخمر أن تشق ، وبالقوارير أن تكسر (٢) ، وتنفيذا لما هدد به من اقامة الحد على شاربها ، شوهد يحد رجلا شربها ، فيروى ابن سعد عن عبادة بن نسي أنه قال : " شهدت عمر بن عبد العزيز يضرب رجلا حدا في خمر ، فخلع ثيابه ثم ضربه ثمانين ، رأيت منها ما بضع ومنها لم يبضع ، ثم قال : انك ان عدت الثانية ضربتك ، ثم ألزمتك الحبس ، حتى تحدث خيرا ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتوب الى الله أن أعود في هذا أبدا . قال فتركه عمر ." (٣)

أما الذين استتروا داخل بيوتهم أثناء شربهم الخمر فلم يحدهم ، قال عبد المجيد بن سهيل : " قدمت خناصرة في خلافة عمر بن عبد العزيز واذا قوم في بيت أهل خمر وسفه ظاهر ، فذكرت ذلك لصاحب شرطة عمر ، فقلت انهم يجتمعون على الخمر ، انما هو حانوت ! فقال : قد ذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : من وارت البيوت فاتركه " (٤) .

هـ — السجون :

ومما اهتم به عمر في هذا المجال : اصلاح السجون ورعاية المسجونين ، ولذلك فقد كتب الى أمراء الأجناد قائلا : " وانظروا من في السجون ممن قام عليه الحق ، فلا تحبسه حتى تقيمه عليه ، ومن أشكل أمره فاكتب الى فيه ، واستوثق من أهل الذعارات فان الحبس لهم نكال ، ولا تعد في العقوبة ، ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال ، واذا حبست

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٦٥ .

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٦٥ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٦٥ .

(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٦٥ .

قوما فى دين فلا تجمع بينهم وبين أهل الذعارات فى بيت واحد ، ولا حبس واحد ، واجعل للنساء حبسا على حدة ، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به ، ومن لا يرتشى فان من ارتشى صنع ما أمر به " [١].

والظاهر أن عمر بن عبد العزيز قام بهذا التصحيح ، لما جرى عليه بعض الولاة من أمثال الحجاج وغيره ، ذكر ابن كثير فقال " أطلق سليمان ابن عبد الملك فى غداة واحدة واحدا وثمانين ألف أسير كانوا فى سجن الحجاج ، وقيل انه لبث فى سجنه ثمانون ألفا ، منهم ثلاثون ألف امرأة ، وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابى وجد يبول فى أصل ربض مدينة واسط [٢] ، وكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط خرينا وصلينا بغير حساب " [٣].

ولم يكتف بذلك بل كان يأمر عماله بالرفق بالمسجونين ، وفى هذا الصدد يروى أن عمر كتب الى عامله يقول : " أما بعد ، فاستوص بمن فى سجونك ، وأرضك خيرا حتى لا تصيبهم ضيعة ، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والادام " [٤].

بل وأكثر من ذلك ، كان يأمر عماله بتفقد أحوالهم أسبوعيا ، فيروى عبد الله بن أبى بكر ، أن عمر كتب الى عامله على المدينة أبى بكر بن عمرو بن حزم يأمره أن يعرض أهل السجون فى كل يوم سبت وأن يستوثق من أهل الذعارات [٥].

---

(١) المصدر السابق : ٣٥٦/٥ .

(٢) واسط : مدينة بالعراق بناها الحجاج الثقفي في منتصف المسافة بين البصرة والكوفة ، ياقوت : معجم البلدان ٣٤٧/٥ .

(٣) البداية والنهاية ١٣٦/٩ ، وانظر محمد بن محمد بن نباتة المصرى (ت ٧٦٨ هـ) : سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون (ط مصر) ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٧م ص ٩٩ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٣٧٧/٥ .

(٥) المصدر السابق ٣٥٧/٥ .

كما طلب من عماله أن لا يسجنوا أحدا فى وثاق لا يمكنه من تمام الصلاة . ذكر أبو يوسف عن جعفر بن برقان أنه قال : " كتب الينا عمر ابن عبد العزيز : لا تدعن فى سجونكم أحدا من المسلمين فى وثاق لا يستطيع أن يصلى قائما ، ولا تبيتن فى قيد الا رجلا مطلوبا بدم ، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم فى طعامهم وأدمهم والسلام " (١)، وهذه تعتبر من مستحدثات عمر بن عبد العزيز (٢) .

ولم يقف اهتمام عمر بالمسجونين عند حد اطعامهم ، وتفقد أحوالهم ، بل أمر لهم بالكساء صيفا وشتاء ، فيروى موسى بن عبيده ، أن عمر بن عبد العزيز كتب " أن ينظر فى أمر السجون وأن يستوثق من أهل الذعارات ، وكتب لهم برزق الصيف والشتاء . قال موسى : فرأيتهم يرزقون عندنا شهرا بشهر ، ويكسون كسوة فى الشتاء وكسوة فى الصيف " (٣) .

هذا بالاضافة الى ما سأذكره لاحقا عن فرضه العطاء لهم مع بقية الرعية .

وهكذا شمل عمر بن عبد العزيز باصلاحاته وعدله ورأفته المسجونين جميعا ، ولم يتشدد الا مع أهل الذعارات والدم فقط من جهة تقييدهم بالوثاق ، وقد بين ذلك لعامله على المدينة أبى بكر بن حزم الذى قال : " كتب عمر بن عبد العزيز ، أن أحبس أهل الذعارات فى وثاق وأهل الدم . فكتبت اليه أسأله : كيف يصلون من الحديد ؟ فكتب الى عمر لو شاء الله لا بتلاهم بأشد من الحديد ، يصلون كيف تيسر على أحدهم وهم فى عذر فأما الوثاق فانى وجدت أبا بكر رحمه الله كتب أن يبعث اليه برجال فى وثاق منهم قيس بن مكشوح المرادى وغيره " (٤) .

---

(١) ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ) كتاب الخراج (ط القاهرة) ١٣٩٢ هـ ، ص ١٦٢ .

(٢) الدميرى : حياة الحيوان ١/٦٨ ، والعيون والحدائق وأخبار الحقائق : لمؤلف مجهول (ط ليدن) ١٨٧١ م ، ص ٦٣ .

(٣) ابن سعد الطبقات ٥/٣٥٦ .

(٤) المصدر السابق ٥/٣٥٧ .

و ـ موقف عمر من الفرق الخارجة على الدولة الأموية :

كان من العلامات البارزة في تاريخ بني أمية خروج عدد من الفرق عن طاعة ولي الأمر الأموي لاختلافهم واياه في الرأى . وقد ترتب على ذلك صدام بين تلك الفرق وخلفاء بني أمية ، كاد - في بعض الأحيان - أن يودى بالخلافة الأموية ، غير أن عمر بن عبد العزيز حين ولى الأمر لجأ الى أسلوب اختلف فيه مع سلفه من بني أمية ، وهو محاولة اعادتهم الى صفوف جماعة المسلمين عن طريق الحجة والاقناع .

والفرق التي كانت موجودة على عهده هي : الخوارج ، والقدرية ، والشيعة ، وكان له مع كل واحدة منها جولة اختلفت في الشكل وان اتفقت في الجوهر على النحو التالي :

١ - الخوارج : عمد عمر بن عبد العزيز ألا يحارب الخوارج كما فعل من سبقه الا بعد أن يلقمهم الحجة ، فلا يكون هو البادئ بالعداء ، بل يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيروى الطبرى ، أنه في سنة مائة للهجرة حين خرج شوذب ، واسمه بسطام ، من بني يشكر في ثمانين رجلا كان أكثرهم من ربيعة في منطقة جوخى[(١)] كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله على الكوفة عبد الحميد عبد الرحمن يأمره ألا يحركهم ، الا أن يسفكوا دما ، أو يفسدوا في الأرض ، وفي نفس الوقت وصل بسطام كتاب من عمر بن عبد العزيز يذكر له فيه " بلغني أنك خرجت غضبا لله ولنبيه ، ولست بأولى بذلك مني ، فهلم أناظرك ، فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وان كان في يدك نظرنا في أمرنا " فكتب اليه بسطام : " قد أنصفت ، وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ، ويناظرانك "[(٢)].

---

(١) جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، وهو بين خانقين وخوزستان ، ياقوت : معجم البلدان ٢/١٧٩ .

(٢) تاريخ ٦/٥٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٤٥ ، الأربلي : الذهب المسبوك ص ٢٥ .

ولخص ابن خلدون هذه المناظرة فقال : " فبعث اليه عاصم الحنفى مولى بنى شيبان ، ورجلا من بنى يشكر ، فقدما عليه بخناصرة ، فسألهما ما أخرجكم ؟ وما الذى نقمتم ؟ فقال عاصم : ما نقمنا سيرتك ، انك لتتحرى العدل ، والاحسان ، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ، مشورة من الناس ، أم غلبت عليه ؟ قال عمر : ما سألته ، ولا غلبت عليه ، وعهد الى رجل قبلى فقمت ولم ينكر أحد ، ومذهبكم الرضا لكل من عدل ، وان أنا خالفت الحق فلا طاعة لى عليكم ، قالا : فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم ، فتبرأ منهم والعنهم . فقال عمر : أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها . وان الله لم يشرع اللعن ، وقد قال ابراهيم (ومن عصانى فانك غفور رحيم) (١) ، وقال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٢) وبقى تسمية أعمالهم مظالم ذما ، ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون أنتم لا تلعنونه وهو أخبث الخلق ، فكيف ألعن أهل بيتى وهم مصلون صائمون ؟ ولم يكفروا بظلمهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى الايمان والشريعة ، فمن عمل بها قبل منه ومن أحدث حدثا فرض عليه الحد فقالا : فان النبى صلى الله عليه وسلم ، دعا الى التوحيد والاقرار بما نزل عليه ، فقال عمر : وليس أحد ينكر ما نزل عليه ، ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن القوم أسرفوا على أنفسهم ، قال عاصم : فابرأ منهم ، ورد أحكامهم . قال عمر : أتعلمان أن أبا بكر سبى أهل الردة ، وان عمر ردها بالفدية ، ولم يبرأ من أبى بكر ، وأنتم لا تبرءون من واحد منهما ، (قال فأخبرونى عن أهل النهر وهم أسلافكم هل تعلمون أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا وأن من خرج اليهم من أهل البصرة اعترضوا وقتلوا عبد الله بن خباب)(٣) وجاريته حاملا ، ولم يتبرأ من لم يقتل ممن قتل ، واستعرض ، ولا أنتم

---

(١) آية ٣٦ من سورة ابراهيم
(٢) آية ٩٠ من سورة الأنعام
(٣) صوب هذا النص من العيون والحدائق ص ٤٥ .

تتبرؤون من واحد منهما ، وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم ؟ ولا يسعنى أنا البراءة من أهل بيتى ، والدين واحد فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود ، وتردوا المقبول ، وقد أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،من شهد شهادة الاسلام ، وعصم ماله ودمه ، وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الأديان وتحرمون دماءهم وأموالهم ، فقال اليشكرى : من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها ، ثم صيرها بعده الى رجل غير مأمون ، أتراه أدى الحق الذى لزمه ، فكيف تسلم هذا الأمر بعدك الى يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه ؟ فقال : انما ولاه غيرى ، والمسلمون أولى بذلك بعدى ، قال : فهو حق ممن فعله ، وولاه ، قال : أنظرانى ثلاثا ، ثم جاءه عاصم فرجع عن رأى الخوارج ، وقال له اليشكرى : اعرض عليهم ما قلت ، واسمع حجتهم ، وأقام عاصم عند عمر ، وأمر له بالعطاء ، وتوفى عمر لأيام قلائل " (١) .

ويبدو أن سياسة اللين والرفق هذه السياسة التى استعملها عمر مع الخوارج لم تعجب بعض أصحابه ، فأشاروا عليه باستعمال الرعب والتغير معهم ، لكن عمر ظل يوفق بهم حتى أخذ عليهم ، ورضوا منه ، فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه وقال : يا فلان ، اذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك دون الكى فلا تكوينه أبدا (٢) .

وهكذا كانت السياسة التى اتبعها عمر ازاء الخوارج من عوامل الاستقرار والهدوء ، وسواد الأمن فى الدولة على عهده ، وكانت حجة الخوارج فى مسلكهم وعدم قتالهم عمر بن عبد العزيز لعدله ، وحسن سيرته فى حكمه (٣) .

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨) :تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (ط بيروت) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ٣/ ١٦٢ - ١٦٣ ،وانظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٨ - ١١١ ، وابن الأثير :الكامل ٥/ ٤٥ - ٤٨ ، والعيون والحدائق ص ٤٣ - ٤٦ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ٢/ ٣١٦ .

٢ ـ القدرية :

وكذلك استعمل عمر هذه السياسة مع القدرية ، فأرسل الى عامله على البصرة عدى بن أرطاة يقول : " أما بعد ، فاذا أتاك كتابى هذا فاستتب القدرية ، مما دخلوا فيه فان تابوا فخل سبيلهم ، والا فانفهم من ديار المسلمين " (١) ، كما قام بالكتابة لبعضهم (٢) ، ومناظرة البعض الآخر ، فيذكر أبو زرعة عن عمرو ابن مهاجر أنه قال : " أقبل ـ غيلان وهو مولى لآل عثمان بن عفان ـ وصالح بن سويد الى عمر بن عبد العزيز ، فلقيا مزاحما ـ مولى عمر بن عبد العزيز ـ فسألاه أن يجعلهما فى حرس عمر ، فذكرهما لعمر ، فأدخلهما عليه فكلمهما فسره رغبتهما فى ذلك . فقال : أجلسهما يا عمرو وامنعهما من حمل السيف . قال عمرو : ففعلت : فبلغه أنهما ينطقان فى القدر ، فدعاهما ، فقال : أعلم الله نافذ فى عباده أو منتقض ؟ قالا : بل نافذ يا أمير المؤمنين . قال : ففيم الكلام . فخرجا ، ثم بلغه أنهما قد أسرفا ، فقال : ما هذا الأمر الذى تنطقان فيه ؟ قالا : نقول ما قال الله فى كتابه : (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ...) الى (... واما كفورا) (٣) ثم سكت ، فقال عمر : اقرأ ، فقرأ حتى بلغ : (يدخل من يشاء فى رحمته) (٤) ، فقال عمر : كيف ترى ؟ ... تأخذ الفروع ، وتدع الأصول ثم أخرجهما ، فلما كان عند مرضه بلغه أنهما قد أسرفا ، فأرسل اليهما وهو مغضب ، فقال : ألم يكن فى سابق علم الله ـ حين أمر ابليس بالسجود ـ أنه لا يسجد ؟ قال عمرو : فأومأت اليهما برأسى ، قولا : نعم . فأمر باخراجهما ، والكتاب الى الأجناد بخلاف ما قالا .

فمات عمر قبل أن تنفذ تلك الكتب " . (٥)

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٨

(٢) انظر نص هذا الكتاب فى المصدر السابق ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٣) الآيات ١ ـ ٣ من سورة الانسان .

(٤) آية ٣١ من سورة الانسان .

(٥) تاريخ ١/٣٧١ ـ ٣٧٢ .

٣ـ الشيعة :

كما وجه دعوة المناظرة هذه الى الشيعة ، فيذكر الأزدى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : " قد ناظرت الناس وكلمتهم وانى لأحب أن أكلم الشيعة ، فشخص اليه أبو جعفر (١) بن علي عليه السلام ، ومعه زرارة بن أعين فقال : أخبرني عن مقعدك هذا الذى قعدته ، أبإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قال : فبوصية منه ؟ قال : لا ، فبإجماع من المسلمين أو لأحد ولاية منك ؟ ، قال : لا ، فلما نهض أبو جعفر قال له زرارة : ما تقول فيه ؟ قال : هو خير ممن كان قبله وفلان خير منه " (٢) .

وهكذا عم السلام والاستقرار ، والطمأنينة ، والهدوء لأول مرة فى تاريخ الدولة الأموية — دون سفك لدم أو لجوء لعنف ، وذلك عن طريق الحجة والاقناع النابعين من التمسك بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام — أرجاء الدولة الاسلامية بقيادة عمر بن عبد العزيز .

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن على بن الحسين المتوفى سنة ١١٧ هـ انظر ابن الجوزى : صفة الصفوة تحقيق محمود فاخورى (ط بيروت) ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ١٠٨/٢ — ١١٢ .

(٢) يزيد بن محمد بن اياس الأزدى (٣٣٤ هـ) تاريخ الموصل تحقيق : علي حبيبة (ط / القاهرة) ١٣٨٧ هـ ، ص ٥ .

ثانيا : اصلاحاته المالية :

أ ـ الصدقـــات :

ولقد كان اصلاح عمر للصدقات من الأعمال ذات الأهميـــة البالغة التى تذكر له ، حيث رغب أن يوسيها على أسسها الشرعية السليمة ، لذلك وجب أن نفرد لها جانبا من البحث باعتبارها واحدة من اصلاحاتـــه المهمـة .

فقد كان من نتيجة عزم عمر الأكيد على الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل أمور دولته ، واماتة كل بدعة ، واحياء كل سنة ، أنه " أخذ الصدقة من حقها وأعطاها فى حقها ، وأعطى العاملين بقدر عمالتهم عليها مثـــل ما يعطى مثلهم ، فقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أقمت فريضـــة من فرائضه " (1) ، وهذا النص يشير اشارة واضحة الى أن هذا الركـــن الاسلامى لم يكن قائما كما كان يعمل به أيام رسول الله وخلفائه الراشديـــن ، ولكى يعيده الى حالته الأولى ، اتخذ عمر بن عبد العزيز عددا من الخطوات على النحو التالى :

فالخطوة الأولى : كانت تحقيق السنة المؤكدة ، وما جرى عليه العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، قال محمد بـــن عبد الرحمن الأنصارى : " لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل الى المدينة يلتمس كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصدقات ، وكتاب عمر بـــن الخطاب ، فوجد عند آل عمرو بن حزم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمرو بن حزم فى الصدقات ، ووجد عند آل عمر كتاب عمر فى الصدقـــات مثل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فنسخا له ، قال فحدثنى عمرو بن هرم : أنه طلب الى محمد بن عبد الرحمن أن ينسخه ما فى ذينك الكتابين ، فنسخ له ما فى هذا الكتاب من صدقة الابل ، والبقر ، والغنم

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٧٥

والذهب ، والورق ، والتمر ، أو الثمر ، والحب ، والزبيب ..." (١) .

كما طلب من ابن شهاب الزهرى أن يكتب له أهل الصدقة الذين يطيب لهم أخذها ، ومن تحرم عليه. فكتب اليه الزهرى : " هذه منازل الصدقات ومواضعها ان شاء الله ، وهى ثمانية أسهم : فسهم للفقراء، وسهم للمساكين ، وسهم للعاملين عليها ، وسهم للمؤلفة قلوبهم ، وسهم فى الرقاب ، وسهم للغارمين ، وسهم فى سبيل الله ، وسهم لابن السبيل" ثم فصل له كيف توزع هذه الأسهم على أصحابها ، من حصيلة الزكاة فى كتاب طويل (٢) .

ثم جاءت الخطوة التالية التى اتبعها عمر بن عبد العزيز بالنسبة لمنهجه فى تطبيق الزكاة ، حين بين لعماله كيفية جباية الزكاة من أصحابها ، وفق ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكتب اليهم " أن صدقوا الناس على مياههم وبأفنيتهم " (٣) . لكى لا يشق عليهم ، وذلك تنفيذا لأمر رسول الله الذى قال يوم فتح مكة : (لا جلب، ولا جنب، ولا شغار فى الاسلام ولا تؤخذ صدقات المسلمين الا على مياههم وبأفنيتهم).

قال أبو عبيد : قوله لا جلب يفسر تفسيرين ،يقال : انه فى رهان الخيل : أن لا يجلب عليها ، ويقال . هو فى الماشية ، يقول : لا ينبغى للمصدق أن يقيم بموضع ثم يرسل الى أهل المياه ليجلبوا اليه مواشيهم ، فيصدقها، ولكن ليأتيهم على مياههم ، حتى يصدقها هناك : وهو تأويل قوله على مياههم وبأفنيتهم " (٤) .

زكاة الأنعام :

روى أبو عبيد عن ابن شهاب الزهرى أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عماله بشأن صدقة الجواميس ، أن تؤخذ صدقتها كما تؤخذ

---

(١) أبو عبيد : الأموال ص ٤٤٧ .

(٢) رواه أبو عبيد فى الأموال ص ٦٩٠ ــ ٦٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٩٦ ــ ٤٩٧ .

صدقة البقر [١] ، وأن لا تؤخذ الصدقة من البقر العوامل ، استنادا الى ما رواه أبو عبيد عن يزيد بن أبى حبيب [٢] ، كما كتب اليهم أيضا أن يأخذوا الصدقة من الابل التى تعمل فى الريف [٣].

وتنفيذا لتعليمات عمر لعماله بشأن الصدقة فى المواشى التى بينها لهم ، يروى يحيى بن سعيد " أن مما كان عمال عمر بن عبد العزيز يصنعون بالمدينة فى أخذ الصدقة : أن يفرق المال ثلاث فرق ، ثم يختار صاحبه ثلثا ، ثم يأخذ صاحب الصدقة حاجته من الثلث الثانى" [٤].

كما أرسل الى عماله أن لا يأخذوا من الخيل صدقة [٥].

زكاة الزروع والثمار :

وفيما يتعلق بصدقات ما تخرج الأرض من الحب والثمار ، فان عمر ازاء اختلاف العلماء على تعداد أصناف ما يؤخذ منه الصدقة ، حيث زاد بعضهم وانقص البعض الآخر ، كان يرى أن الصدقة تجب فى الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والسلت ، والزيتون ، والذرة وأمر أن يؤخذ من القطانى على نحو ما يؤخذ من القمح والشعير . والسلت والقطانى هى صنوف الحبوب والبقول كالعدس ، والحمص ، وغيرها ، ولهذا بينها لعماله ، وأمرهم بأخذ الزكاة من جميع هذه الأصناف [٦].

---

(١) المصدر السابق ٤٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦٥ ــ ٤٦٦.

(٤) المصدر السابق ص ٤٩٧ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٠٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٥٦٧ ــ ٥٧٠ .

أما بالنسبة لزكاة الثمار فى أرض الخراج التى فى يد المسلم ، فقال ميمون بن مهران : " سألت عمر بن عبد العزيز عن المسلم يكون له أرض خراج ، قال : خذ الخراج من هاهنا — وأشار بيده الى الأرض — وخذ الزكاة من هاهنا — وأشار بيده الى الزرع — " (١) ، ويؤيد هذا رواية أخرى يرويها يحيى بن آدم ، فيقول : " سألت حسن بن صالح عن مسلم له أرض خراج فقال : عليه الخراج عن أرضه ، وعليه فيما أخرجت الزكاة العشر أو نصف العشر ، ثم قال سمعت هذا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : عليه العشر والخراج " (٢).

رأيه فى زكاة العسل :

كما أمر عماله بأخذ الصدقة من العسل ، روى أنه كتب الى عماله على مكة والطائف يقول : ان فى الخلايا صدقة فخذوها منها قال : والخلايا الكواثر " (٣) .

ويؤيد هذا ما رواه أبو عبيد من أن عمر بن عبد العزيز كان يرى فى العسل العشر (٤) ، الا أنه عدل عن رأيه هذا ، وأرسل الى عماله يقول كما يروى عبد الله بن أبى بكر : " جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى أن لا تأخذ من الخيل ، ولا من العسل صدقة " (٥) ، ويبدو أن سبب ذلك يرجع الى الرواية التالية : عن نافع أنه قال : " بعثنى عمر على اليمن فأردت أن آخذ من العسل العشر ، فقال مغيرة بن حكيم الصنعانى : ليس فيه شىء ، فكتبت الى عمر فقال : صدق وهو عدل رضى " (٦).

---

(١) يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) الخراج تحقيق أحمد محمد شاكر ، (ط القاهرة) ١٣٨٤ هـ ، ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (ط/ بيروت) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ص : ٦٩ .

(٤) الأموال ص ٥٩٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٠٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٠٠ .

زكاة المعادن :

كما وضع عمر الصدقة على المعادن ، فيروى ابن سعد أنه كتب " أن لا يؤخذ من المعادن الخمس ، وتؤخذ منها الصدقة " (١)، وقد صوب هذا القاسم بن محمد اذ قال : " أحسن عمر بن عبد العزيز حين أخذ من المعادن الصدقة ، هكذا كان الامر الأول " (٢)، والقاسم ابن محمد غني عن التعريف ، فهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة وشيخ عمر بن عبد العزيز وقد سبقت الاشارة اليه .

زكاة ما يخرج من البحر :

أما بالنسبة لصدقة ما يخرج من البحر ، فيروى أبو عبيد عن عبد الرحمن بن مهدى أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله فى عمان " أن لا يأخذ من السمك شيئا حتى يبلغ مائتى درهم ، قال عبد الرحمن . وأعلمه الا قال : فاذا بلغ مائتى درهم فخذ منه الزكاة .

قال أبو عبيد : يذهب عمر — فيما يرى — الى أن ما أخرج البحر بمنزلة ما أخرج البر من المعادن ، وكان رأيه فى المعادن الزكاة . وقد ذكرنا ذلك عنه . فشبهه به ، وليس الناس فى السمك على هذا ، ولا نعلم أحدا يعمل به " (٣).

ويكون بهذا هو أول من وضع الزكاة على ما يخرج من البحر ، وهذا دليل على أنه من الأئمة المجتهدين .

ومن أجل تنمية صيد الأسماك لصالح الصياد والرعية سمح عمر بن عبد العزيز بمؤاجرة بحيرة فى أرض العراق كان يجتمع فيها السمك ، كما

---

(١) الطبقات ٥/٣٥٢ .

(٢) المصدر السابق ٥ / ٣٥٢ .

(٣) الأموال ص ٤٣٤ .

سمح للناس ببيع صيد الآجام وسماه الخمس (١) .

صدقة الورق والذهب :

وأما بالنسبة لصدقة الورق ، والذهب ، وعروض التجارة ، وهي القسم الثاني من الأموال المزكاة ولكنها أموال باطنة كما عرفها الماوردي (٢) فقد نظم عمر جباية الصدقة من التجار اذ أرسل الى عماله يقول : " لا تأخذوا من أرباح التجار شيئا حتى يحول عليها الحول " (٣) ، وفي رواية أخرى عن حميد قال : " كتب عمر بن عبد العزيز : أيما رجل أفاد مالا فلا زكاة عليه حتى يحول عليه الحول " (٤) ، ويفسر أبو عبيد عمل عمر هذا فيقول : " أفلست ترى أن عمر استأنف بالربح حولا ولم يضمه الى أصل المال ثم يزكيه معا ؟ فاذا كان لا يرى أن يضم نماء المال اليه - وهو منه - فالفائدة من ذلك أبعد " (٥) .

كما بين عمر لعماله كيفية ومقدار ما يجب على كل مسلم أن يدفعه على ماله ، وكذلك الذمي ، فيذكر أبو عبيد عن رزيق بن حيان الدمشقي - وكان على جواز مصر في زمن الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وفي زمن عمر بن عبد العزيز - أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه " أن أنظر من مر بك من المسلمين ، فخذ مما ظهر من أموالهم مما يديرون في التجارات من كل أربعين دينارا ، دينارا . وما نقص فبحساب ذلك ، حتى تبلغ عشرين دينارا . فاذا نقصت ثلث دينار فدعها " (٦) ، وفي رواية أخرى عن

---

(١) ابو يوسف : الخراج ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) الاحكام السلطانية : ص ١١٩ .

(٣) أبو عبيد : الأموال ص ٥٠٩ .

(٤) المصدر السابق هامش ص ٥٠٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٠٩ - ٥١٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٥١٥ - ٥١٦ .

رزيق هذا " أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه أن انظر من مر بك من المسلمين ، فخذ مما ظهر من أموالهم مما يديرون من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا ، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين دينارا فان نقصت ثلث دينار فدعها ، ولا تأخذ منها شيئا ، ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا ، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرة دنانير ، فان نقصت ثلث دينار فدعها ، ولا تأخذ منها شيئا ، واكتب لهم بما تأخذ منهم كتابا الى مثله من الحول " (١).

ولتسهيل عملية التجارة بما يعود بفائدة على جميع الرعية مسلمها وذميها ، أصدر أمره بتسهيل طريقيها البحرى والبرى ، اذ قال : " وأما البحر فانا نرى سبيله سبيل البر قال : (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) (٢) فأذن فيه أن يتجر فيه من شاء ، وأرى أن لا نحول بين أحد من الناس وبينه ، فان البر والبحر لله جميعا ، سخرهما لعباده ، يبتغون فيهما من فضله ، فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم ؟ " (٣)، وهكذا وبعد فتحه لطريق البحر أمام التجار لكسب رزقهم ، سهل لهم أيضا طريق البر برفعه المكوس التى كانت تجبى من الناس بغير حقها ، فقال : " وأما المكس فانه النجس الذى نهى الله عنه ، فقال : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) (٤) غير أنهم كنوه باسم آخر " (٥).

---

(١) الامام مالك : الموطأ ١/٢٥٥ .

(٢) آية ١٢ من سورة الجاثية .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٢ .

(٤) آية ٨٥ من سورة هود .

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ .

كما أمر بفتح الجسور والمعابر أمام الناس ، لينتقلوا حيث شاءوا دون تقييد لحريتهم من قبل موظفي هذه المعابر ، والجسور ، فيروى ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كتب يقول : " انى ظننت أن جعل العمال على الجسور والمعابر أن يأخذوا الصدقة على وجهها ، فتعدى عمال السوء غير ما أمروا به ، وقد رأيت أن أجعل فى كل مدينة رجلا يأخذ الزكاة من أهلها فخلوا سبل الناس فى الجسور والمعابر " (١).

أخذ الزكاة من كل شئ أمر به الشارع الحكيم ورسوله الكريم :

فيروى أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز كان اذا أعطى الرجل عمالته أخذ منها الزكاة ، واذا رد المظالم أخذ منها الزكاة ، وكان يأخذ الزكاة من الأعطية اذا خرجت لأصحابها (٢).

صدقة الفطر وتعجيل صرفها :

وعلى ما نهج عليه عمر من اعادة الأمة الاسلامية الى عهد الخلفاء الراشدين ، فقد نظم أمر زكاة الفطر فكان " يأخذ من أهل الديوان صدقة الفطر نصف درهم " (٣) ، ويستعجل صرفها لمستحقيها ، لتؤدى الغرض الذى وضعت من أجله ، وهى مساعدة أولئك الفقراء المحتاجين القادمين على العيد من مغبة السؤال فى ذلك اليوم ، وليفرحوا به كسائر اخوانهم ، ولهذا لما أرسل اليه أحد عماله يقول : " أن الناس لما سمعوا بولايتك تسارعوا الى أداء زكاة الفطر فقد اجتمع من ذلك شئ كثير ، ولم أحب أن أحدث فيها شيئا حتى تكتب الى برأيك . فكتب اليه عمر يقبض كتابه يقول : لعمرى ما وجدونى وإياك على

---

(١) الطبقات ٣٧٨/٥ .

(٢) الأموال ص ٥٢٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٨٢/٥ .

عليها ظنوا ، ولحسبك لها الى اليوم ؛ فأخرجها حين تنظر في كتابي " [1].

وقد اتخذ عمر أسلوبا جديدا مع من يرفض دفع زكاة ماله ، بعدم أخذها منه مع المسلمين ، فأصاب هذا الأسلوب الهدف الذي وضع من أجله ، وهو إحراج ذلك المانع مما يضطره الى دفعها من تلقاء نفسه بعد ذلك ، روى مالك " أنه بلغه أن عاملا لعمر بن عبد العزيز كتب اليه يذكر أن رجلا منع زكاة ماله ، فكتب اليه عمر : أن دعه ولا تأخذ منه زكاة مع المسلمين ، قال فبلغ ذلك الرجل فاشتد عليه ، وأدى بعد ذلك زكاة ماله ، فكتب عامل عمر اليه يذكر له ذلك ، فكتب اليه عمر : أن خذها منه " [2] .

مصارف الزكاة أو الصدقة :

أما الخطوة الثالثة في خطة عمر بن عبد العزيز التي سار عليها في إصلاح شئون الزكاة ، فهي صرفها في مصارفها المحددة في القرآن الكريم ، وهي ثمانية ، قال تعالى : " انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله " [3] ، ولكي يتم ذلك بدقة فقد نظم عمر بيت المال ، يقول اسحاق بن يحيى : " قدمت على عمر بن عبد العزيز في خلافته فوجدته قد جعل للخمس بيت مال على حدة ، وللصدقة بيت مال على حدة ، وللفيء بيت مال على حدة " [4] ، وهكذا أفرد عمر للزكاة بيت مال منفصلا ، لكي تصرف جميعها وفق ما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البسوي : المعرفة والتاريخ ٥٩٢/١ ، ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٥ ــ ٨٦ .

(٢) الموطأ ٢٧٠/١ .

(٣) الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٤٠٠/٥ .

ولقد كان من رأى عمر فى بادئ الأمر صرف بعض هذه الزكاة فى المدينة التى تجمع منها وارسال القسم الآخر اليه ، الا أنه عدل عن رأيه هذا فى السنة التالية ، ورأى أن تصرف جميعها فى نفس الاقليم ، أو المدينة التى جمعت منها ، روى أبو عبيد أنه أمر عماله أن "... ضعوا شطر الصدقة ... — يعنى فى مواضعها — وابعثوا الى بشطرها قال : ثم كتب فى العام المقبل : أن ضعوها كلها ".(١)

وقد أراد عمر بهذا أن تعم الزكاة بنفعها جميع أهلها المصروفة لهم وتغنيهم عن مغبة السؤال والحاجة ، وقد حققت هدفها بشكل واضح للجميع لأنه كان مناقضا لما يتخيله البعض من أن اصلاحات عمر المالية سوف تفقر الدولة كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد .

صرفه سهم الغارمين :

كما أرسل عمر الى عماله "أن اقضوا عن الغارمين فكتب اليه : انا نجد الرجل له المسكن والخادم ، والفرس ، والأثاث ، فكتب عمر :

أنه لابد للمرء المسلم من المسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، ومن أن يكون له الأثاث فى بيته : نعم فاقضوا عنه ، فانه غارم . قال أبو عبيد : أفلا ترى عمر انما اشترط فى ذلك ما يكون فيه الكفاف الذى لاغناء به عنه ، فأرخص فيه ولم يجعل له ما وراء ذلك ؟ "،(٢)

وعن أبى العلاء بياع المشاجب قال : " قرئ علينا كتاب عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، فى مسجد الكوفة ، وأنا أسمع : من كانت عليه أمانة لا يقدر على أدائها فاعطوه من مال الله ، ومن تزوج امرأة فلم يقدر أن يسوق اليها صداقها فاعطوه من مال الله ".(٣)

---

(١) الأموال ص ٧٠٨ .

(٢) المصدر السابق ٦٦٦ — ٦٦٧ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٧٤ .

وهذا يوضح أيضا أنه عد من أراد الزواج ولم يستطع ذلك لفقره من الغارمين ، فأمر عماله بتزويجه .

والأمثلة على دفعه لهذا السهم الى أصحابه كثيرة :

قال محمد بن سهل بن أبي حثمة : " قضى عنى عمر بن عبد العزيز — وهو خليفة — خمسين ومائتي دينار من صدقات بني كلاب وكتب بها ".(١)

وقال عيسى بن أبي عطاء : " شهدت عمر بن عبد العزيز قضى عن غارم خمسة وسبعين دينارا من سهم الغارمين ".(٢)

كما روى يعقوب بن عمر بن قتادة أنه : " وفد عاصم بن عمر بن قتادة ، وبشير بن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه على عمر بن عبد العزيز في خلافته ، فدخلا عليه بخناصرة فذكرا دينا عليهما ، فقضى عن كل واحد منهما أربعمائة دينار ، فخرج الصك يعطيان من صدقة كلب مما عزل في بيت المال .

... وكان ذلك المعزل قدم به لم يوجد أحد منهم يقضى عنه دين ، فأدخل فضله بيت المال عزلا ، لأن يقضى به عن الديان فهذا وجهه ".(٣)

وهذا دليل على حرص عمر على صرف هذا السهم في وجهته الصحيحة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى .

صرفه أسهم الزكاة الباقية في مواضعها :

وكما حرص عمر على صرف سهم الغارمين في وجهته الصحيحة ، حرص أيضا على صرف كل أسهم الزكاة وفق ما نص عليه القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، والأمثلة على ذلك كثيرة :

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٥٠ .

(٢) المصدر السابق ٥/٣٤٩ .

(٣) المصدر السابق ٥/٣٤٩ .

فمثلا ، كتب الى عامله على البصرة عدى بن أرطاة الفزارى " أما بعد ، فانى كنت كتبت الى عمرو بن عبد الله أن يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر ، والحب فى فقراء أهلها ، ومن سقط اليها من أهل البادية ومن اضافته اليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل ، فكتب الى أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر ، فذكر أنه قد باعه ، وحمل اليك ثمنه ، فاردد الى عمرو ما كان حمل اليك عاملك على عمان من ثمن الثمر والحب ، ليضعه فى المواضع التى أمرته بها ، ويصرفه فيها ان شاء الله والسلام " (١) .

كما اتخذ للفقراء والمساكين وابن السبيل دارا للطعام ، وحرم على أهل بيته أن يأخذوا منه شيئا ، رغم أن حالتهم كانت قد وصلت بهم الى مستوى هؤلاء الفقراء والمساكين . قال وهيب بن الورد " بلغنا أن عمر ابن عبد العزيز اتخذ دار الطعام للمساكين والفقراء وابن السبيل . قال : وتقدم الى أهله : اياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئا من طعامها ، فانما هو للفقراء والمساكين وابن السبيل . فجاء يوما فاذا مولاة له معها صحفة فيها غرفة من لبن فقال لها : ما هذا ؟ قالت : زوجتك فلانة حامل كما قد علمت واشتهت غرفة من لبن ، والمرأة اذا كانت حاملا فاشتهت شيئا فلم تؤت به تخوفت على ما فى بطنها أن يسقط ، فأخذت هذه الغرفة من هذه الدار ، فأخذ عمر بيدها فتوجة بها الى زوجته وهو عالى الصوت وهو يقول : ان لم يمسك ما فى بطنها الا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله . فدخل على زوجته فقالت له : مالك ؟ قال : تزعم هذه أنه لا يمسك ما فى بطنك الا طعام المساكين والفقراء ، فان لم يمسكه الا ذلك فلا أمسكه الله . قالت زوجته : رديه ويحك ، والله لا أذوقه . قال : فردته " (٢) .

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان : ص ٨٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٧٨ ـ ٣٧٩ .

كما أنه فرق على فقراء البصرة لكل انسان ثلاثة دراهم ، وأعطى الزمنى خمسين خمسين من زكاة الفطر [١] ، وهذا لا يعني أنه اختص فقراء البصرة فقط بل كان فعله كذلك مع الفقراء في سائر الأمصار ، مما يدل على مدى تفهمه ودراسته لحالة الزمن ، وما يحتاجه من مال ليستطيع العيش به كباقي أفراد الأمة بسبب عجزه الدائم .

ولم ينس عمر المسافرين من الأفراد ، بل وضع لهم الفنادق ، والطعام لهم ، ولدوابهم ، ووضع لهم المرشدين ليدلوا ضالهم ، ويقووا منقطعهم ويبلغوه مأمنه دون مقابل وهذا العمل يعتبر من مستحدثات عمر بن عبد العزيز التي لم يسبقه اليها أحد من الخلفاء الذين جاءوا من قبله [٢] ، يروى الطبري أنه " كتب عمر الى عامله سليمان بن أبي السري ، أن اعمل خانات في بلادك ، فمن مر بك من المسلمين ، فاقروهم يوما وليلة ، وتعهدوا دوابهم ، فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين ، فان كان منقطعا به فقووه بما يصل به الى بلده " [٣] ، وبهذا يكون عمر قد عم الرخاء والعدل والراحة حتى على المسافرين ، وصرف سهم ابن السبيل كما أمر به الله ورسوله عليه الصلاة والسلام .

وقد أدخل أحد الباحثين اقامة الخانات على أنها نوع من الضمان الاجتماعي الذي أوجده عمر بن عبد العزيز [٤] ، ولكني أرى أنه قد تجاوز مفهوم الضمان الاجتماعي ، لأن هذه الخانات قد جعلت لمن يتصادف مروره على هذا الطريق ودون الزام أو التزام .

---

(١) الطبري : تاريخ ٦/٥٦٩ – ٥٧٠ .

(٢) الدميري : حياة الحيوان ٦٨/١ ،
العيون والحدائق : ص ٦٣ .

(٣) تاريخ ٦/٥٦٧ ، وانظر ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤٥ ، وابن الأثير : الكامل ٥/٦٠ .

(٤) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي (ط بيروت) ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ص ١٢٧ .

والضمان فى مفهوم الوقت الحالى : هو أن يضمن للشخص أن يحيا فى مجتمعه حياة كريمة ، وعملية الضمان هذه غير واردة شرعا ، وانما هناك تكافل وتعاون ، لكن ضمان لا يضمن البشر ولكن الذى يضمن هو الله وحده سبحانه وتعالى .

الخــراج :

ومن المجالات التى كانت موضع اهتمام عمر بن عبد العزيز ابان خلافته : الخراج ، وذلك باعتباره من أهم موارد بيت المال ، فما أن تولى مسئولية الدولة الاسلامية حتى بعث الى عماله فى الأمصار يوجه نظرهم الى ما لاحظه عن التعامل فى الأرض من أكثر من جماعة من رعايا الدولة ، فالذمى حين يسلم كانت أرضه تنتقل معه قبل عمر بن عبد العزيز ، وأشراف العرب ، وساداتهم أكثروا من شراء الأرض الخراجية ، وغير ذلك ، وكل فريق كان يحاول أن يبرر تصرفه تبريرا شرعيا ، فأراد عمر بن عبد العزيز أن يبين للناس الرأى الذى كان يعتقد أنه مطابق للشرع ، وما جرى عليه السلف الصالح خصوصا ، وأنه كان يترتب على التعامل فى الأرض آثار تتصل بموارد بيت المال ، وتؤثر على حجمها .

ولقد عالج عمر بن عبد العزيز فى هذا الصدد نوعين من التعامل فى الأرض :

النوع الأول الخاص بشراء أشراف العرب وساداتهم للأرض الخراجية ، بأن أرسل الى عماله يقول : " ونرى أن لا تباع عمارة الأرض ، فانما يشترى المشترى لنفسه ، ويقطع لنفسه ، فانما يصيب من ذلك خراب الأرض ، وظلم أهلها ، وأما من كان من عرب أهل الأرض فى غير أرضه وجزيته جارية عليه فى أرضه فليس عليه الا ذلك ، وعامل أرضه أولى بتبعته " (١) .

كما أكد ذلك فى رسالة أخرى أرسلها الى عامله على الجزيرة ميمون بن مهران الذى قال : " كتب الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فخل بين أهل

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ .

الأرض وبين بيع ما فى أيديهم ، فانهم انما يبيعون فىء المسلمين "[١]،
وليضمن لقرارة هذا التنفيذ ، أصدر أمرا آخر الحقه بالأول ، جاء فيه
" أن لا يباع لأهل الذمة آلة "[٢]. يعنى آلة الزراعة ، وذلك ضمانا
لبقاء الأرض فيئا عاما للمسلمين ، كما أن هذا قد ساعد بطريق غير مباشر
على تنشيط الزراعة لأن عدم وجود الآلة ان لم يعطل الزراعة تماما ، فانه
يقلل من انتاجها .

واستمرارا لبقاء أراضى الخراج فى أيدى ذرارى أصحابها بعد وفاتهم ،
أرسل لعماله يقول : " ... ثم ان مواريث أهل الأرض انما هى لأوليائهم ،
أو لأهل أرضهم الذين يخرجون الخراج ، فنرى أن لا يؤخذ منهم شىء ،
الا أن يكون عاملا فيبعثه الامام فى عمله بالذى يرى عليه من الحق والسلام "[٣].

ثم منع المسلمين من تلك الأراضى الخارجية اعتبارا من عام ١٠٠ هـ
" وكتب أن من اشترى شيئا بعد سنة مائة فان بيعه مردود وسمى سنة
مائة سنة المدة فسماها المسلمون بعده بذلك فأمضى ذلك فى بقية
ولايته "[٤]، كما أنه لم يعف تلك الأراضى الخارجية التى صارت بأيدى
المسلمين بشكل أو بآخر من دفع الخراج عنها ، وبالتالى دفع العشر عما
تنتج ، فيروى عن ميمون بن مهران قال : " سألت عمر بن عبد العزيز :
العربى - أو قال : المسلم - تكون فى يده أرض خراج فيطلب منه العشر .
فيقول : انما على الخراج ؟ فقال : الخراج على الأرض ، والعشر على
الحب "[٥]، قال يحيى بن آدم " وسألت شريكا عن المسلم يكون له

---

(١) أبو عبيد : الأموال ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ .

(٤) عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ) : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، (ط بيروت) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ١/ ١٨٥ .

(٥) أبو عبيد : الأموال ص ١١٤ ، وانظر أيضا يحيى بن آدم : الخراج ص ١٦٠ - ١٦١ .

أرض خراج فيؤدى خراجها : أعليه أن يزكى ما حصل له من الثمرة بعد الخراج ؟ قال : نعم اذا بلغ خمسة أوسق . ثم قال : حدثنى عمرو ابن ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أنه قال ذلك أو أمر به ، قال شريك : لعل عمر لا يكون قال هذا حتى سأل عنه أو بلغه فيه فانه كان ممن يقتدى به " (١) .

وبهذا أصبح المسلمون الذين يمتلكون أراضى خراجية يدفعون فوق الخراج المقرر على الأرض زكاة ما تخرج هذه الأرض . ويؤيد هذا ما روى عن ابن أبى عبلة العقيلى قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الله بن عوف — أو ابن أبى عوف شك أبو عبيد — عامله على فلسطين . فيمن كانت بيده أرض بجزيتها من المسلمين أن يقبض منها جزيتها ، ثم يأخذ منها زكاة ما بقى بعد الجزية قال ابن أبى عبلة : أنا ابتليت بذلك ومنى أخذ " (٢).

أما الصنف الثانى وما كان يترتب على اعتناق الذمى للاسلام وانتقال أرضه معه ، فقد عالج عمر هذا النوع بأن أرسل الى عماله يقول : " من أسلم من أهل الأرض فله ما أسلم عليه من أهل أو مال . فأما داره وأرضه فانها كائنة فى فىء الله عز وجل على المسلمين " (٣) ، وقد أوضح سبب هذا فى رسالته الموجهة الى عامله على الكوفة ، وكان قد " طلب أناس من أهل السواد الى عبد الحميد ، فكتب لهم الى عمر بن عبد العزيز فى أرضين فى أيديهم ، أن يرفع عنها الجزية ، ويضع عليها الصدقة . فكتب اليه عمر : أما بعد ، فانى لا أعلم شيئا هو أنفع لنائبة المسلمين ، ومادتهم من هذه الأرض التى جعلها الله فيئا لهم ، فانظر من كان منهم له بها أرض أو مسكن ، فأجر على كل جدول منها ما كان يجرى قبل ذلك ، ومن لم يكن له بها أرض ومسكن فاردده الى أهلها " (٤).

---

(١) الخراج ص ١٦١ .
(٢) أبو عبيد : الأموال ص ١١٤ .
(٣) يحيى بن آدم : الخراج ص ٤٧ ، ٥٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩ .

وبهذا حافظ عمر بن عبد العزيز على الأرض الخراجية من الضياع بهذين الاجرائين ، وحفظ بهما فيء المسلمين لعامتهم أجمعين [١]، مما ترتب على ذلك منع تجميع الأطيان في أيدي أشخاص بذواتهم .

ولم تقتصر اصلاحات عمر بالنسبة للأرض الخراجية على ما سبق ، وانما حث عماله على الاهتمام بعمارتها ، وقد أوضح لهم بعض الأساليب التي تساعد على تنمية الزراعة فيها ، كما ذكر لهم الأساليب التي يجب عليهم اتباعها في جمع الخراج ، وأمرهم بالتزام العدل فيها ، بحيث لا تحمل الخربة على الأرض العامرة دونما نظر الى ما قد يسببه ذلك من نقص في ايراد بيت المال ، وجه عمر الى أحد عماله رسالة جاء فيها : " أن انظر الأرض ولا تحمل خرابا على عامر ، ولا عامرا على خراب ، وانظر الخراب فان أطاق شيئا ، فخذ منه ما أطاق ، وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من عامر لا يحتمل شيئا ، وما أجدب من العامر من الخراج فخذه في رفق وتسكين لأهل الأرض . وآمرك أن لا تأخذ في الخراج الا وزن سبعة ليس فيهـا تبر ولا أجور الضرابين ... " [٢].

كما أمر لأهل الذمة بمساعدات مالية تساعدهم على الزراعة ، فكتب الى عامله على الكوفة عبد الحميد بن زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب الذي كان قد أخبره بوجود فائض لديه في بيت المال يأمره بقوله : " قـوّ أهل الذمة ، فانا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين " [٣].

ومن الجدير بالذكر أن عمر بن عبد العزيز مع تضييقه على المسلمين من اقتناء الأراضي الخراجية منعا لتقلصها حفاظا على فيء المسلمين ، الا أنه شجعهم على امتلاك الأراضي ، وزراعتها بطرق متعددة نذكر منها :

---

(١) كما فعل جده ، عمر بن الخطاب من قبل ، انظر مثلا المصدر السابق ص ٥١ـ ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٩٣ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٨ .

أولا : تلك الأراضى التى ينحسر عنها الماء ، سواء بتدخل الناس ، أو نتيجة لاختلاف منسوب الماء فى الأنهار ، فقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز قال : " من غلب الماء على شىء فهو له " (١).

ثانيا : اباحته الجزائر للناس ، اذ يروى عن أبى المليح أنه قال : " كتب عمر بن عبد العزيز باباحة الجزائر وقال : انما هو شىء أنبته الله فليس أحد أحق به من أحد " (٢).

ثالثا : أمره عماله أن يجروا للناس ما أحيوه ، قال رزيق بن حكيم : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى أن أجر لهم ما أحيوا ببنيان أو حرث (٣).

رابعا : تشجيعهم زراعة أراضى الصوافى المعطلة ، ولهذا كتب الى عماله يقول " انظر ما قبلكم من أرض الصافية فأعطوها بالمزارعة بالنصف ، وما لم تزرع فأعطوها بالثلث ، فان لم تزرع فأعطوها حتى تبلغ العشر ، فان لم يزرعها أحد فامنحها ، فان لم يزرع فأنفق عليها من بيت مال المسلمين ، ولا تبتزن قبلك أرضا " (٤).

ولمساعدة الناس على الزراعة والحياة فى الأماكن الزراعية سمح لهم بحفر الآبار والأنهار ، فمثلا ، عندما كتب اليه عامله على البصرة عدى بن أرطاة يستأذنه بحفر نهر للناس فيها ، وكذلك أمر الناس من أهلها أن يكتبوا له فى هذا الصدد فكتب اليه وكيع بن أبى سعود التميمى يقول : انك ان لم تحفر لنا نهرا فليست البصرة لنا بدار ، أرسل عمر الى عامله عدى باذنه فى حفر النهر فحفر نهرا سمى بنهر عدى . (٥)

---

(١) يحيى بن آدم : الخراج ص ٨٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٧٦/٥ .

(٣) يحيى بن آدم : الخراج ص ٨٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٩ .

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٦٣ .

وهكذا استطاع عمر بسياسته الحكيمة المحافظة على الأراضي الخراجية، وعمارتها من جهة ، ثم زيادة رقعة الأراضي المزروعة من جهة ثانية، وبذلك ازدادت واردات بيت المال .

جـ - الغاء رسم عبور الجسور :

وفي مجال آخر ، عمل عمر على أن يخفف عن الناس بعض الأعباء المالية التي فرضت عليهم بغير حق ، ومن ذلك أنه كانت قد جرت العادة في الدولة الأموية أن تجبى رسوم من كل من يعبر أحد الجسور المقامة في الأمصار ، ولم يكن عمر راضيا عن ذلك ولا موافقا عليه ، فلما استخلف أبطل جباية هذا الرسم ، روى ابن سعد عن يزيد بن الأصم أنه قال : " كنت جالسا عند سليمان بن عبد الملك فجاء رجل يقال له أيوب ، وكان على جسر منبج[١] ، يحمل مالا مما يأخذ على الجسر ، فقال عمر بن عبد العزيز : هذا رجل مترف يحمل مال سوء ، فلما قدم عمر (يعني استخلف) خلى سبل الناس من الجسور والمعابر "[٢] .

د - عمر والعطاء :

روى أبو يوسف عن عمر بن ذر قال : " لم تكن همة عمر بن عبد العزيز الا رد المظالم والقسم في الناس "[٣] ، لقد نظر عمر الى الرعية المسلمة على أنهم سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ، فالتقوى هي أساس التفاضل فقط بين أصناف الناس التي يتألف منها المجتمع الاسلامي ، ولهذا لم يسمح لأحد بتفضيل مسلمي مصر على مصر آخر ، روى أبو زرعة الدمشقي أن عثمان بن سعد العذري ذكر أهل العراق عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر : لا تفرقوا بين الناس[٤] ،

---

(١) منبج : مدينة واسعة بينها وبين حلب عشرة فراسخ ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٢٠٦ .

(٢) الطبقات ٣٧٨/٥ .

(٣) الخراج ص ١٧ .

(٤) تاريخ ٣٨٦/١ .

ولهذا أصدر أمره بالتسوية بينهم في العطاء ، قال عمرو بن عثمان : " حضرت قسمتين قسمهما عمر بن عبد العزيز على جميع الناس كلهم سوى بينهم "(١)، ويورد ابن سعد رواية أخرى تفصل هذه المساواة وتبينها بوضوح فيقول : " ان عمر بن عبد العزيز جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء ، غير أنه جعل فريضة المولى المعتق خمسة وعشرين دينارا "(٢) ، ويؤيد هذا ما قاله اسماعيل بن سالم : " أتانا كتاب عمر ابن عبد العزيز ونحن بهراة(٣) في صدقة كان أمر بها ، فكتب أن اجعلها في العرب والموالي أولى العتاقة "(٤) .

وبهذا أمات عمر بن عبد العزيز تلك البدعة التي ابتدعها الخلفاء الأمويون وهي تفضيل العرب على الموالي بالعطاء ، وحرمان الموالي منه ودليل هذا التفضيل ما تبينه لنا الرواية التالية التي تقول : " (أن الجراح ابن عبد الله والي عمر على خراسان) أوفد وفدا (الى عمر بن عبد العزيز)؟ رجلين من العرب ، ورجلا من الموالي من بني ضبة ، يكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلا في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحوي ، فتكلم العربيان والآخر جالس ، فقال له عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج "(٥) .

كما أن عمر فرض لرجال ألفين ألفين شرف العطاء(٦) ، هذا بالاضافة الى أنه كان يأمر عماله باخراج العطاء للناس كل في مصره ، فان

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٤٥ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٧٥ .
(٣) هراة : مدينة عظيمة بخراسان ، ياقوت : معجم البلدان ٥/ ٣٩٦ .
(٤) ابو عبيد : الأموال ص ٣٠٠ - ٣٠١ .
(٥) الطبري : تاريخ ٦/ ٥٥٩ .
(٦) ابن سعد : الطبقات : ٥/ ٣٤٦ .

كان خراجهم لا يسد عطاءهم أرسل هو المال اليهم ليستوعب كل الناس في ذلك العصر ، وقد روى الطبري في الصدد : " وكتب الى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري ... ليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الي ، ولا أعظم من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج ، وأحرزه في غير ظلم ، فان يك كفافا لأعطياتهم فسبيل ذلك ، والا فاكتب الي حتى أحمل اليك الأموال ، فتوفر لهم أعطياتهم قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم ، فكتب الى عمر فأعلمه ، فكتب اليه عمر : أن أقسم الفضل في أهل الحاجة " (١).

واذا كان عمر قد اتبع منهج الخلفاء الراشدين في المساواة بين الناس في العطاء ، فان أبا عبيد قد ذكر في هذا الصدد عنه أنه كتب الى يزيد ابن الحصين يقول : " مر للجند بالفريضة : وعليك بأهل الحاضرة واياك والأعراب ، فانهم لا يحضرون محاضر المسلمين ، ولا يشهدون مشاهدهم " (٢) وقد فسر أبو عبيد هذا فقال : " ليس وجه هذا عندنا أن يكونوا لم يروا لهم في الفيء حقا ولكنهم أرادوا أن لا فريضة لهم راتبة تجرى عليهم من المال فأهل الحاضرة الذين يجامعون المسلمين على أمورهم ، ويعينونهم على عدوهم بأبدانهم أو بأموالهم ، أو بتكثير سوادهم بأنفسهم ، وهم مع هذا أهل المعرفة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعونة على اقامة الحدود ، وحضور الأعياد والجمع وتعليم الخير ، فكل هذه الخلال قد خص الله بها أهل الحضارة دون غيرهم : فلهذا نرى أنهم آثروهم الأعطية الجارية دون من سواهم " (٣)

وواضح من النص أن ثمة فروقا بين ما كان يعطى لأهل البادية وما كان يعطى لأهل الحضر ، ولكن ذلك لم يكن جزافا بل رتبه عمر على الأسباب

---

(١) تاريخ : ٥٦٨/٦ ــ ٥٦٩ .

(٢) الأموال ص ٢٩٠ .

(٣) المصدر السابق ٢٩١ .

التى أوردها أبو عبيد ، فكان العطاء فى نظر عمر اذا كان أساسه المساواة فرضا ، فان الفرق فى التبعات والالتزامات كان لها دخل فى قيمة العطاء ، وهذا لا يقلل من مبدأ المساواة فى شىء ، لأن هنا عنصر العدالة يساوى الذى اتبعه فى توزيع العطاء ويتناظر مع مبدأ المساواة الذى اتبعه فرضا واصلا فى توزيع العطاء .

وقد عمل عمر بن عبد العزيز على أن يصل العطاء لأهله متخطيا لكل الذرائع التى قد تكون سببا لمنع وصول العطاء لذويه ، فيروى أبو عبيد ، أن عمر بن عبد العزيز كان اذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه لورثته [(١)] ، كما يورد رواية ثانية عن كتاب عمر لأحد ولاته يفصل هذا فيقول : " انظر فى أهل الدواوين ممن كان عمل على عطائه سنة كاملة وغرم مانا به من الحمائل — أو قال : الجمائل ، ... وأجزأ بعوثه ، ثم يقبض بعد ما يؤمر للناس بأعطياتهم ، فمر لأهله بعطائه حقا واجبا ، وانظر من كان اكتتب فى شىء من البعوث فخرج له عطاؤه ، فتجهز به ثم أدركه أجله فلا تحرموا أهله شيئا ، انما أخذ حقه " [(٢)].

كما كتب الى عامله على المدينة " من كان غائبا قريب الغيبة فأعط أهل ديوانه ، ومن كان منقطع الغيبة فاعزل عطاءه الى أن يقدم ، أو يأتى نعيه ، أو يوكل عندك بوكالة ببينة على حياته . فادفعه الى وكيله [(٣)]

ولم يتدرك عمر المسجونين دون عطاء ، فيقول ابن حزم : " كنا نخرج ديوان أهل السجون فيخرجون الى أعطيتهم بكتاب عمر بن عبد العزيز . [(٤)]

كما لم ينس عمر بن عبد العزيز أبناء المقاتلين الذين وقعوا فى أسر العدو فى القسطنطينية من العطاء ، وأرسل الى هؤلاء الأسرى يخبرهم

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣١ — ٣٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٤٨/٥ .

(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٤٨ .

بذلك فقال : " أما بعد ، فانكم تعدون أنفسكم أسارى ، معاذ اللـــه ! بل أنتم الحبساء في سبيل الله ،واعلموا أنى لست أقسم شيئا بين رعيتى الا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه ! وانى قد بعثت اليكم خمسة دنانير خمسة دنانير ، ولولا أنى خشيت ان زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم ! ... " (١).

وقد حبس عمر العطاء عن التجار ، فقد ورد كتاب عمر لأحد ولاته يقول : " افرض للناس الا التجار " (٢) ، وكانت له وجهة نظر أوضحتها رواية ربيعة بن عطاء بن يعقوب مولى ابن سباع الخزاعى الذى قـــال : "جلست الى سليمان بن يسار فذكرت له كتاب أبى بكر بن حزم الذى جاءه من عمر بن عبد العزيز أن لا يفرض لتاجر فقال : أصاب عمر ، التاجـــر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين " (٣).

كما منع الناس من الأخذ لموتاهم ، وأمرهم برفع كل مولود ليفرض له ، وقد روى ابن سعد عن سعيد بن مسلم بن بانك فى هذا الصدد أنه قال : " سمعت عمر بن عبد العزيز يقول وهو خليفة : انه لا يحل لكم أن تأخذوا لموتاكم فارفعوهم الينا ، واكتبوا لنا كل منفوس نفرض له " (٤).

كما أبطل عادة استنها معاوية بن أبى سفيان برفع المنفوس مـــن العطاء والفرض للفطيم ، قال أبو عبيد : " كان الناس فى زمن عمر بن الخطاب اذا ولد المولود ، فرض له فى عشرة ، فاذا بلغ أن يفترض ألحق به . فلما كان معاوية أفرد المولود ، وجعل ذلك الفطيم . فلم يـــزل كذلك حتى قطع عمر بن عبد العزيز ذلك كله الا لمن شاء " (٥) ، ويؤيـــد

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

(٣) المصدر السابق ٥/٣٤٦ .

(٤) المصدر السابق ٥/٣٤٦ .

(٥) الأموال ص ٣٠٦ .

هذا رواية ابن سعد عن محمد بن عمر الذى قال : " ذهبت بى حاضنتى الى أبى بكر بن حزم فوضع فى يدى دينارا وأنا منفوس ، وولدت سنة المائة ، ثم كان قابل فأعطينا دينارا آخر ، فكانا دينارين " (١) ، كما فرض للفطيم عشرة دنانير (٢) .

وجعل سن التدوين فى ديوان الفريضة خمس عشرة سنة ، فقد ذكر ابن سعد عن نافع عن ابن عمر قال : " عرضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى ، فلما كان يوم الخندق عرضنى وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى قال نافع : فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته بهذا الحديث فقال : ان هذا الحد بين الكبير والصغير . وكتب الى عماله أن يفرضوا لابن خمس عشرة ، ويلحقوا ما دون ذلك فى العيال " (٣) .

كما أرسل الى من حبس عطاؤه من العلماء ليرجعه اليه فكتب الى ابن سيرين والحسن البصرى يقول : " أرد عليكما ما حبس عنكما من أعطيتكما ، فقال ابن سيرين : ان فعل ذلك بأهل البصرة فعلت ، وأما غير ذلك فلا . فكتب عمر : ان المال لا يسع . قال وقبل الحسن " (٤) .

هـ ــ عمر والأسرى :

أما بالنسبة للأسرى من المشركين فقد جاء بشأنهم فى الحكم الشرعى ما قاله أبو عبيد فى كتابه الأموال : " وقد رخص بعضهم فى مفاداة نساء المشركين بالمال وكلهم يرى أن يفادى الرجال والنساء بعضهم ببعض " (٥)

---

(١) الطبقات ٥/٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ٥/٣٤٧ .

(٣) المصدر السابق ٥/٣٥٠ .

(٤) المصدر السابق ٥/٣٤٨ .

(٥) الأموال : ص ١٦٥ .

وهذا ما ذهب اليه عمر بن عبد العزيز الذى كان يكره قتل الأسرى ، ويرى أن يسترقوا ، أو يعتقوا [1] ، ولهذا كان يقبل بفداء الأسرى من المشركين وغيرهم مقابل المال ما دام ذلك فى مصلحة المسلمين ، فيروى ابن سعد أن عمر جىء اليه بأسير أسره مسلمة بن عبد الملك ، وأن أهله طلبوا أن يفتدوه بمائة مثقال فرضى عمر ، ورده اليهم ، وفداه بمائة مثقال [2].

ويروى ابن سعد أيضا عن يزيد بن بشر عن أبيه أنه قال : " أصاب المسلمون فى غزوهم الصائفة غلاما من أبناء الروم صغيرا ، فبعث أهله فى فدائه ، فشاور فيه عمر فاختلفوا عليه فقال : ما عليكم أن نفديه صغيرا ولعل الله أن يمكن منه كبيرا ، ففدوه بمال عظيم ثم أخذ أسيرا فى آخر خلافة هشام فقتل " [3] .

ولم يؤثر عن عمر أنه قتل أحدا من الأسرى سوى أسير خزرى لجراءته وتحديه ، يروى أبو عبيد " أن عمر بن عبد العزيز أتى بأسير من الخزر ، فقال عمر : لأقتلنك فقال الأسير اذن لا ينقص من عدد الخزر شىء . فقتله عمر . قال : ولم يقتل أسيرا فى خلافته غيره " [4].

أما بالنسبة للأسرى من المسلمين ، فقد جاء فى الحكم الشرعى فى حقهم ما ذكره أبو عبيد " أن ذراريهم ونساءهم مثل رجالهم فى الفداء ، يحق على الامام والمسلمين فكاكهم ، واستنقاذهم من أيدى المشركين بكل وجه وجدوا اليه سبيلا ، ان كان ذلك برجال أو مال ، وهو شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين والأنصار " [5].

---

(١) الطبقات ٣٥٤/٥ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٤/٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٩٤/٥ .

(٤) الأموال ص ١٧٦ — ١٧٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٦٦ .

وضمن نطاق هذا التشريع الاسلامي سار عمر بن عبد العزيز ، فيذكر ابن سعد : أن عمر بن عبد العزيز فدى رجلا من العدو بمائة ألف درهم [1] ، هذا ولم يستثني عمر في افتدائه للأسرى أحدا سواء كان امرأة أو رجلا أو عبدا أو حتى ذميا وفي هذا الصدد يروى ابن سعد عن ربيعة ابن عطاء قال : " كتب عمر بن عبد العزيز معي وبعث بمال الى ساحل عدن أن أفتدي الرجل والمرأة والعبد والذمي " [2].

وحتى الفارين الى أراضي العدو طوعا افتداهم عمر ، ذكر أبو عبيد عن صالح بن جبير قال : " أن عمر بن عبد العزيز أعطى رجلا مالا يخرج به لفداء الأسارى . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، انا سنجد ناسا سافروا الى العدو طوعا . أفنفتديهم ؟ قال نعم . قال : وعبيدا فروا طوعا واماء ؟ فقال : افدوهم ، قال : ولم يذكر له صنف من الناس من جند المسلمين يومئذ الا أمر بفدائهم " [3].

هذا وقد خص أسرى القسطنطينية بالمزيد من عنايته ، يروى ابن عبد الحكم عن مالك بن أنس ، أنه قال : " قدم ابن زرارة على عمر بن عبد العزيز قال : جئتك من عند قوم أحوج الناس الى معروفك وصلتك . قال : كلا يا ابن زرارة الا ما كان من أهل القسطنطينية " [4].

وكان عمر قد كتب اليهم ليطمئنهم على أنه لم ينسهم ، بل انه فرض لأهليهم كما فرض للناس ، وأنه بعث اليهم من يفتديهم ، بالاضافة الى مبلغ خمسة دنانير لكل واحد منهم ، قال بكر بن خنيس : " كتب عمر الى

---

(١) الطبقات ٥/ ٣٥٠ .

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٥٣ .

(٣) الأموال ص ١٦٩ .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢١ .

الأسارى بالقسطنطينية : أما بعد ، فانكم تعدون أنفسكم أسارى ، معاذ الله ، بل أنتم الحبساء في سبيل الله ، واعلموا أنى لست أقسم شيئا بين رعيتى الا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه ، وانى قد بعثت اليكم بخمسة دنانير خمسة دنانير ولولا أنى خشيت ان زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم ، وقد بعثت اليكم فلان بن فلان يفادى صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحركم ومملوككم بما سئل به وأبشروا ثم أبشروا ، والسلام عليكم (١) .

ومن اصلاحاته المالية أيضا أنه منع عماله من تقاضى أكثر من راتب واحد لقاء قيامهم بالعمل، ذلك أن عمر قد لاحظ أن بعض عماله يتقاضون من بيت المال رواتبهم المقررة ، ثم نصيبا من العطاء ، وهذا غير جائز على أساس أن مصدر المال سواء الراتب أو العطاء واحد ، وهو بيت المال ، وأن ما أجرى عليه راتبا هو لقاء عمل يعيش منه ، فالعطاء هنا يصبح زائدا لا مبرر له ، ولا يوجد ما يقابله من عمل كى يدفعه بيت المال ، ولهذا كتب الى أحد عماله يقول : " أما بعد ، فلا تخرجن لأحد من العمال رزقا فى العامة والخاصة فانه ليس لأحد أن يأخذ رزقا من مكانين فى الخاصة والعامة ، ومن كان أخذ من ذلك شيئا فاقبضه منه ، ثم أرجعه الى مكانه الذى قبض منه والسلام " (٢) .

ولو نظرنا الى هذا الموضوع بنظرة أهل عصرنا هذا لأمكن القول بأن هدف عمر عدم تكون فئة غنية على حساب الفئات الأخرى من الرعية ، وبهذا يجرى التنافس على الحصول على الوظائف الحكومية ، بأية وسيلة لمثل هذا الكسب الكبير ولكى لا تتجمع الأموال فى أيدى فئة دون أخرى ، وبهذا الاجراء يرد أرزاق هذه الفئة من العطاء على عامة الناس فيرتفع مستواها .

---

(١) المصدر السابق ١٤٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٧٧/٥ .

نتائج اصلاحات عمـــر :

ولا شك فى أن هذه الاصلاحات التى قام بها عمر بـــن عبد العزيز قد حققت النتائج الطيبة التى انعكس أثرها - وعادت بالخــير - على أفراد المجتمع فى الدولة الاسلامية ، حيث انتشر بينهم العدل والرخـــاء والطمأنينة ، وخاصة بين الفقراء والمساكين منهم ؛ فقد كان عمر يشعر بمـــا يعانونه فى حياتهم من عناء لكونهم مستضعفين لا سند لهم يدافع عنهم ، ولأن صوتهم قد لا يصل الى الخليفة ، فكان من خطواته الأولى نحو اصلاح أحوالهـــم ، أنه أمر صاحب بيت الضرب بدمشق فقال : " ان من أتاك من فقراء المسلمــين بدينار ناقص فابدله بوازن " (١).

وقال الأوزاعى : " كتب عمر بن عبد العزيز الى خزان بيوت الأمـــوال : اذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنه ، فأبدلوه من بيت المال " (٢) ، وقـــد أورد الماوردى سبب اقدام عمر على هذا الاجراء أن " عمر بن الخطاب رضى الله عنـه قسط الخراج على أهل السواد وما فتح من نواحى المشرق والمغرب ورقا وعينا ، وكانت الدراهم والدنانير مضروبة على وزن كسرى وقيصر ، وكان أهل البلدان يؤدون ما فى أيديهم من المال عددا ، ولا ينظرون فى فضل بعض الأوزان على بعض ، ثم فسد الناس فصار أرباب الخراج يؤدون الطبرية التى هى أربعة دوانق ، وتمسكوا بالوافى الذى وزنه وزن المثقال ، فلما ولى زياد العراق طالب بأداء الوافـــى والزمهم الكسور ، وجار فيه عمال بنى أمية ، الى أن ولى عبد الملك بن مـــروان ، فنظر بين الوزنين ، وقدر وزن الدراهم على نصف وخمس المثقال وترك المثقال علـى حاله ، ثم ان الحجاج من بعده أعاد المطالبة بالكسور حتى أسقطها عمر بـــن عبد العزيز " وواضح من ظاهر النصين أن عمر قد اختص الفقراء دون سواهـم

---

(١) المصدر السابـــق: ٥/ ٣٧٥

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٠

(٣) الأحكام السلطانية ص ٨٠ - ٨١ .

فى عملية استبدال النقود الناقصة الوزن بأخرى سليمة الوزن ، ولكنه لا يعقل أن شخصا مثله بورعه وعدله والتزامه بالكتاب والسنة يخص فئة دون أخرى من الأمة الاسلامية بتعويضها عن الناقص فى أوزان أموالها ، ولكن الأقرب الى العقل أن ذلك الأمر كان عاما لكل الناس ، ولكن تخصيص الفقراء جاء نتيجة لعلمه وخبرته بأن وقوع النقود الناقصة الوزن فى يد الفقراء يتم نتيجة لجهل أفرادها من ناحية بأوزان النقود لقلة تعاملهم بها ، ثم لأنهم باستمرار وبكل زمان يكونون ضحايا الجشعين من الأغنياء فى مثل هذه الأمور ، وفوق ذلك فان فروق الوزن فى دينار يمتلكه فقير يؤثر على حياته أكثر ما يؤثره ذلك على حياة الغنى ، من ذلك كان التخصيص .

وكان اهتمام عمر بالفقراء شاملا جميع أمصار الدولة ، ولذلك أمر صاحب البريد أن يحمل رسائل عامة الناس اليه ، بالاضافة الى رسائل عماله ليتمكن أولئك الفقراء من ايصال شكاواهم الى أمير المؤمنين . قال ابن عبد الحكم : " وكان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحد من الناس اذا خرج كتابا الا حمله ، فخرج بريد من مصر فدفعت اليه فرتونة السوداء ، مولاة ذى أصبح كتابا تذكر فيه أن حائطا لها قصيرا ، وأنه يقتحم عليها فيه فيسرق دجاجها فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى فرتونة السوداء مولاة ذى أصبح ، بلغنى كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وأنه يدخل عليك فيه فيسرق دجاجك ، فقد كتبت لك كتابا الى أيوب بن شرحبيل — وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها — آمره أن يبنى لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين ان شاء الله ، والسلام .

وكتب الى أيوب بن شرحبيل : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى ابن شرحبيل أما بعد ، فان فرتونة مولاة ذى أصبح كتبت الى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسأل تحصينه لها . فاذا جاءك كتابى هذا فاركب أنت بنفسك اليه حتى تحصنه لها . فلما جاء الكتاب الى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة (١) يسأل عن فرتونة ، حتى وقع عليها ، واذا هى سوداء مسكينة ، فأعلمها بما

---

(١) الجيزة : بليدة في غربي فسطاط مصر ، ياقوت : معجم البلدان : ٢/٢٠٠ .

كتب به أمير المؤمنين ، وحصنه لها " (١)

وقد ضرب عمر بذلك مثلا فى دقة الاجراءات ، واشعار الناس بمدى اهتمام الخليفة بشئونهم الخاصة بطمأنتهم مباشرة بواسطة الرسائل الجوابية اليهم ، ومن جهة أخرى فان حمل عامله مسئولية الذهاب بشخصه والاشراف على تنفيذ أمر الخليفة ليكون مثلا أمام الناس بأن عين عمر معهم عن طريق عماله . وبهذا تحقق لعمر هدفه ، وهو : ايصال صوت الفقراء فى الأمصار اليه ، فيأخذ لكل ذى حق حقه ، وبذلك يتحرك جهاز الدولة ليؤدى دوره فى خدمة كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية ، ولا غرابة فى اهتمام عمر بالفقراء ، ذلك أن جده ومثله الأعلى عمر بن الخطاب كان هو الآخر يهتم بالفقراء ، وقصصه معهم كثيرة ومشهورة .

ولم يقتصر عمر بن عبد العزيز فى رعايته للفقراء على النظر فى شكاواهم ، والتحقيق فيما يرفعون اليه من ظلامات ، أو شكاوى ، وانما كان يجعل لهم من تفكيره فى كل ما يعرض عليه أو يفكر فيه جانبا كبيرا ، فمثلا ، عمل على تمكينهم من الحج كى يؤدوا الركن الخامس من أركان الاسلام ، مثل القادرين من المسلمين ، كتب الى عامله على الكوفة يقول : " ... وانظر من أراد من الذرية أن يحج ، فعجل له مائة يحج بها ، والسلام " (٢).

كما أرسل الى عامله على اليمن يقول : " أقعد على طريق الحاج قوما ترضاهم وترضى دينهم وأمانتهم يقوون الضعيف ، ويغنون الفقير " (٣).

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز : ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٦ .

وهذا دليل على أن أمره لم يكن يخص بلدا دون بلد ، وانما عممه على سائر البلدان ليشمل كل فقراء المسلمين .

على أنه — وهو الفقيه المحدث — كان يلتزم بمبدأ الأولويات فى النفقة ويجعل لفقراء الأمة أسبقية على ما عداهم من أبواب نفقة يمكن ارجاؤها أو الاستغناء عنها . من ذلك ما رواه ابن الجوزى عن ميسر بن أبى الفرات قال : " كتبت الحجبة الى عمر بن عبد العزيز أن يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب اليهم : انى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة ، فانه أولى بذلك من البيت " (١) .

ومن ذلك أيضا أنه كان " اذا كثر عنده أرقاء الخمس فرقه بين كل مقعدين وبين كل زمنين غلاما يخدمهما ، ولكل أعمى غلاما يقوده " (٢) ، هذا الى جانب دور الطعام والخانات التى ذكرتها آنفا .

ولا شك أن عمر بن عبد العزيز فى هذا الموقف وأشباهه كان يتصرف بحكم الوازع الدينى ، وأداء للأمانة على خير وجه ، وبذلك حظى الفقراء على عهده بنصيب وافر من اهتمامه واهتمام عماله ، فتحسن حالهم حتى كانت الصدقات لا تجد من يأخذها .

قال يحيى بن سعيد الأنصارى : " بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها . وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ولم نجد من يأخذها منى . قد أغنى عمر الناس فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين " (٣)

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز : ص ٧٦ .

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٩ .

وهذا سليمان بن داود الخولاني يقول : أن " عبدة بن أبي لبابة بعث معه بخمسين ومائة درهم ، فأمره أن يفرقها في فقراء الأنصار قال : فأتيت عبد العزيز بن سلمه الماجشون ، فسألته عنهم ، فقال : والله ما أعلم أن فيهم محتاجا ، لقد أغناهم عمر بن عبد العزيز ، فزع اليهم حين ولى فلم يترك فيهم أحدا الا ألحقه " (١) أى ألحقه بالديوان .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب : " انما ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا ، ثلاثين شهرا ، لا والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول اجعلوا هذا حيث ترون للفقراء ... فلا يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده ... فيرجع بماله قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس " (٢).

ويذكر الليث بن سعد : " ان عمر بن عبد العزيز قدم عليه بعض أهل المدينة ، فجعل يسأله عن أهل المدينة ! فقال ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا ؟ ، قال قد قاموا منه يا أمير المؤمنين ... وأغناهم الله ، وكان من أولئك المساكين من يبيع كبب الخيط للمسافرين ، فالتمس ذلك منهم بعد فقالوا قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر ... " (٣)

---

(١) أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ١/٥٠٢ ، وانظر ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٤٦ ب .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٤٧ أ وانظر البسوى : المعرفة والتاريخ ١/٥٨٧ ، وابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٦ .

(٣) البسوى : المعرفة والتاريخ ١/٥٨١ ، وابن الجوزي : سيرة عمر ابن عبد العزيز ص ٧٦ — ٧٧ .

المبحث الرابع
" دوره في نشـــر الاسـلام "

دوره في نشر الاسلام :

لم يكن عمر بن عبد العزيز أقل رغبة ممن سبقه من خلفـــاء بني أميه في نشر الاسلام ، ولكنه بطبيعته المتدينة المتفقهة الملتزمة بالكتـــاب والسنة ، كان يختلف عن غيره من خلفاء بني أمية نشر الاسلام ، ذلك أنه كان يتحرك بدوافع ذات جذور دينية خالصة ، تتصل أساسا فيما سبق أن ذكرنـــاه عن شخصيته من حيث اصراره على الالتزام بالكتاب والسنة ، ومن حيث خشيته مـــن الله سبحانه وتعالى • في كل ما يفعل ، وايمانا منه بمسئوليته كراع في رعيتـــه ، وانطلاقا من هذا ، فقد أخذ ينظر الى من في الثغور الاسلامية من جند المسلمين وما هي عليه أحوالهم القتالية والمعيشية قبل أن يندفع بغزو من هذه النقطـــة ظهر رأى بين المؤرخين يقول بأنه قد أوقف الغزو ، وبالتالي نشر الاسلام عن طريق الغزوات [1] .

ويبدو أنه استند هذا الفريق من المؤرخين المحدثين الى ما أورده الطبري في تاريخه من أن عمر بن عبد العزيز كتب "الى عبد الرحمن بن نعيم يأمره باقفال من وراء النهر [2] من المسلمين بذراريهم • قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مرو [3] فكتب الى عمر بذلك ، فكتب اليه عمر : اللهم انى قد قضيت الذى على ، فلا تغزو بالمسلمين ، فحسبهم الذى قد فتح الله عليهم " [4] .

---

(١) انظـــر شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ٢/٨٦ • وقــد جــاء فيهـــا أوقــف عمــر الحــروب مــع غــير المسلمين أو مع المتمردين من المسلمين واستبدل بذلك دعوة غير المسلمين للاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة •

(٢) ماوراء النهر يراد به ماوراء نهر جيحون بخراسان فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الاسلام سموه ماوراء النهر ، وماكان في غربيه فهـــو خراسان وولاية خوارزم ليست من خراسان وانما هي اقليم برأســـه ، ياقوت : معجم البلدان : ٥/٤٥ •

(٣) مرو : هي أشهر مدن خراسان وقصبتها ، المصدر السابق : ٥/١١٢

(٤) تاريخ : ٦/٥٦٨ •

لكن هذا الرأى فيه ظلم واجحاف بجهود عمر بن عبد العزيز فى نشر الاسلام ، لأنه لم يغفل أمر جنده حيث كانوا على حدود الدولة يخفف عنهم بعض ما يواجهون من متاعب نتيجة للظروف التى كانوا يواجهونها ، سواء كانت طبيعية ، أى من فعل عوامل الطبيعة أو نتيجة لاشتداد مقاومة أعداء الاسلام ، قبل أن يبدأ بارسال حملاته وتوجيه جيوشه لنشر الدين ، وفى نفس الوقت الذى كان يجد فيه الظروف غير مواتية لدفع جيوشه الى نشر الاسلام ، كان يسعى الى نشره بالطرق السلمية ، وفى هذا ، أى بنشر الاسلام بالطرق السلمية وذلك ، بدفع قواته لنشر الاسلام ، بدأ أولا بترتيب بيته من الداخل قبل أن يبدأ بأى محاولة لعرض الاسلام على أهل دار الحرب ، ممن حول الدولة الاسلامية ، ففى الشمال مثلا كان للدولة الأموية منذ عهد سليمان بن عبد الملك جيش يحاول اقتحام أسوار القسطنطينية ، وبلغ من سوء حاله درجة لم يجد عمر بن عبد العزيز بدا من أن يسحبه حفاظا على أرواح جنود المسلمين ، ذلك أن عمر بن عبد العزيز كان أول عمل قام به فور انتهائه من دفن سليمان بن عبد الملك " أن دعا بدواة وقرطاس ، فكتب بيده ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يؤخرها ، فأمضاها من فوره ، فأخذ الناس فى كتابه اياها هنالك فى همزه يقولون : ما هذه العجلة؟ أما كان يصبر الى أن يرجع الى منزله ؟ هذا حب السلطان . هذا الذى يكره ما دخل فيه ، ولم يكن بعمر عجلة ولا محبة لما صار اليه ، ولكنه حاسب نفسه ، ورأى أن تأخير ذلك لا يسعه :

كتب بقفل مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية ، وقد كان سليمان أغزاه اياها برا وبحرا ، وأشفى على فتحها ، ثم خدع عنها حتى أحرزوا طعامهم وحوائجهم ، ثم أغلقوها دونه بعد الاشفاء عليها ، فبلغ ذلك سليمان ، فغضب مما فعل به فحلف أن لا يقفله منها ما دام حيا ، فاشتد عليهم المقام ، وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع ، حتى يتنحى الرجل عن دابته ، فتقطع بالسيوف ، فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهما . ولج سليمان فى أمرهم . فكان ذلك يغم عمر فلما ولى رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يلى شيئا

من أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعة ، فذلك الذى حمله على تعجيل الكتاب" [١]، كما أرسل اليهم الطعام الكثير والخيول العتاق التى بلغت خمسمائة فرس وحث الناس على مساعدتهم . [٢]

وبعد سحبه هذا الجيش ، أخذ عمر يرتب استعدادا لأى طارئ عسكرى ، فقد كان يعلم مدى تلهف الروم وغيرهم على الانتقام من المسلمين ، ولذلك اهتم بترتيب أمر الثغور من حيث العناية بها وتجديدها وتزويدها بما تحتاجه من المرابطين والمجاهدين ، من ذلك ما يرويه لنا البلاذرى فيقول : " وشخص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هرى المصيصة [٣] ، وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين انطاكية [٤] ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ، فأعلمه الناس أنها انما عمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية ، وانه ان أخربها لم يكن للعدو ناحية دون أنطاكية ، فامسك وبنى لأهلها مسجدا من ناحية كفربيا [٥] واتخذ فيه صهريجا ، وكان اسمه عليه مكتوبا " . [٦]

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٦/٥٥٣ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٨٤ .

(٣) المصيصة : هى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس ، ياقوت معجم البلدان ٥/١٤٥ .

(٤) أنطاكية : هى قصة العواصم من الثغور الشامية ، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها ، المصدر السابق ١/٢٦٦ .

(٥) كفربيا : هى مدينة بازاء المصيصة على شاطئ جيحان ، نفس المصدر السابق ٤/٤٦٨ .

(٦) فتوح البلدان : ص ١٧٠ .

وفى رواية أخرى :

" أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أراد هدم المصيصة ونقل أهلها عنها لما كانوا يلقون من الروم فتوفى قبل ذلك " (١).

أما طرندة (٢) ، فنظرا لتوغلها فى أرض الروم ، كانت تأتيها صيفا طالعة من جند الجزيرة فيمكثون بها الى حلول الشتاء ، وتساقط الثلوج ، فاذا كان ذلك قفلوا ، فلما تولى عمر رحل أهلها عنها وهم كارهون لذلك ، وذلك لاشفاقه عليهم من العدو ، فحملوا معهم كل شئ ولم يدعوا للعدو شيئا يستفيد منه حتى خوابى الخل والزيت كسروها ، ثم أنزلهم عمر ملطية (٣) ، وأخرب طرنده ثم ولى على ملطية جعونة بن الحارث أحد بنى عامر بن صعصعة ، وملطية هذه كانت تبعد عن طرنده ثلاث مراحل (٤) .

أما اللاذقية ، فقد أغارت سفن الروم على ساحلها ، فهدموا مدينتها وسبوا أهلها ، وكان ذلك فى سنة مائة للهجرة ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فأمر عمر ببنائها وتحصينها ، ووجه الى طاغية الروم فى فداء من أسر من المسلمين ، ولم يمت عمر بن عبد العزيز حتى حرز مدينة اللاذقية وفرغ منها (٥).

---

(١) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٢) طرندة : كان المسلمون قد نزلوا طرنده بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ هـ وبنوا بها مساكن ، وهى من ملطيه على ثلاث مراحل داخلية فى بلاد الروم وملطية يومئذ خراب ، ياقوت معجم البلدان ٣٢/٤ .

(٣) ملطية : هى بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام ، المصدر السابق ١٩٢/٥ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٩ - ١٩٠ ، وانظر ياقوت معجم البلدان ٣٢/٤ .

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٩ .

بهذه الجهود والأعمال اطمأن عمر الى سلامة ثغور الدولة الاسلامية فأخذ يعد الشواتي[1] والصوائف[2] لارسالها الى دار الحرب وأعداء الاسلام ، وهذا يدحض قول من يقول أنه أوقف نشر الاسلام عن طريق الغزو ، كما يؤكد أنه لم يكن أقل من خلفاء بني أمية رغبة في نشر الاسلام ، وأنه جرى على نفس سنتهم ، فأرسل الشواتي والصوائف على الجهات الشمالية من دار الخلافة .

ففي سنة مائة للهجرة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي ، وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة .[3]

وكتب الى عامله هناك يقول : " اذا دخلت الصائفة فلا تتركن أحدا يدخل في أثرهم الا في قوة وجماعة من الرجال والخيل والمدد ".[4]

كما أرسل معهم الترياق ، ورخص لهم بنصب المنجنيق على الحصون وبالتدخين على العدو .[5]

ولم تشغل الجهة الشمالية للدولة الاسلامية عمر عن الجهة الشرقية من دولته فقد وجه عامله على خراسان ، الجراح بن عبد الله الحكمي ، عبد الله بن معمر اليشكري الى ما وراء النهر ، فأوغل في بلاد العدو ، وهم بدخول الصين لكن الترك أحاطت به حتى افتدى منهم ، وسار الى الشاش (٦) ، كما غزا

---

(١) الشواتي : جمع شاتية وهي الحملة العسكرية التي تخرج للغزو شتاء .
(٢) الصوائف : جمع صائفة ، وهي الحملة العسكرية التي تخرج للغزو صيفا .
(٣) الطبري : تاريخ ٦/٥٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٨٨ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٥٣ .
(٥) المصدر السابق ٥/٣٤٢ ، أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ١/٣٥٣ .
(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٥ .
الشاش : اقليم بما وراء النهر ، متاخم لبلاد الترك ، ياقوت معجم البلدان : ٣/٣٠٩ .

عامله عمرو بن مسلم أخو قتيبة بن مسلم على السند بعض بلاد الهند فظفر [١] .

وهذا دليل واضح على أن عمر لم يوقف الغزو في سبيل الله كما ادعى بعض المحدثين .

واذا كان ارسال الجيوش لنشر الاسلام قد اتفق المؤرخون والكتاب عموما على ايجابيته بالنسبة لنشر الدعوة ، فلم يكن يقل عن ذلك ايجابية ما بذله عمر ابن عبد العزيز من جهود للحفاظ على بلاد الاسلام ، والزود عنها ، ورد كل محاولة للاعتداء عليها ، وهذه هي الأخرى تحسب لعمر بن عبد العزيز ردا على من ادعوا أنه أوقف نشر الاسلام عن طريق الغزو ، على أن الحفاظ على القائم لا يتم الا اذا كان لديه من الجند المستعدين للقتال ما يرهب به أعداء الله وأعداء الاسلام ، ولاشك أنه لم يغب عن بال عمر قول الله سبحانه وتعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [٢].

ومن جهوده في رد محاولات أعداء الاسلام النيل من الدولة الاسلامية ، أنه حدث أن أغار الترك على أذربيجان [٣] وقتلوا بعض المسلمين هناك ، فوجه عمر اليهم حاتم بن النعمان الباهلي الذى قتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم الا اليسير ، وأرسل منهم إلى عمر بن عبد العزيز وهو في خناصرة خمسين أسيرا وكان ذلك في عام تسعة وتسعين للهجرة [٤] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥/٥٤ ــ ٥٥ .

(٢) الآية ٦٠ من سورة الأنفال .

(٣) أذربيجان : حدها من برذعة مشرقا الى أرزنجان مغربا ، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم ، والجيل ، والطرم ، وهو اقليم واسع ، ومن مشهور مدائنها تبريز وهى قصبتها وأكبر مدنها ، ياقوت معجم البلدان ١/١٢٨ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٦/٥٥٣ ــ ٥٥٤ ، اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٠٢ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٤٣ .

مما سلف يظهر أن عمر بن عبد العزيز ما تقاعس وما توانى عن محاولاته لنشر الاسلام غزوا ودعوة أو درءالأعداء الاسلام ولكنه يتميز عن سائر خلفاء بنى أمية أجمعين أنه ما كان يجند رجلا ، ولا يستعمل مقاتلا الا اذا اطمأن الى فقهه فى الدين والتزامه بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله عن أصول الدعوة والجهاد فى الاسلام ، ومعاملة أهل البلاد المفتوحة .

وقد أورد المؤرخون فى هذا الصدد كثيرا من الشواهد التى توضح جهود عمر فى هذا الصدد ومنها :
ما رواه ابن سعد عن صفوان بن عمرو قال : " جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز — وهو خليفة الى عامله — أن لا تقاتلن حصنا من حصون الروم ولا جماعة من جماعاتهم حتى تدعوهم الى الاسلام ، فان قبلوا فاكفف عنهم ، وان أبوا فالجزية ، وفان أبو فانبذ اليهم على سواء " (١) .

وكان عمر قد أوضح ذلك فى رسالته المطولة الى عماله جاء فيها " ... وأما من كان اليوم محاربا فليدع الى الاسلام قبل أن يقاتل ، فان أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وله ما أسلم عليه من أهل ومال وان كان من أهل الكتاب فأعطى الجزية وأمسك بيديه فانا نقبل ذلك منه " (٢).

ولو ألقينا نظرة على وصاياه الى قواد جنده حين يوجههم لقتال الأعداء سنجد فيها تطابقا كاملا مع وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده الى قادة الفتح الاسلامى فى الجزيرة العربية والعراق وفارس والشام ومصر ، ولا عجب فى ذلك ، فعهد عمر بن عبد العزيز هو امتداد لذلك العصر الذهبى فى الاسلام (٣) .

---

(١) الطبقات ٥/٣٥٥ .

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٩

(٣) انظر هذه الوصايا عند ابن سعد : الطبقات ٥/٣٦٩ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧١ — ٧٣ ، الطبرى : تاريخ ٦/٥٧٢

بعد أن فرغنا من الحديث عما حاول أن يلصقه المحدثون من المؤرخين بعمر ابن عبد العزيز من حيث تركه الغزو كوسيلة لنشر الاسلام ، ننتقل الى جهوده فى نشر الاسلام عن طريق الدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة فيما أرسله من كتب ، أو دعاة الى غير المسلمين من أهل دار الحرب .

ذلك أنه فى عام مائة هجرية " كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام على أن يملكهم بلادهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وقد كانت سيرته بلغتهم ، فأسلم جيشبه بن ذاهر (١) ، والملوك تسموا له بأسماء العرب ... وبقى ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ويزيد ابن عبد الملك ... " (٢).

هذا وقد أورد ابن تغرى بردى جواب ملك الهند والسند على رسالة عمر بن عبد العزيز هذه ، فقال : " كتب ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز من ملك الهند والسند ، ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك وتحته ابنة ألف ملك ، والذى فى مملكته نهران ينبتان العود والكافور والأكرة التى يوجد ريحها من اثنى عشر فرسخا ، والذى فى مربطه ألف فيل وتحت يده ألف ملك ، الى ملك العرب :

أما بعد ، فان الله قد هدانى الى الاسلام فابعث الى رجلا يعلمنى الاسلام والقرآن وشرائع الاسلام ، وقد أهديت لك هدية من المسك والعنبر والند والكافور فاقبلها ، فانما أنا أخوك فى الاسلام ، والسلام " (٣).

كما أرسل عمر برسائل الى ملوك ما وراء النهر يدعوهم فيها الى الاسلام فأسلم

---

(١) فى رواية البلاذرى أن اسمه هو جليشة بن داهر ، راجع فتوح البلدان ص ٤٢٨

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥/٥٤ ــ ٥٥ وانظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٩.

(٣) النجوم الزاهرة ٢/٢٤٠ .

بعضهم • (١)

أما اليون قيصر الروم فقد بعث اليه عمر وفدا برئاسة عبد الأعلى بن أبى عمره لدعوته الى الاسلام • (٢)

ولم يكتف عمر بهذا ، فقد قام بتشجيع غير المسلمين على الدخول فى الاسلام عن طريق اعطائهم الأموال لتألفه قلوبهم ، وذلك اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكر ابن سعد عن " عيسى بن أبى عطاء رجل من أهل الشام كان على ديوان أهل المدينة عن عمر بن عبد العزيز أنه ربما أعطى المال من يستألف على الاسلام ". (٣)

كذلك ذكر عن عمر بن عبد العزيز أنه أعطى بطريقا ألف دينار استألفه على الاسلام • (٤)

كما كان لتصحيح الوضع الخاص بأهل الذمة الذين أسلموا بوضع الجزية عنهم أثر واضح فى زيادة اقبال الذميين على الدخول فى الاسلام برغم كل ما ترتب على ذلك بالنسبة لبيت المال مثل ما فعل مع واليه على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى حيث أرسل اليه يقول : "انظر من صلى قبلك الى القبلة ، فضع عنه

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤١٥ •

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقة ١٦٣ أ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٢٠٥ •

(٣) الطبقات : ٥/٣٥٠ •

(٤) المصدر السابق ٥/٣٥٠ •

الجزيـة " (١)، ثم أرسل بدعوة أهل الذمة الى الدخول فى الاسلام ، فمثلا أرسل الى عامله الجراح بن عبد الله الحكمى يأمره بدعوة أهل الجزية الى الدخول فـــى الاسلام ، فان أسلموا قبل اسلامهم ، وأن يضع الجزية عنهم ، ثم كان لهـــم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين (٢).

وقد ترتب على هذه الدعوة دخول عشرات الألوف من الناس فى الاسلام طائعين ففى خراسان أسلم نحو من أربعة آلاف ذمى على يد واليه الجراح بن عبد الله (٣)، أما فى المغرب فقد أسلم عامة البربر على يد والى عمر على المغرب اسماعيل بـــن عبد الله بن أبى المهاجر (٤) .

وكان ذلك دليلا على بعد نظر عمر فى الاهتمام بالدعوة الى الاسلام عـــن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، اذ كانت نتائجها لا تقل عن نتائج أى غـــزو حدث على عهده ، أو عهد أسلافه ، بل تعدى ذلك الى أنه قد كسب مسلمـــين جددا دون أن يتكلف شهيدا ، أو نفقة لاعداد جيوش .

وبهذا يكون الاسلام قد انتشر على عهد عمر بن عبد العزيز بالحكمة والموعظة الحسنة ، والاستمرار فى أسلوب الجهاد الواعى على أيدى مجاهدين ثقفهم وعلمهم واطمأن الى دينهم واخلاصهم لله ورسوله .

واستمرارا فى سياسته التى التزم بها من حيث احساسه بمسئوليته عن رعيته لم يكن يكتفى من الناس بالاسلام ، بل كان يتابع عملية دخولهم فيه بتفقيههم فيه وتعليمهم اياه ، حتى يحسن اسلامهم ويقوم الدين فيهم على أساس سليم قوى ذلك . أنه كان يرسل الى من يدخلون فى الاسلام الفقهاء والعلماء ليقومـــوا على هذا التفقيه فى الدين ، ومن ذلك ما يرويه أبو عبيد (٥) وغيره من المؤرخين فيقول:

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥/٥٥٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٨٦ .

(٣) المصدر السابق ٥/٣٨٦ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(٥) الأموال : ٣٣٣ — ٣٣٤ ، وانظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العـــزيز ص ١٣٧ .

" بعث عمر بن عبد العزيز يزيد بن أبي مالك الدمشقي [١] ، والحارث بن يمجد الأشعري [٢] يفقهان الناس في البدو ، وأجرى عليهما رزقا . فأما يزيد فقبل ، وأما الحارث فأبى أن يقبل ، فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك . فكتب عمر : انا لا نعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد " .

ولم يكن يزيد والحارث هما فقط اللذان أرسلا لهذا الغرض بل وجه عمر عنايته الى افريقية بسبب الظروف السياسية التي اكتنفت الحكم الاسلامي فيها في الفترة التي سبقت توليه الخلافة وما جرى بين البربر والمسلمين من معارك طاحنة فخصها بعدد من فقهاء التابعين لتفقيه أهلها ، ونشر الاسلام بينهم .

أولهم : عبد الله بن يزيد المعافري الافريقي الحبلي أبو عبد الرحمن روى عن أبي أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما ، وروى عنه جماعة .

وكان صالحا فاضلا ثقة ، سكن القيروان [٣] وبث فيها علما كثيرا ، توفي سنة ١٠٠ هـ . [٤]

---

(١) هو يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك هانئ الهمداني الدمشقي العلامة القاضي روى عن أبيه وأنس بن مالك وروى عنه الأوزاعي كان من فقهاء الشام وثقة الكثيرون من أئمة الحديث توفي سنة ١٣٠ هـ ، انظر ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢/٢٢٧ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٥/٤٣٧ - ٤٣٨ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ١١/ ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٢) هو الحارث بن يمجد الأشعري قاضي حمص روى عن عبد الله بن عمر وروى عنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، انظر ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١/٢/٩٤ .

(٣) القيروان : مدينة عظيمة بافريقية ، مصرت في الاسلام في أيام معاوية رضي الله عنه ، ياقوت معجم البلدان ٤/٤٢٠ .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/١٩٧ ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ (ت ٦٩٦هـ) معالم الايمان في معرفة أهل القيروان تحقيق ابراهيم شبوح (ط مصر) ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ١/١٨٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/ ٨١ - ٨٢ .

وثانيهم : اسماعيل بن عبيد الأنصاري مولى لهم المعروف بتاجر الله ، روى عن العبادلة ابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص ، روى عنه بكر ابن سواده الجذامي وكثير من أهل افريقية .

كان فاضلا عالما فقيها ناسكا كثير الصدقات ، والمعروف ، توفى سنة ١٠٧ هـ .(١)

وثالثهم : عبد الرحمن بن رافع التنوخي ، أبو الجهم المصري قاضي افريقية . روى عن عبد الله بن عمرو وغيره من الصحابة ، وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم الافريقي كان عدلا في أحكامه ثقة في نفسه ، توفى بالقيروان سنة ١١٣ هـ (٢) .

والرابع : جمثل بن هاعان بن عمير الرعيني ثم القتباني ، أبو سعيد المصري . روى عن أبي تميم عبد الله بن مالك الجيشاني ، وروى عنه عبيد الله بن زحر الافريقي وبكر بن سوادة الجذامي .

كان فقيها عالما ثقة قارئا ، توفى حوالى عام ١١٥ هـ .(٣)

أما الخامس : فهو اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي مولاهم الدمشقي ، أبو عبد الحميد ، روى عن أنس ، والسائب بن يزيد ، وفضاله بن عبيد ، وغيرهم وروى عنه الأوزاعي وغيره كان صدوقا ثقة صالحا فاضلا مأمونا زاهدا أسلم عامة البربر في ولايته ، لأنه كان حسن السيرة حريصا على اسلامهم ، توفى في القيروان سنة ١٣٢ هـ (٤) .

---

(١) الدباغ : معالم الايمان ١/ ١٩١ .

(٢) البخاري : التاريخ الكبير ٥/ ٢٨٠ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/ ٢٣٢ ، الدباغ : معالم الايمان ١/ ١٩٨ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٨ .

(٣) علي بن هبة الله بن علي المعروف بابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (ط حيدر آباد) بين سنتي ١٣٨١ هـ - ١٣٨٦ هـ ، ٢/ ١٠٧ ، معالم الايمان ١/ ٢٠٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢/ ٧٩ .

(٤) البخاري : التاريخ الكبير ٣/ ٣٦٦ ، الدباغ : معالم الايمان ١/ ٢٠٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/ ٣١٧ - ٣١٨ .

وسادسهم : حبان بن أبي جبلة القرشي مولى بني عبد الدار المصري روى عن العبادلة الا ابن الزبير وغيرهم، وروى عنه ابن أنعم . كان ثقة فاضلا ، سكن القيروان وانتفع به أهلها ، وتوفي فيها سنة ١٢٢ هـ وقيل سنة ١٢٥ هـ (١)

وأما سابعهم فهو : أبو ثمامة ، بكر بن سوادة الجذامي المصري روى عن عبد الله بن عمرو وغيره، وروى عنه جماعة من التابعين من بينهم سعيد بن المسيب والزهري .

كان من فقهاء التابعين وصلحائهم وثقة أئمة الحديث . سكن القيروان ، وتوفي في افريقية ، ويقال غرق في بحار الأندلس ، وذلك في عام ١٢٨ هـ (٢).

وثامنهم : أبو مسعود ، سعد بن مسعود التجيبي الكندي المصري ، روى عن أبي الدرداء وغيره ، وروى عنه عبيد الله بن زحر . كان فقيها عالما صالحا مشهورا بالدين والفضل لا تأخذه في الله لومة لائم ، سكن القيروان وبث فيها علما كثيرا وتوفي بها (٣)

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢٤٨/٢/١ ، ابن ماكولا الاكمال ٣٠٨/٢ ، الدباغ : معالم الايمان ٢٠٩/١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٧١/٢ .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣٨٦/١/١ ، الدباغ : معالم الايمان ٢١١/١ — ٢١٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٨٤/١ .

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٩٤/١/٢ — ٩٥ ، الدباغ : معالم الايمان ١٨٥/١ — ١٨٧ .

وتاسعهم : موهب بن حيي المعلرفي

روى عن ابن عباس ، وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وغيره .

كان فاضلا سكن القيروان ، وبث بها علما كثيرا وبها توفي .(١)

أما عاشرهم فهو : طلق بن جعبان الفارسي ، ويقال ابن جابان .

روى عن عبد الرحمن بن أبي أمية ، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وروى عنه موسى بن علي بن رباح .

كان فقيها عالما . وهو أحد العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل القيروان .(٢)

كما أن عمر بن عبد العزيز حينما لم يرسل فقهاء الى الأمصار كان لا يضن عليها بالكتب التي يعلمهم من خلالها شرع الله وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكد مالك بن أنس هذا فيما نقل عنه ابن عبد البر(٣) ، قال مالك :

" كان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى ، وأن يعملوا بما عندهم " .

وسبق ذكر بعض هذه الرسائل ، وسيأتي ذكر بعضها الآخر في ثنايا البحث ان شاء الله .

يضاف الى ذلك أنه أمر عماله أن يجروا على طلبة العلم الرزق ، وأن يفرغوهم(٤) . تنفيذا لما جاء في كتاب الله عز وجل من تخصيص طائفة من المسلمين ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم .

وهكذا عمل عمر بن عبد العزيز جاهدا على نشر الاسلام بالوسائل المختلفة وعلى أساس من تفقيههم في الدين وتعليمهم اياه سواء بالغزوات ، أو بالدعوة ، أو بالكتب أو بالدعاة الفقهاء .

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/١/٤١٥ ، الدباغ : معالم الايمان ١/٢١٣ .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/١/٤٩١ ، ابن ماكولا : الاكمال ٢/١٠٨ ، الدباغ : معالم الايمان ١/٢١٥ .

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين (ط المغرب) ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ١/٨٠ - ٨١ .

(٤) الكتاني : التراتيب الادارية ١/٣٩٥ .

الفصل الثالث

سياسة عمر بن عبد العزيز في رد المظالم

المبحث الأول : المظالم قبل خلافة عمر بن عبد العزيز

المبحث الثاني : سياسة عمر بن عبد العزيز في رد المظالم

المبحث الأول
" المظالم قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز "

الظلم آفة اجتماعية خطيرة ، وتفشيه فى المجتمع يؤدى الى الحاق الأضرار الجسيمة به ، فالظلم من الوقائع الملموسة على مر العصور ، فهو قديم قدم الانسان على الأرض ، وهو أصل النقم ويعد انطلاقة لما هو شر وباطل ، ومن أجل هذا اجتمعت آراء الناس فى كل العصور على مقت الظلم وانكاره . وللظلم دوافع نفسية متعددة : كحب الانتقام ، وحب الذات ، والرئاسة ، والتسلط والغضب ، والحسد ، والطمع ، والبخل . الخ .

والانسان اذا ما فقد الطمأنينة والعدل ، ولازمه الشعور بالظلم ، ووقوع الحيف عليه ، يجعله قليل العطاء ، يشحذ تفكيره فى رد ظلم الآخرين عنه ، وبهذا يكون الظلم هو أحد أسباب تفكك المجتمعات ، وانتشار الحقد والكراهية بين أفرادها ، ولهذا نزلت الرسالات السماوية بمنعه ، وتهديد مقترفيه بالعذاب الأليم .

ومن الظلم جاءت المظالم التى شمر عمر بن عبدالعزيز عن ساعديه لردها ، وتخليص الأمة الاسلامية من شرورها وآثارها التى أصابت الكثيرين ؛ وهذا هو ما أتصدى لبحثه وتفصيله فى الفصل التالى :

معنى المظالم :

المظالم من باب ظلم .

والظلم : وضع الشىء فى غير موضعه . ومن أمثال العرب فى الشبه : من أشبه أباه فما ظَلَمَ ؛ قال الأصمعى : ما ظَلَمَ أى ما وضع الشبه فى غير موضعه . وفى المثل : من استرعى الذئب فقد ظَلَمَ ، وفى حديث ابن زمل : لزموا الطريق فلم يظلِموه ، أى : لم يعدلوا عنه ؛ يقال : أخذ فى طريق فما ظَلَمَ يمينا ولا شمالا ؛ وأصل الظُلم الجور ومجاوزة الحد ، ومنه حديث الوضوء : فمن زاد أو نقص فقد أساء . وظَلَم أى أساء الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع ،

وظَلَمَ نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات فى الوضوء . وفى التنزيل العزيز : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير : لم يخلطوا ايمانهم بشرك ، وروى ذلك عن حذيفة وابن مسعود وسلمان ، وتأولوا فيه قول الله عز وجل : ان الشرك لظلم عظيم ، والظلم الميل عن القصد ، والعرب تقول : الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه أى لا تجر عنه . وقوله عز وجل : ان الشرك لظُلْمٌ عظيم ، يعنى أن الله تعالى هو المحى المميت الرزاق المنعم وحده لاشريك له ، فاذا أشرك به غيره فذلك أعظم الظُّلْم ، لأنه جعل النعمة لغير ربها . يقال : ظَلَمَه يظلِمه ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلِمةً ، فالظَلْمُ مصدر حقيقى ، والظُّلْم الاسم يقوم مقام المصدر ، وهو ظالمٌ ومظلوم ، والظُّلم الاسم ، وظَلَّمه حقه وتظَلَّمه اياه ، وتَظَلَّمَ منه : شكا من ظُلمه . والمُتَظَلِّمُ : الذى يشكو رجلا ظَلَمَـــهُ .

وتظلَّمنى فلان أى ظَلمنى مالى .

ويقال : تظلَّمَ فلان الى الحاكم من فلان فظَلَّمه تظليماً ، أى : أنصفه من ظالمه ، وأعانه عليه .

وأظَّلم وانظلمَ : احتمل الظُّلمَ . وظَلَّمَه : أنبأه أنه ظالم أو نسبه الى الظُّلم .

والظُّلامةُ : ما تُظْلَمه ، وهى المَظْلِمةُ . قال سيبويه : أما المَظْلِمَةُ فهى اسم ما أخذ منك . وأردت ظُلامَةً ومَظالمتَه أى ظُلْمه .

والظُّلامةُ والظَّليمةُ والمَظْلِمةُ : ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك .

ويقال : ظُلِم فلان فاظَّلَمَ ، معناه أنه احتمل الظُّلم بطيب نفسه وهو قادر على الامتناع منه .

وتظالم القوم : ظلم بعضهم بعضا . ويقال : أظلَمُ من حية ، لأنها تأتى الجحر لم تحتفره فتسكنه .

وظالمهُ مُظالمةً ، وظلاما : ظَلَمه .

ظَلَمه : رماه بالظلم ونسبه اليه . و ـــ أنصفه من ظالمه .

وتظالموا : ظلمَ بعضهم بعضا .

الظَّليمةُ : ما أخذ منك ظلما . (ج) ظلائم .

المظلمة : الظلامة ، (ج) مظالم

قال الزمخشرى :

فلا ن يظلم فيظلم : يحتمل الظلم . قال زهير :

ويظلم أحيانا فيظلم .

وعند فلان ظلامتى ومظلمتى : حقى الذى ظلمته ، وتظلمنى حقى . وتظلمت منه الى الوالى (١).

ولأن فى الظلم جورا ومجاوزة للحد وعدوانا على الغير ، فقد ورد النهى عنه والتحذير منه كثيرا جدا فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية الصحيحة واقترن ذلك بالوعيد الشديد من الله سبحانه وتعالى لمن يقترف الظلم ويقصده بالعذاب الأليم ، وسوء المصير فى الدنيا والآخرة ، وسوف اكتفى هنا بتقديم بعض الأمثلة التى تضمنت ذلك فى القرآن والحديث :

يقول الله تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم) (٢). وقال أيضا (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) (٣) . ثم قال (انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) (٤) .(والظالمين أعد لهم عذابا أليما) (٥)

أما فى الحديث الشريف ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادى ، انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " (٦).

---

(١) راجع : أساس البلاغة للزمخشرى (مادة ظلم) ص ٢٩٠ ، ولسان العرب لابن منظور (مادة ظلم) ١٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ، والمعجم الوسيط لابراهيم مصطفى وآخرين (مادة ظلم) ٢/ ٥٨٣ .

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٣

(٣) سورة النساء آية رقم ٤٠

(٤) سورة الكهف آية رقم ٢٩

(٥) سورة الانسان آية رقم ٣١

(٦) النووى : رياض الصالحين تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة (ط بيروت). ١٣٩٠ هـ ص ٢٠ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : " اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة " . (١)

وقال : " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين " . (٢)

وقال : " ان الله يملى للظالم ، فاذا أخذه لم يفلته " . (٣)

نشأتها :

نستطيع أن نجزم أن ظلم الانسان لأخيه الانسان ظهر مع بدء الخليقة ، فيما رواه لنا رب العباد فى كتابه المنزل عن قصة هابيل وقابيل. (٤) ومع استمرار الحياة تعددت صور الظلم وتنوعت ، وهذا ما جعل ملوك الفرس يرون الجلوس للمظالم من قواعد الملك وقوانين العدل الذى لا يعم الصلاح الا بمراعاته ، ولا يتم التناصف الا بمباشرته . (٥) وكانت قريش فى الجاهلية حين انتشرت فيهم الرئاسة ، وكثر فيهم الزعماء ، ورأوا من التجاذب والتغالب مالم يكفهم عنه سلطان قاهر ، عقدوا حلفا على رد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم ، وكان سببه ما ذكره الزبير بن بكار : أن رجلا من اليمن من بنى زبيد ، جاء مكة معتمرا ومعه بضاعة ، فاشتراها منه رجل من بنى سهم ، وقيل انه العاص بن وائل ، فأنكر على الرجل حقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه ، فقام على الحجر وأنشد بأعلى صوته :

---

(١) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٤) سورة المائدة الآيات ٢٧ — ٣١ .

(٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٧٨ .

يال قصي لمظلــــوم بضاعتـــه ببطن مكة نائي الدار والنفـــر
وأشعث محرم لم تقض حرمتـه بين المقام وبين الحجر والحجر
أقائم من بني سهم بذمتهــــم أو ذاهب في ضلال مال معتمـــر

ثم باع قيس بن شيبة السلمي متاعا على أبي بن خلف فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بني جمح فلم يجره ، فقال قيس من الرجز :

يال قصي كيف هذا في الحـــرم وحرمة البيت وأحلاف الكـــرم
أظلم لا يمنع عني من ظلـــم

فأجابه العباس بن مرداس السلمي :

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الذل أنفاسا
فأت البيوت وكن من أهلها صددا لا تلق نادیهم فحشا ولا بأسا
ومن يكن بفناء البيت معتصما يلق ابن حرب ويلق المرء عباسا
قومي قريش بأخلاق مكملـــة بالمجد والحزم ما عاشا وما ساسا
ساق الحجيج وهذا ناشر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

فقام أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب فردا عليه ماله ، ونتيجة لذلك اجتمعت بطون قريش فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة ، والا يظلم أحد الا منعوه ، وأخذوا للمظلوم حقه ، وكان معهم يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلـــم قبل النبوة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فعقدوا حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن هذا الحلف بعد بعثته :

(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول ما لو دعيت اليه لأجبت ، وما أحب أن لي به حمر النعم)[١].

وقال بعض قريش في هذا الحلف :

تيم بني مرة ان سألت وهاشمـــا وزهرة الخير في دار ابن جدعان
متحالفين على الندى ما غــــردت ورقاء في فنن من جذع كتمـــان

وهذا وان كان فعلا جاهليا دعتهم اليه السياسة فقد صار بحضور رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم له وما قاله في تأكيد أمره حكما شرعيا وفعلا نبويا .[٢]

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٩ .

فى عصر النبى والخلفاء الراشدين :

وحين قامت الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة أورد الماوردى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نظر المظالم فى الشرب الذى تنازعه الزبير بن العوام رضى الله عنه ورجل من الأنصار فحضره بنفسه فقال للزبير: "اسق أنت يا زبير ثم الأنصارى . فقال الأنصارى : انه لابن عمتك يا رسول الله فغضب من قوله ، وقال : يا زبير أجره على بطنه حتى يبلغ الماء الى الكعبين" (١)

" ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد ، لأنهم فى الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم بين من يقوده التناصف الى الحق أو يزجره الوعظ عن الظلم ، وانما كانت المنازعات تجرى بينهم فى أمور مشتبهة يوضحها حكم القضاء ، فان تجور من جفاه أعرابهم متجور ثناه الوعظ أن يدبر ، وقاده العنف أن يحسن ، فاقتصر خلفاء السلف على فصل التشاجر بينهم بالحكم والقضاء تعيينا للحق فى جهته . لانقيادهم الى التزامه ، واحتاج على رضى الله عنه حين تأخرت امامته ، واختلط الناس فيها وتجوروا الى فصل صرامة فى السياسة وزيادة تيقظ فى الوصول الى غوامض الأحكام فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ولم يخرج فيها الى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه " (١) .

على أنه برغم رأى الماوردى وما فيه من صحة بدرجة كبيرة ، فان ثمة اشارات فى كتب التاريخ التى تحدثت عن الصدر الأول للاسلام على عهد الراشدين من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرت أنه " كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله اذا ولاهم ، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربما أخذه منهم ، فكتب الى عمرو بن العاص : أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر ، فكتب اليه عمرو: أن أرضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا ، فكتب اليه : انى قد خبرت من عمال السوء ما كفى وكتابك الى كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطعمه طلمة ، وأخرج اليه ما

---

(١) المصدر السابق ص ٧٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

يطالبك به ، ولعفه من الغلظة عليك ، فانه يرح الخفاء ، فقاسمه ماله " (١) .

على أن هذه الاشارة لما حدث على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد سبقها نظير لها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أخذ من عامله على الصدقة ما أعطاه الناس له من هدايا وقال له : " أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة " (٢).

على أن هذه المقاسمة كانت نتيجة لما استقر فى نفس عمر من أن ولاة عمرو بن العاص من ناحية كانوا يظلمون الناس ، عندما قال له : " وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك الا أن عمالك عمال السوء وماتوالس عليك وتلفعت اتخذوك كهفا " (٣)

وكما مر علينا ان الجزء الذى أخذه عمر بن الخطاب من عماله أودعه بيت مال المسلمين ، باعتبار أن بيت مال المسلمين ملك للجميع ، ثم ما كان ليعرف عمر ابن الخطاب أصحاب هذا القدر الذى أخذه منهم عمرو وغير عمرو من ولاته ، ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار هذه المقاسمة نوعا من الفصل فى المظالم التى نتجت عن ارهاق الرعية ، أو الأخذ منها بغير حق ، بدليل قول عمرو بن العاص جوابا على رسالة عمر بن الخطاب حيث قال : " فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ، ويزعم أنى أحيد عن الحق وأنكث عن الطريق ، وانى والله ما ارغب عن

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٢٠ — ٢٢١

وفى رواية ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب أرسل اليه يقول : أما بعد فانكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام وأكلتم الحرام وأورثتم الحرام وقد بعثت اليك محمد بن مسلمة الأنصارى ليقاسمك مالك فاحضره مالك والسلام ، انظر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) فتوح مصر وأخبارها (ط ليدن) ١٩٢٠ م ، ص ١٤٦ .

(٢) النووى : رياض الصالحين ص ١٠٠

(٣) المقريزى : الخطط ١/٧٨

صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظروني الى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع مالا غنى بهم عنه والسلام " .(١)

واذا كان عمر بن الخطاب قد أودع ما أخذه من أموال من ولاته بعد مقاسمتهم في بيت مال المسلمين فانما فعل مثل ما فعله رسول الله مع عماله على الصدقة ، كما أن عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب والذى ترسم خطاه في حياته قد أودع هو الآخر بعض ماله الخاص بيت مال المسلمين حين دخلته مظنة أن يكون هذا المال فيه مظلمة ، فقد " باع ما كان له من المزارع من عبد أو أمة أو بهيمة أو آلة ، وباع ما كان من متاع أو مركب أو لباس أو عطر ... فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار ثم جعلها في سبيل الله " .(٢)

وبهذه المناسبة ، نستطيع أن نضرب عرض الحائط الرواية التي جاءت في بعض المصادر عن تسليم عثمان بن عفان رضى الله عنه خمس خراج افريقية الى بعض أقاربه ، سواء كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، أو مروان بن الحكم (٣) ، لأن سند هذه الرواية مطعون فيه ، ذلك أن رواتها هو الواقدى عن أسامة بن زيد الليثي عن ابن كعب ، ومعروف عن الواقدى أنه كذوب بين رجال الحديث (٤) ، وكذلك أسامة بن زيد الليثي منكر الحديث(٥) .

في العصر الأموى قبل خلافة عمر :

وحين قامت الدولة الأموية كان قد مضى على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه ثلاثون عاما ، وخلال هذه الفترة انتقل الى الرفيق الأعلى . عدد من كبار الصحابة ، وذوى التأثير الحسن

---

(١) المصدر السابق ١/ ٧٩ .
(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٤/ ٢٥٣،٢٥٦ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٣/ ٩١ .
(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/ ١/ ٢٠ — ٢١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩/ ٣٦٣ ، وانظر الذهبي : ميزان الاعتدال ٣/ ٦٦٢ — ٦٦٣ .
(٥) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١/ ١/ ٢٨٤ — ٢٨٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/ ٢٠٨ — ٢٠٩ ، وانظر الذهبي : ميزان الاعتدال ١/ ١٧٤ .

فى المجتمع الاسلامى ، من أمثال أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وخلال هذه الفترة كذلك فتح الله على المسلمين أملاك الفرس ، وكثيرا من أملاك الروم ، وترتب على ذلك تغيير جذرى فى المجتمع الاسلامى ، حيث انتقل كثير من المسلمين الى البلاد المفتوحة واختلطوا بأهلها ، وعرفوا طرائق حياتهم وأسلوب التعامل فيما بينهم ، كما أفاء الله على المسلمين نتيجة لتلك الفتوح غنى وجاها لا شك أثرا فى الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية .

ورغم أن ذلك كان له تأثير عميق على حياة المسلمين فانهم لم ينحرفوا عن كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولقد ظهر هذا التحول بصورة بارزة على عهد معاوية بن أبى سفيان الذى أخذ فى مظاهر حكمه كثيرا مما كان معمولا به فى بلاد آل ساسان وفى أرض القياصرة ، وكان له فى ذلك منطقه الخاص وحجته التى أدلى بها أيام ولايته على الشام حين سأله عمر بن الخطاب " وكان قد " تلقاه معاوية فى موكب عظيم ، فلما دنا منه قال له عمر : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين . قال : مع ما يبلغنى من طول وقوف ذوى الحاجات ببابك ! قال : مع ما يبلغك من ذلك . قال : ولم تفعل هذا ؟ قال : نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة . فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فان أمرتنى فعلت ، وان نهيتنى انتهيت . فقال عمر لمعاوية ما أسألك عن شئ ، الا تركتنى فى مثل رواجب الضرس ، ان كان ما قلت حقا انه لرأى أريب ، وان كان باطلا انه لخدعة أديب . قال : فمرنى يا أمير المؤمنين ، قال : لا آمرك ولا أنهاك " (١) .

كما أخذ المسلمون فى الاقبال على اقتناء الأرض بطرق شتى من شراء واحياء موات واقطاع . وقد صاحب كثيرا من ذلك أمور وتصرفات تدخل فى باب المظالم ، كما سيأتى ، وركنت بذلك جماعات من العرب الى بذل كل الجهد ، وقصر الهمة على

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ٣/٣٩٧ .

فلاحة الأرض ، والعناية بها وما كان يحتاجه ذلك من استخدام عمال لفلاحتهـا والعناية بها ، وما صاحب ذلك من بعض التصرفات التي تؤخذ على ملاك الأرض الجدد ، وهذا مما أعاد الى أذهان البعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ترك السيف والركون الى الأرض ، وأثر ذلك على المسلمين عن أبي أمامة الباهلي قال ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يدخل هذا بيت قوم الا أدخله الله الذل) (١)، ويضاف الى ما سلف أن بعض الخلفاء كانوا بحاجة الى المال لتوطيد أمور دولتهم ، كما عمل بعض عمال بني أمية على مداهنة الخلفاء من أجل ابقائهم في مناصبهم ، ولو عن طريق ظلم الرعية والتعسف بها ، كل هذه الظروف التي اكتنفت الدولة الاسلامية على عهد بني أمية كانت ولاشك من العوامل التي تهيء مناخا يمكن أن يقع فيه شيء من المظالم ، فيذكر الماوردي " ثم انتشر الأمر بعده (يعني بعد على رضى الله عنه) حتى تجاهر الناس بالظلم ، والتغالب ، ولم يكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب ، فاحتاجوا في ردع المتغلبين ، وانصاف المغلوبين الى نظر المظالم الذي يمتزج به قوة السلطنة بنصف القضاء ، فكان أول من أفرد للظلامات يوم يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر عبد الملك بن مروان ، فكان اذا وقف منها على مشكل ، أو احتاج فيها الى حكم منفذ رده الى قاضيه أبي ادريس الأودي فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك بن مروان في علمه بالحال ووقوفه على السبب ، فكان أبو ادريس هو المباشر ، وعبد الملك هو الآمر ، ثم زاد من جور الولاة وظلم العتاة ما لم يكفهم عنه الا أقوى الأيدي وأنفذ الأوامر ، فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة وأعادها ، ورد مظالم بني أمية على أهلها حتى قيل له — وقد شدد عليهم فيها وأغلظ — انا نخاف عليك من ردها العواقب، فقال : كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته " . (٢)

---

(١) ابن حجر : فتح الباري ٥/٤ .

(٢) الأحكام السلطانية ص ٧٨ ، وانظر أبي يعلى محمد بن الحسن الفـراء (ت ٤٥٨ هـ) ، الأحكام السلطانية تحقيق محمد حامد الفقي (ط مصر) ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م ، ص ٧٥ .

ويؤيد هذا حديث أبى يوسف لهارون الرشيد حين تكلم عن تقبيل السواد فيقول :" ولتصير مع الوالى الذى وليته قوما من الجند من أهل الديوان فى أعناقهم بيعة على النصح لك ، فان من نصحك أن لا تظلم رعيتك . وتأمر باجراء أرزاقهم عليهم من ديوانهم شهرا بشهر ، ولا تجرى عليهم من الخراج درهما فيما سواه ، فان قال أهل الخراج ، نحن نجرى على والينا وحده من عندنا لم يقبل ذلك منهم ، ولم يحملوه ، فانه قد بلغنى : أنه قد يكون فى حاشية العامل والوالى جماعة : منهم من له به حرمة ، ومنهم من له اليه وسيلة ، ليسوا بأبرار ولا صالحين ، ويستعين بهم ويوجههم فى أعماله يقتضى بذلك الذمامات ، فليس يحفظون ما يوكلون بحفظة ، ولا ينصفون من يعاملونه ، انما مذهبهم أخذ شىء من الخراج كان ، أو من أموال الرعية ، ثم انهم يأخذون ذلك فيما يبلغنى بالعسف والظلم والتعدى ، ثم لا يزال الوالى ومن معه قد نزل بقرية يأخذ أهلها من نزله بما لا يقدرون عليه ، ولا يجب عليهم حتى يكلفوا ذلك فيجحف بهم ... "(١).

ومهما يكن من أمر فان ذكر ما وقع من مظالم على عهد مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبى سفيان تمثل الدليل على ماذهبنا اليه ، — وهو وقوع المظالم على عهد الخلفاء الأمويين — والمثل الواضح هو ما جمعه ولاته من بعض الأراضى الكسراوية المفتوحة من هدايا النيروز والمهرجان (٢) ، مما لم يكن للمسلمين

---

(١) الخراج ص ١٢٦
(٢) قال عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) "كان من حق الملك هدايا المهرجان والنيروز . والعلة في ذلك انهما فصلا السنة .

فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد ، والنيروز اذن بدخول فصل الحر . الا أن فى النيروز أحوالا ليست فى المهرجان : فمنها استقبال السنة ، وافتتاح الخراج ، وتولية العمال والاستبدال ، وضرب الدراهم والدنانير ، وتذكية بيوت النيران ، وصب الماء وتقريب القربان واشادة البنيان ، وما أشبه ذلك .

(=)

فيه حق ونعتمد في ذلك على ما أورده الجهشياري الذي ذكر أنه :

" كان لمعاوية كاتب يقال له : عبد الرحمن بن دراج – وكان له أخ يقال له : عبيد الله بن دراج ، وكانا موليية – فقلده الخراج للعراق ، عن تقليد المغيرة الحرب بها ، وطالب أهل السواد أن يهدوا له في النوروز والمهرجان ، ففعلوا ، فبلغ ذلك عشرة آلاف ألف درهم في سنة " (١).

ولم تكن عادة أخذ هدايا النيروز والمهرجان موجودة في عهد الخلفاء الراشدين .

ولكن الطبري يذكر أن بداية احداث هدايا النيروز والمهرجان هو عام ٣١ هـ ، حين سار الأحنف من مرو الروذ (٢) الى بلخ (٣) فحاصرهم ، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف

(=) فهذه فضيلة النيروز على المهرجان ، كتاب التاج في اخلاق الملوك : تحقيق فوزي عطوى (ط بيروت) ١٩٧٠م – ص ١٤٨ – ١٤٩ .
وقال احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ) " أما النيروز فهو أعظم أعيادهم وأجلها . يقال : ان أول من اتخذه جمشيد – أحد ملوك الفرس الأول – ومدته عندهم ستة أيام ، أولها اليوم الأول من شهر أفريدون ماه ، الذي هو أول شهور سنتهم ، ... وأما المهرجان ، فوقوعه في السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس ومهرماه ، هو الشهر السابع من سنتهم " ، نهاية الارب في فنون الأدب (ط القاهرة) ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م ، ١/ ١٨٥ – ١٨٧ .

(١) محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) الوزراء والكتاب ، حققه مصطفى السقا وآخرين (ط القاهرة) ١٣٥٧ – ١٩٣٨ م ، ص ٢٤ .

(٢) مرو الروذ : هي مدينة قريبة من مرو الشاهجان أشهر مدن خراسان بينهما خمسة أيام ياقوت معجم البلدان ١١٢/٥ .

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . المصدر السابق ٤٧٩/١ .

فرضى منهم بذلك ، واستعمل ابن عمه ، وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه ، ومضى الى خوارزم فأقام حتى هجم عليه الشتاء ، ثم انصرف الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجبيهم المهرجان ، فأهدوا اليه هدايا من آنية الذهب والفضة ، ودنانير ودراهم ، ومتاع وثياب ، فقال لهم : ما صالحناكم على هذا ؟ فقالوا : لا ، ولكن هذا الشىء نصنعه فى هذا اليوم لمن ولينا نستعطفه به ، قال : وماهذا اليوم ؟ قالوا : المهرجان قال : ما أدرى ماهذا ؟ وانى لأكره أن أرده ، ولعله من حقى ولكن أقبضه وأعزله حتى انظر فيه ، فقبضه ، وقدم الأحنف فأخبره ، فسألهم عنه ، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمه ، فقال : آتى به الأمير ، فحمله الى ابن عامر أمير البصرة فأخبره عنه فقال : اقبضه يا أبا بحر ، فهو لك ؟ قال : لاحاجة لى فيه ، فأخذه ابن عامر . قال الحسن البصرى : فضمه القرشى وكان مضما (١) .

ويبدو أن الولاة استمروا فى قبضها من الرعية مع الخراج حتى أصبحت جزءا من الخراج يطالب به والى تلك المناطق ، وان أبطأ فى دفعها عزل ، وهذا ماجرى فى عام ٤٣ هـ لقيس بن الهيثم الذى عزل عن خراسان " وكان السبب فى ذلك : أن ابن عامر استبطأ قيس بن الهيثم بالخراج ، فأراد أن يعزله فقال له ابن خازم : ولنى خراسان فأكفيكها ، وأكفيك قيس بن الهيثم . فكتب له عهده أوهم بذلك ، فبلغ قيسا أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به ، واساءه عن الهدية ، وأنه ولى ابن خازم ، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ، ويحاسبه ، فترك خراسان " (٢) وهذا ما جعل معاوية بن أبى سفيان يأمر أهل السواد بدفعها الى واليه عبيدالله بن دراج كما ذكرت سابقا .

---

(١) تاريخ ٤/٣١٣ — ٣١٤ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٣/١٢٦ — ١٢٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٥/٢٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ٣/٤٣٨ ، وفيه رواية أخرى عن سبب عزل قيس عن خراسان .

أنواع المظالم :

وقد تناول الفقهاء – في كتب الأحكام – ، المظالم التي يجب على ولاة الأمر في المسلمين أن يعملوا على ردها والقضاء عليها تماما ، ليأمن الناس على حياتهم وأعراضهم وأموالهم ، ويعيشوا في طمأنينة وسلام ، وقسموها أنواعا كما يلي :

الأول : النظر في تعدى الولاة على الرعية ، فيتصفح أحوالهم ، ليقويهم ان أنصفوا ، ويكفهم ان عسفوا ، ويستبدل بهم ان لم ينصفوا .

الثاني : جور العمال فيما يجتنونه من الأموال ، فيرجع فيه الى القوانين العادلة في دواوين الأئمة ، فيحمل الناس عليها ، وينظر فيما استزادوه ، فان رفعوه الى بيت الأموال أمر برده ، وان أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه .

الثالث : كتاب الدواوين ، لأنهم أمناء المسلمين على بيوت الأموال فيما يستوفونه ، ويوفونه ، فيتصفح أحوالهم فيما وكل اليه من زيادة أو نقصان .

الرابع : تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم ، أو تأخرها عنهم ، واحجاف النظار بهم ، فيرجع الى ديوانه في فرض العطاء العادل ، فيجريه عليهم ، وينظر فيما نقصوه أو منعوه من قبل ، فان أخذه ولاة أمورهم استرجعه لهم ، وان لم يأخذوه قضاهم من بيت المال .

الخامس : رد الغصوب ، وهي ضربان .

الضرب الأول : غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور ، كالأملاك المقبوضة عن أربابها ، تعديا على أهلها .

فان علم به والي المظالم عند تصفح الأمور أمر برده قبل التظلم اليه ، وان لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه .

ويجوز أن يرجع فيه عند تظلمهم الى ديوان السلطنة ، فان وجد فيه ذكر قبضها عن مالكها عمل عليه ، وأمر بردها اليه ، ويرجع فيه الى بينة تشهد به ، وكان ما وجده في الديوان كافيا .

الضرب الثاني : ما تغلب عليه ذوو الأيدى القوية ، وتصرفوا فيه تصرف المالكين بالقهر والغلبة ، فهو موقوف على تظلم أربابه ، ولا ينتزع من أحدهم الا بأحد أربعة أمور :

اما باعتراف الغاصب ،

واما بعلم والى المظالم ، فيجوز له أن يحكم عليه بعلمه ، على اختلاف فيه ،

واما ببينة تشهد على الغاصب بغصبه ، أو تشهد للمغصوب منه بملكه ، واما بتظاهر الأخبار التى ينتفى عنها التواطؤ ،

السادس : مشارفة الوقوف ، وهى ضربان : عامه وخاصة ،

أما العامة ، فيبدأ بتصفحها ، وان لم يكن فيها متظلم ، ليجريها على سبلها ، ويمضيها على شروط واقفيها ، اذا عرفها من أحد ثلاثة أوجه :

اما من دواوين الحكام المندوبين لحراسة الأحكام ،

واما من دواوين السلطنة ، على ما جرى فيها من معاملة ، أو ثبت لها من ذكر وتسمية ،

واما من كتب فيها قديمه يقع فى النفس صحتها ، وان لم يشهد بهـا ،

وأما الوقوف الخاصة : فان نظره فيها موقوف على تظلم أهلها عند التنازع فيها ، لوقوفها على خصوم متعينين ، فيعمل عند التشاجر فيها على ما ثبتت به الحقوق عند الحكام ،

ولا يجوز أن يرجع فيها الى ديوان السلطنة ، ولا الى ما يثبت من ذكرها فى الكتب القديمة ، اذا لم يشهد بها شهود معدلون ،

السابع : تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة ، لضعفهم عن انفاذه ، وعجزهم عن المحكوم عليه لتعززه ، وقوة يده ، أو لعلو قدره ، وعظم خطره ، فيكون ناظر المظالم أقوى يدا وأنفذ أمرا ، فينفذ الحكم على ما توجه عليه ، بانتزاع ما فى يـده ، أو بالزامه الخروج مما فى ذمته ،

الثامن : النظر فيما عجز عنه الناظرون فى الحسبة من المصالح العامة ، كالمجاهرة بمنكر ضعف عن دفعه ، والتعدى فى طريق عجز عن منعه ، والتحيف فـى

حق لم يقدر على ردعه ، فيأخذهم بحق الله تعالى فى جميعه . ويأمر بحملهم على موجبه .

التاسع : مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع ، والأعياد ، والحج ، والجهاد . من تقصير فيها ، أو اخلال بشروطها . فان حقوق الله تعالى أولى ان تستوفى ، وفروضه أحق أن تؤدى .

العاشر : النظر بين المتشاجرين ، والحكم بين المتنازعين ، فلا يخرج فى النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه ، ولا يجوز أن يحكم بينهم بما لا يحكم الحكام والقضاة . وربما اشتبه حكم المظالم على الناظرين فيها ، فيجورون فى أحكامهم ، ويخرجون الى الحد الذى لا يسوغ منها " (١).

صور ونماذج منها :

وبعد أن بينا أنواع المظالم ، نورد صورا ونماذج للمظالم التى حدثت على عهد الدولة الأموية والتى بت عمر بن عبد العزيز فيها وأزالها ، مطبقا بذلك العدل الاسلامى فى أجلى مظاهره : فاذا كان من واجبات ناظر المظالم أن ينظر فى تعدى الولاة على الرعية ، ويتصفح أحوال هؤلاء الولاة ، فان أنصفوا قواهم وان عسفوا استبدلهم بغيرهم ، فان عمر قام فور تسلمه السلطة باراحة الرعية من بعض العمال الظالمين الذين طالما تودد وا للخلفاء على حساب ظلم الرعية بغية أن يحظوا لديهم ، ويؤثروا ، فيروى ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز دعا بدواة وقرطاس فور انتهائه من دفن سليمان مباشرة ، وكتب ثلاثة كتب حمل أحدها عزل أسامة بن زيد التنوخى عن خراج مصر (٢)

كما حمل الكتاب الآخر عزل محمد بن يزيد ، مولى ريحانه بنت أبى العاص الذى ولاه سليمان بن عبد الملك على افريقية فى عام سبعة وتسعين للهجرة (٣)

---

(١) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ص ٧٦ ــ ٧٩ ، وانظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٨٠ ــ ٨٣ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣١ ــ ٣٢ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣١٨ .

" وكان عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور . والمخالفة للحق ، وكان فى هذا يكثر الذكر والتسبيح ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون ، وهو يقول : سبحان الله والحمد لله ، شد يا غلام موضع كذا وكذا ، لبعض مواضع العذاب ، وهو يقول : لا اله الا الله والله أكبر ، شد يا غلام موضع كذا وكذا ، فكانت حالته تلك شر الحالات" .(١)

ومن صور المظالم التى أسقطها عمر بن عبد العزيز ، وأراح الناس منها ما يعرف بكسور الدراهم ، وقصة ذلك :

أن " عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسط الخراج على أهل السواد وما فتح من نواحى المشرق والمغرب ورقا وعينا ، وكانت الدراهم والدنانير مضروبة على وزن كسرى وقيصر ، وكان أهل البلدان يعدون ما فى أيديهم من المال عددا ولا ينظرون فى فضل بعض الأوزان على بعض ، ثم فسد الناس فصار أرباب الخراج يؤدون الطبرية التى هى أربعة دوانق ، وتمسكوا بالوافى الذى وزنه وزن المثقال، فلما ولى زياد العراق ، طالب بأداء الوافى وألزمهم الكسور ، وجار فيه عمال بنى أمية ، الى أن ولى عبد الملك بن مروان ، فنظر بين الوزنين وقدر وزن الدراهم على نصف وخمس المثقال ، وترك المثقال على حاله ، ثم ان الحجاج من بعده أعاد المطالبة بالكسور حتى أسقطها عمر بن عبد العزيز " .(٢)

كذلك منع عمر التفرقة فى المعاملة بين العرب والموالى ، لأن الاسلام قد سوى بين الجميع ، ويفصح النص الآتى عن ذلك بجلاء : أرسل والى عمر على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى وفدا يتكون من رجلين من العرب ، ورجل من الموالى من بنى ضبة ... وكان فاضلا فى دينه . (الى الخليفة) ... فتكلم العربيان والآخر جالس ، فقال له عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى قال فما يمنعك من الكلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء أو رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصبى جاف ، يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حفيا ، وأنا اليوم عصبى !

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢ – ٣٣ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٨٠ – ٨١ .

والله لرجل من قومى أحب الى من مائة من غيرهم . ويلغ من جفائه أن كم درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر : اذن مثلك فليوفد "(١)

كما قام عمر برد الغصوب التى أخذت من أصحابها بالقوة ، وذلك حين بلغه تظلم أصحابها ، ومثال هذا ما روى من أنه " خرج ذات يوم الى الصلاة ، فصادفه رجل ورد من اليمن متظلما فقال :

تدعون جيران مظلوما ببابكم فقد أتاك بعيد الدار مظلوم

فقال ما ظلامتك ؟ فقال : غصبنى الوليد بن عبد الملك ضيعتى ، فقال يا مزاحم ائتنى بدفتر الصوافى . فوجد فيه أصفى عبد الله الوليد بن عبد الملك ضيعة فلان ، فقال : أخرجها من الدفتر ، وليكتب برد ضيعته اليه ، ويطلق له ضعف نفقته " (٢).

ومثل آخر يرويه البلاذرى عن مسلمة بن محارب قال :

" لما ولى محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف الثقفى اليمن أساء السيرة وظلم الرعية ، وأخذ أراضى الناس بغير حقها ، فكان ما اغتصبه الحرجة ، قال : وضرب على أهل اليمن خراجا جعله وظيفة عليهم ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله يأمره بالغاء تلك الوظيفة ، والاقتصار على العشر ، وقال : والله لأن تأتينى من اليمن حفنة كتم أحب الى من اقرار هذه الوظيفة " (٣).

وفى احدى الرسائل التى بعثها عمر الى عماله ، أمر فيها بمنع أمور منكرة كانت قد انتشرت فى بعض الأمصار ، وقد جاء فيها :

" أما بعد ، فانه ذكر لى أن نساء من أهل السفه ، والجفاء يخرجن الى الأسواق عند موت الميت ناشرات رؤوسهن ، ينحن نياحة أهل الجاهلية

---

(١) الطبرى : تاريخ ٦/٥٥٩ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص٨٢ .

(٣) فتوح البلدان ص ٨٤ .

ولعمري ما رخص للنساء في وضع خمرهن مذ أمرن أن يضربن بهن على جيوبهن ، فانه عن هذه النياحة نهيا شديدا ، وتقدم الى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحا في دار ولا طريق ، فان الله قد أمر المؤمنين عند مصائبهم بخير الأمرين في الدنيا والآخرة ، فقال : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) . (١)

كما أمر بمنع دخول أحد الحمامات دون لبس الازار . (٢) ولقد وجه عمر اهتماما خاصا نحو العبادات الظاهرة ، كالجمع ، والأعياد ، والحج ، والجهاد حتى لا يكون تقصير فيها ، أو اخلال بشروطها . بما أن حقوق الله تعالى أولى أن تستوفى ، وفروضه أحق أن تؤدى ، فأرسل الى عماله يقول : " من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى أمراء الأجناد ، أما بعد ، فان عرى الدين ، وقوام الاسلام ، الايمان بالله ، واقام الصلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة . وحافظ على أوقات الصلوات ، فان وقتها الهجيرة بالظهر ، وصلاة العصر والشمس بيضاء نقية لم يدخلها صفرة . وصلاة المغرب لفطر الصائم ، ولا تصلين العشاء حتى يذهب شفق الأفق وهو البياض ، فاذا ذهب فصلها فيما بين ثلث الليل ، وما عجلتها بعد ذهاب بياض الأفق فهو أحسن وأصوب ، فان من تمامها واصابة وقتها انتظار ما وصفت لك في كتابي هذا منها ثم صل صلاة الفجر بغلس ، وحافظ على ذلك ، فان المحافظة عليها حق ، واصبر نفسك على ذلك ، واجتنب الأشغال عند حضور الصلوات ، واكتب بذلك الى عمالك بالمدائن والقرى وحيث ما كانوا . فـ (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (٣) و (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) (٤) فانه من يضيع الصلاة فهو

---

(١) الآيتان ١٥٦ ، ١٥٧ من سورة البقرة ، وانظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٥٧/٥ .

(٣) آية ١٠٢ من سورة النساء .

(٤) آية ٤٥ من سورة العنكبوت .

لما سواها من شرائع الاسلام أشد تضييعا . ثم أكثر تعاهد شرائع الاسـلام ومر أهل العلم والفقه من جندك ، فلينشروا ما علمهم الله من ذلك ، وليتحدثوا به في مساجدهم والسلام عليك " (١).

واكتفى بذكر تلك النماذج مما صنع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فـي هذا المجال ، فان في المبحث التالي تفصيلا أكثر ، وبيانا أوضح ، لرد المظالم الذى تحمل عبئـه منذ أول يوم في خلافته حتى لحق بربه ، فجزاه الله عـن الاسلام والمسلمين خيرا .

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٧ ــ ٦٨ .

المبحث الثاني
" سياسة عمر بن عبد العزيز في رد المظالم "

تمهيد :

بعد أن درسنا كيف تكونت شخصية عمر بن عبد العزيز ، ومنابع العلم والخير فيها ، ووجدنا كيف أجمع الكتاب على أنه قد بلغ منزلة ساووه فيها بالخلفاء الراشدين ، وعدوه الخليفة الخامس بينهم ، وكيف أن فترة حكمه على قصرها قد أخذت من الشهرة مكانا بارزا في مصادر البحث الفقهي والتاريخي والسياسي ، كل ذلك لو أمعنا فيه النظر لوجدنا أن الأساس الذي قامت عليه هذه الشهرة يرجع الى عاملين هما زهده ، ورده للمظالم .

أما العامل الأول ، فيتصل بشخصه هو ، وأخذه نفسه بالشدة ، وزهده بالدنيا ، واقباله على الآخرة حتى اشتهر بأنه الخليفة الزاهد ، اذ كان مؤمنا بأن الله سبحانه وتعالى قد قلده الجليل من الأمر الذي ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه هو أشد العقاب . فكان يؤمن بأنه الراعي المسئول عن الأمة كلها .

وعلم أيضا أن رعايته للأمة الاسلامية هي في اقامة الحق فيما ولاه الله وقلده اياه . ونتيجة لذلك كان اذا عرض عليه أمران ، أحدهما للدنيا ، والآخر للآخرة اختار أمر الآخرة ، وذلك ليقينه أنه محاسب يوم القيامة على كل كبيرة وصغيرة ، فكان يخشى أن يلقى الله وهو سالك سبيل الظالمين ، فأراد أن يعد لذلك اليوم عدته ، فزهد في دنياه وأقبل على آخرته حتى عرف بالخليفة الزاهد .

أما العامل الثاني : فهو رده للمظالم ، وحزمه في ذلك ، بحيث شمل رد المظالم كل رعايا الدولة الاسلامية ، ابتداء من شخصه هو ، وانتهاء بأهل الذمة والموالي ، فانتصف للحق حيثما وجده ، وحارب الظلم أين لاقاه ، دون أن يعبأ بما يواجهه من صعوبات في ذلك ، من أبناء البيت الأموي الذين أخذوا بهذا الاجراء الحازم الذي مارسه منذ اليوم الأول لخلافته ، بل لا أكون مبالغة اذا قلت بأن عمر بن عبد العزيز قد بدأ عمله هذا قبل توليه الخلافة ، وقد رأينا

ذلك جليا واضحا أثناء ولايته على المدينة ، من ايوائه لأولئك المضطهدين والمظلومين من قبل الحجاج ، وقد أدى به ذلك الى عزله ، كما ظهرت فى جرأته بنصحه الوليد ابن عبد الملك بمنع ولاته من القيام بحد أو قطع الا بعد الرجوع اليه ، لمنع ذلك العسف الذى كان يسومه الحجاج أهل العراق ، ثم تحايل الحجاج لاحباط مثل هذا الاجراء الذى أخرجه (١) . ثم ظهر واضحا فى وعظه سليمان بن عبد الملك وما أجراه الله على يده من خير ، فيروى عن مكى بن ابراهيم أنه قال : " كنا عند عبد العزيز بن أبى رواد فى المسجد ، فارتفعت سحابة فجاءت برعد وبرق وصواعق ، ففزع القوم فتفرقنا ، فلما سكنت عدنا ، فقال عبد العزيز : خرج سليمان بن عبد الملك يوما الى بعض البوادى ، فأصابهم نحوا من هذا ، ففزع سليمان ، ونادى ، ياعمر ، يا عمر ، وكانوا — يعنى بنى أمية — اذا أصابتهم شدة فزعوا الى عمر بن عبد العزيز ، فاذا عمر ينادى هأنذا . قال الا ترى . قال يا أمير المؤمنين ، انما هذا صوت نعمة ، فكيف لو سمعت صوت عذاب ، فقال خذ هذه المائة ألف درهم ، وتصدق بها . فقال عمر : أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : وما هو ؟ قال : قوم صحبوك فى مظالم لهم لم يصلوا اليك . قال : فجلس سليمان فرد المظالم " (٢) .

وانطلاقا من ذلك ، أعلنها عمر بن عبد العزيز على الملأ وبأعلى صوته من فوق المنبر فى صدر ولايته قائلا : " أيها الناس ، الحقوا ببلادكم . فانى أنساكم عندى وأذكركم ببلادكم ، وانى قد استعملت عليكم رجالا لا أقول هم خياركم ، ولكنهم خير ممن هو شر منهم ، ألا فمن ظلمه امامه مظلمة فلا اذن له على ، ومن لا ، فلا أريته ، ألا وانى منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال فان ضننت به عليكم انى اذن لضنين ، والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ، ما

---

(١) انظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٤ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٢ — ٤٣ .

أحببت أن أعيش فواقا " (١).

وفيما يلي سوف أتعرض لرد عمر للمظالم كي أوضح أن هذا العمل كان أحد المعالم البارزة في سياسته طوال فترة حكمه .

أولا : أمير المؤمنين يبدأ بنفسه :

وتنفيذا لما أراده عمر من رد الظلم مهما كان صغيرا أو كبيرا بدأ بنفسه ، روى ابن سعد : أنه لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال : " انه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي " (٢). لأنه ان هو استطاع تجريدها من كل زينة قدر على الآخرين ، وكان بهذا قدوة لغيره من الناس ربما فيهم أهل بيته ، " فنظر الى ما في يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه حتى نظر الى فص خاتم . فقال : هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه " (٣).

وكان ذلك لاصراره على قطع كل شك بيقين ، وحتى يطمئن الى أن ما في يده لا شبهة فيه لظلم أو مظلمة حتى ولو كان ورثه ، خصوصا وأن القصص والحكايات كانت كثيرة يتناقلها الناس عن مظالم ارتكبت على عهد خلفاء بني أمية ، وعمالهم وقد بلغ به حرصه على التثبت أنه نزع حلى سيفه من الفضة ، وحلاه بالحديد ، قال عبد العزيز بن عمر : " كان سيف أبي محلى بفضة فنزعها ، وحلاه حديدا " (٤).

وكان خروجه مما بيده من أرض أو متاع بعدة طرق كالبيع ،ذلك أنه حين " استخلف نظر الى ما كان له من عبد ، والى لباسه وعطره وأشياء

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٦ ـ ٣٧ وانظر ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٤٣ .

(٢) الطبقات ٥/ ٣٤١ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٥٥ .

من الفضول ، فباع كل ما كان به عنه غنى ، فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار ، فجعله في السبيل " (١).

أو عن طريق ردها الى أصحابها الأصليين ، وهذا ما فعله بالنسبة للقطائع التى أقطعه اياها قومه ، يروى ابن الجوزى عن اسماعيل بن أبى حكيم أنه قال : " كنا عند عمر بن عبد العزيز حتى تفرق الناس ، ودخل الى أهله للقائلة ، فاذا مناد ينادى : الصلاة جامعة . قال : ففزعنا فزعا شديدا مخافة أن يكون قد جاء فتق من وجه من الوجوه ، أو حدث . قال جويرية : وانما كان أنه دعا مزاحما فقال : يا مزاحم ، ان هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا والله ما كان لهم أن يعطوناها ، وما كان لنا أن نقبلها ، وان ذلك قد صار الى ليس على فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم : يا أمير المؤمنين ، هل تدرى كم ولدك ؟ هم كذا وكذا ، قال : فذرفت عيناه ، فجعل يستدمع ويقول : أكلهم الى الله . قال : ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك حتى استأذن على عبد الملك ، فأذن له — وقد اضطجع للقائلة — فقال له عبد الملك : ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة ؟ هل حدث حدث ؟ . قال : نعم ، أشد الحدث عليك وعلى بنى أبيك . قال : وما ذاك ؟ قال : دعانى أمير المؤمنين — فذكر له ما قاله عمر — فقال عبد الملك : فما قلت له ؟ قال : قلت له يا أمير المؤمنين ، تدرى كم ولدك ؟ هم كذا وكذا ، قال : فما قال لك قال جعل يستدمع ويقول أكلهم الى الله تعالى . قال عبد الملك بئس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب فانطلق الى باب أبيه عمر ، فاستأذن عليه ، فقال له الآذن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال : استأذن لى . فقال له الآذن : أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الوقعة ؟ قال عبد الملك : استأذن لى ، لا أم لك . فسمع عمر الكلام ، فقال من هذا ؟ قال : هذا عبد الملك . قال : ائذن له . فدخل عليه — وقد اضطجع عمر للقائلة — فقال : ما حاجتك يا بنى هذه الساعة ؟ قال : حديث حدثنيه

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٤٥

مزاحم . قال : فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال : وقع رأيي على انفاذه . قال : فرفع عمر يديه ثم قال : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتي من يعينني على أمر دينى . نعم يا بنى أصلى الظهر ، ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبدالملك : يا أمير المؤمنين ؛ ومن لك ان بقيت الى الظهر أن تسلم لك نيتك الى الظهر . قال : فقال عمر : قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة ، فقال عبدالملك : تأمر مناديه ينادى : الصلاة جامعة ، فيجتمع الناس . قال اسماعيل فنادى المنادى : الصلاة جامعة . قال : فخرجت فأتيت المسجد ، فجاء عمر فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فان هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا ، والله ما كان لهم أن يعطوناها وما كان لنا أن نقبلها . وان ذلك قد صار الى ليس على فيه دون الله محاسب ، ألا وانى قد رددتها ، وبدأت بنفسي وأهل بيتي : اقرأ يا مزاحم قال — وقد جئ بسفط قبل ذلك — أو قال جونة — فيها تلك الكتب . قال فقرأ مزاحم كتابا منها ، فلما فرغ من قراءته ناوله عمر — وهو قاعد على المنبر وفي يده جلم — قال فجعل يقصه بالجلم . واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرؤه ، فلما فرغ منه دفعه الى عمر فقصه . ثم استأنف كتابا آخر فما زال حتى نودى بصلاة الظهر " (١).

ومن بين ما رده عمر مما كان فى يده من القطائع جبل الورس باليمن ، وقطائع باليمامة (٢) الى جانب فدك وخيبر (٣) والسويداء ، فخرج منها جميعا الا السويداء ، فقد قال عمر فيها " ما من شيء الا وقد رددته فى مال المسلمين الا العين التي بالسويداء فانى عمدت الى

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ١٠٧ — ١٠٨ ، وانظر البسوى : المعرفة والتاريخ ١/٦١٥ — ٦١٧ ، وابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ ورقة ١٤٣ أ ، وابن الأثير : الكامل ٥/ ٦٣-٦٤ .

(٢) اليمامة : تعد اليمامة من نجد وقاعدتها حجر ، وبين اليمامة والبحرين عشرة ايام ، ياقوت : معجم البلدان : ٥/٤٤٢ .

(٣) خيبر : ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام وتشتمل على سبعة حصون منها حصن ناعم والقموص وحصن أبي الحقيق وحصن الوطيح وحصن الكتيبة . ياقوت : معجم البلدان : ٢/٤٠٩ .

أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط ، فعملتها من صلب عطائى الذى يجمع لى مع جماعة المسلمين . وقد جاءت غلتها مائتا دينار " (١)

أما قرية فدك — التى تقع الى شمال المدينة — فقد كانت تغل فى السنة عشرة آلاف دينار تقريبا ، فلما ولى عمر الخلافة سأل عنها وفحصها ، فأخبر بما كان من أمرها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان حتى كان معاوية (٢) . فكتب — بناء على ذلك — الى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتابا قال فيه :

" أما بعد فانى نظرت فى أمر فدك وفحصت عنه ، فاذا هو لا يصلح لى ، ورأيت أن أردها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله وأبى بكر وعمر وعثمان ، وأترك ما حدث بعدهم ، فاذا جاءك كتابى هذا فاقبضها وولها رجلا يقوم فيها بالحق ، والسلام عليك " (٣)

الكتيبة :

أما الكتيبة فهى حصن من حصون خيبر (٤).

وعندما تولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على المدينة أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم يقول : " ... افحص لى عن الكتيبة ، أكانت خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خيبر أم كانت لرسول الله خاصة ؟ .

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٠ ، اليسوى : المعرفة والتاريخ ١/٥٧٠ ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٠ .

(٢) راجع ابن سعد : الطبقات ٥/٣٨٨ .

(٣) المصدر السابق ٥/٣٨٩ .

(٤) حماد بن اسحاق بن اسماعيل الأزدى (ت ٢٦٧ هـ) تركة النبى والسبل التى وجهها فيها صلى الله عليه وسلم (مخطوط) ورقة ٨٠ أ .

قال أبو بكر : فسألت عمرة بنت عبد الرحمن فقالت : ان رسول الله لما صالح بني أبي الحقيق جزأ النطاة والشق خمسة أجزاء ، فكانت الكتيبة جزءا منها ، ثم جعل رسول الله خمس بعرات وأعلم في بعرة منها لله مكتوبا ، ثم قال رسول الله : اللهم اجعل سهمك في الكتيبة ، فكانت أول ما خرج السهم الذي مكتوب فيه لله على الكتيبة ، فكانت الكتيبة خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت السهمان أغفالا ليس فيها علامات ، فكانت فوضى للمسلمين على ثمانية عشر سهما .

قال أبو بكر : فكتبت الى عمر بن عبد العزيز بذلك " (١).

وبعد أن عرف عمر حال الكتيبة على عهد رسول الله ، قرر اعادتها الى ما كانت عليه في عهده ، وعهد خلفائه ، فأرسل الى بشر بن حميد المزني يقول : " خذ هذا المال الأربعة آلاف دينار ، أو خمسة آلاف دينار ، فاقدم بها على أبي بكر بن حزم ، فقل له فليضم اليه خمسة آلاف أو ستة آلاف حتى يكون عشرة آلاف دينار ، وأن تأخذ تلك الآلاف من الكتيبة ، ثم تقسم ذلك على بني هاشم ، وتسوى بينهم الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء . قال ففعل أبو بكر " (٢).

وقد فرح الهاشميون بهذا كثيرا ، وأرسلوا الى عمر رسائل يشكرون له صنيعه هذا ، وأنهم قد حرموا هذا الحق منذ زمن معاوية ، فيروى ابن سعد أنه " لما قدم المال على أبي بكر بن حزم ، فقسمه أصاب كل انسان خمسين دينارا . قال فدعتني فاطمة بنت حسين وقالت : اكتب ، فكتبت : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت حسين ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد ، فأصلح الله أمير المؤمنين ، وأعانه على ما ولاه ، وعصم له دينه ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٨٩/٥

(٢) المصدر السابق ٣٨٩/٥ ـ ٣٩٠

فان أمير المؤمنين كتب الى أبى بكر بن حزم أن يقسم فينا مالا من الكتيبة ، ويتحرى بذلك ما كان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين ، فقد بلغنا ذلك وقسم فينا ، فوصل الله أمير المؤمنين ، وجزاه من وال خير ما جزى أحداً من الولاة ، فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا الى أن يعمل فينا بالحق ، فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين ، لقد أختدم من آل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من كان لا خادم له ، واكتسى من كان عاريا ، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق (١).

ومن هذه الرسائل أيضا ما يرويه ابن سعد عن يزيد بن عبد الملك النوفلى عن أبيه قال : لما قدم علينا مال الخمس من عند عمر بن عبد العزيز ، وقسم من عنده ومن الكتيبة فضة على بنى هاشم ، الرجال والنساء ، فكتب اليه فى بنى المطلب ، فكتب انما هم من بنى هاشم فأعطوا .

قال عبد الملك بن المغيرة : فاجتمع نفر من بنى هاشم ، فكتبوا كتابا ، وبعثوا به مع رسول الى عمر بن عبد العزيز يتشكرون له ما فعله بهم من صلة أرحامهم ، وأنهم لم يزالوا مجفيين منذ كان معاوية ، فكتب عمر ابن عبد العزيز : قد كان رأيى قبل اليوم هذا ، ولقد كلمت فيه الوليد بن عبد الملك ، وسليمان ، فأبيا على ، فلما وليت هذا الأمر تحريت به الذى أظنه أوفق ان شاء الله " (٢).

<u>رده حلوان :</u>

كما أرجع عمر للرجل المصرى أرضه بحلوان بعد أن عرف أن والده عبد العزيز قد ظلم المصرى فيها ، وتفصيل ذلك " أتى رجل من أهل مصر عمر بن عبد العزيز ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أن عبد العزيز أخذ أرضى ظلما ، قال : وأين أرضك يا عبد الله ؟ قال:

---

(١) المصدر السابق ٥/٣٩٠ .

(٢) المصدر السابق ٥/٣٩١

حلوان . قال عمر : أعرفها ولى شركاء وهذا الحاكم بيننا ، فمشى عمر الى الحاكم ، فقضى عليه ، فقال عمر : قد أنفقنا عليها ، قال القاضى : ذلك بما نلتم من غلتها ، فقد نلتم منها مثل نفقتكم ، فقال عمر : لو حكمت بغير هذا ما وليت لى أمرا أبدا ، وأمر بردها " . (١)

رده دار الربيع بن خارجه بالفسطاط :

وحتى الدار التى كان والـــــده عبد العزيز بن مروان قد اشتراها من الربيع بن خارجة الذى كان يتيمـــا فى حجره ، ردها عليه ، لعلمه أنه لا يجوز اشتراء الولى ممن يلى أمره ، قال عبد الرحمن بن عبد الحكم : " اختط خارجة بن حذافة غربى المسجد (أى المسجد الجامع بالفسطاط) بينه وبين دار ثوبان قبالة الميضـــأة القديمة الى أصحاب الحناء الى أصحاب السويق بينه وبين المسجـــــد الطريق ، وكان الربيع بن خارجة يتيما فى حجر ، عبد العزيز ، فلمـــا بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للاصبغ بن عبد العزيز ، فلما ولـى عمر بن عبد العزيز ركب اليه وأخرج له كتاب حبس الدار ، فردها عليـــه بعد أن يدفع اليه الثمن ، فسأله أن يعطى كراءها ، فقال أما الكـــراء فلا . الكراء بالضمان ، فردها عليه ولم يأمر له بالكراء .
قال الليث بن سعد فرأيت الربيع فيها ، وأنا اذ ذاك غلام . ثم خاصم فيها الاصبغ (٢) اليه وابن شهاب قاضيه يومئذ ، فقضا ابن شهاب لابـــن خارجة بالدار وقبضها أنه لا يجوز اشتراء الولى ممن يلى أمره ... " . (٣)

---

(١) العيون والحدائق ص ٦١ .

(٢) معروف أن الأصبغ قد مات على حياة والده عبد العزيز كما ذكر الكندى فى كتابه الولاه والقضاة ص ٥٤ ـــ ٥٥ وغيره وعلى ذلك يرجح أن يكـــون المقصود ابن الأصبـــغ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ص ١٠٤ .

ردهلجيل الورس باليمن :

ثم التفت الى المال الذى كان يأتيه من جبل الورس باليمن ، فرده الى بيت مال المسلمين ، رغم شدة حاجة أهله الى هذا المال ، لكنه كان دائما يؤثر الحياة الآخرة على الحياة الدنيا (١)

رده لقطائع اليمامة :

أما قطائع اليمامة فقد انفرد بذكرها البسوى في كتابه : المعرفة والتاريخ (٥٨٦/١) حين أورد قصة فزع مزاحم الى عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ليخبره بما عزم عليه عمر من رده المظالم، فذكر له أن أباه يريد أن يرد البسيطة باليمامة (٢) .

رده للمال الذى كان يأتيه من البحرين :

كما أمر عمر بن عبد العزيز مولاه مزاحما برد المال الذى كان يأتيه من البحرين كل عام الى مال الله ، وسقط من ذهن مزاحم فلم يرده ، ولما جيء به الى عمر أمر مولاه مزاحم بحمله الى بيت المال . ذكروا : " أن عمر بن عبد العزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من مال البحرين ،فجاءه الذى يقوم على طعام أهله فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جاءك الله بنفقة . قال : من أين ؟ قال : من مالك الذى بالبحرين ،جاءتك ثلاثون ألفا . قال : فاسترجع عمر وقال : ادع لي مزاحما فلما جاءه مزاحم قال أى مزاحم ، ما رددت ذلك المال الذى جاءنا من البحرين فى مال الله ... قال مزاحم : سقط علي يا أمير المؤمنين ،قال:

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٤ .

(٢) قال ياقوت فى معجم البلدان ٤٢٤/٢ . أن البسيطة هي : أرض بين العذيب والقاع .

فارددده ، وصل بهذا المال فى بيت مال المسلمين (١) .

وهكذا بدأ عمر بنفسه ليضرب المثل ويكون الأسوة أمام رعيته حين رد من أملاكه كل ما شابته شائبة الظلم ، أو الشك فى خلاص حقه فيه ، فرد كل ذلك الى أصحابه ، انطلاقا من تمسكه بالزهد ، وايمانه بـرد المظالم الى أصحابها تقوى لله ، ووضعا للحق فى نصابه .

وبعد أن انتهى عمر من رد كل مال شك بأنه ليس له فيه حـق اتجه الى زوجته فاطمة بنت عبد الملك — وكان لها " جوهر — فقال لها عمر : من أين صار هذا المال اليك ؟ قالت : أعطانيه أمير المؤمنين . قال : اما أن ترديه الى بيت المال واما أن تأذنى لى فى فراقك ، فانـى أكره أن أكون أنا وأنت وهو فى بيت " (٢).

وقد أوضح عمر لها سبب كرهه له بقوله : " قد علمت حال هـذا الجوهر وما صنع فيه أبوك ، ومن أين أصابه ، فهل لك أن أجعله فـى تابوت ثم أطبـع عليه وأجعله فى أقصى بيت مال المسلمين ، وأنفـق ما دونه ، فان خلصت اليه أنفقته . وان مت قبل ذلك فلعمرى ليردنـه اليك . قالت له : افعل ما شئت ففعل ذلك ، فمات — رحمه الله — ولم يصل اليه ، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك فامتنعت من أخذه ، وقالت : ما كنت لأتركه ، ثم آخذه ، فقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه " (٣)

---

(١) الفسوى : المعرفة والتاريخ ١/ ٥٩٥ ، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشـق مجلد ١٣/ ورقة ١٥٣ أ — ب ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٩٣ ، وانظر أحمد بن يوسف الشهير بالقرمانـى (ت ١٠١٩هـ) أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ (طبغداد) ١٢٨٢هـ ص ١٣٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٢ — ٥٣ .

ثانيا : رد مظالم بنى أمية :

وإذا كان عمر قد بدأ بنفسه فى رد المظالم فقد ثنى فى ذلك بأهل بيته ، وبنى عمومته وبأخوته من أفراد البيت الأموى ، فلا أكون مبالغة اذا قلت أن عمر بن عبد العزيز قد مارس وظيفة والى المظالم منذ لحظة توليه الخلافة ، وفور فراغه من دفن ابن عمه سليمان ابن عبد الملك ، فقد رأى ما أذهله هو أن أنباء عمه من الأمويين أدخلوا الكثير من مظاهر السلطان التى لم تكن موجودة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، أو خلفائه الراشدين ، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة والأبهة أمام رعيتهم . ومن تلك المظاهر المراكب الخلافية التى تتألف من براذين وخيول وبغال ، ولكل دابة سائس ، ومنها أيضا تلك السرادقات والحجرات والفرش والوطاءات التى تعد من أجل الخليفة الجديد ، وفوجىء بتلك الثياب الجديدة وقارورات العطر والدهن التى أصبحت له بحجة أن الخليفة الراحل لم يصبها فهى من حقه بصفته الخليفة الجديد ، وهذا كله اسراف وتبذير لا مبرر له يتحمله بيت مال المسلمين ، وهو بأمس الحاجة لكل درهم فيه لينفق فى وجهه الصحيح الذى بينه الله ورسوله ، وهنا أمر مولاه مزاحما فور تقديم هذه الزينة له ببيعها ، وضم ثمنها الى بيت مال المسلمين (١).

أسلوب عمر فى رد المظالم من بنى أمية :

ولقد كانت لعمر بن عبد العزيز سياسة محددة فى رد المظالم من أفراد البيت الأموى تكونت لديه خطوطها فور تسلمه زمام الخلافة ، حين وفد عليه أفراد البيت الأموى عقب انصرافه من دفن سليمان يسألونه ما عودهم الخلفاء الأمويون من

---

(١) انظر ص ٩٦ وما يليها من هذا البحث

قبله ، وحين أراد عبد الملك أن يرد أفراد البيت الأموى عن أبيه كشف له أبوه عن سياسته تلك حين قال له : " وما تبلغهم ؟ قال : أقول أبى يقرئكم السلام ، ويقول لكم : (إنى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم " (١).

ثم أوضحها له مرة أخرى حين جاءه يطالبه بالاسراع باستخلاص ما بأيدى الأمويين من مظالم ، فقال : " يا بنى ، ان قومك قد شدوا هذا الأمر عقده ، وعقدة ، وعروة عروة ، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقا تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يهراق فى سببى محجمة من دم ! أو ما ترضى ان لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا الا وهو يميت فيه بدعة ويحيى فيه سنة حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين ؟ " (٢).

ثم زاد عمر فى توضيح سياسته تلك حينما قال له ولده عبد الملك " ما يمنعك أن تمضى الذى تريد ؟ فو الذى نفسى بيده ، ما أبالى أن لو غلت بى وبك القدور ، قال وحق هذا منك ، قال : نعم والله قال عمر : الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى انى لو باهت الناس بالذى تقول لم آمن أن ينكروها ، فاذا أنكروها لم أجد بدا من السيف ولا خير فى خير لا يجئ الا بالسيف ، يا بنى ، انى أروض الناس رياضة الصعبة ، فان بطأ بى عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتى وان تعدو منيتى فقد علم الله الذى أريده " (٣).

وهكذا يتبع عمر بن عبد العزيز أسلوب الحكمة والحسنى فى تنفيذ سياسته على أساس أنه لم يكن من أصحاب الطفرة ، وانما يأخذ الناس على

---

(١) الآية ١٥ من سورة الأنعام ، والآية ١٣ من سورة الزمر ، وانظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤٣٨/٤ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

الوجه الذى يقوم به الدين ، ويقضى به البدع دون اثارتهم ، أو احداث الاضطراب فى حياتهم ، ليظل المجتمع الاسلامى سائرا فى طريق الخير الذى يريده الدين ، ويعمل عمر على تحقيقه .

وتطبيقا لهذه السياسة فانه قد مهد لهذه الخطوة الحاسمة والخطيرة بخطوات تسبقها ، ومن تلك الخطوات خروجه هو أولا مما بيده من مظالم وردها الى أصحابها ، أو بيت المال ، ثم اتجه بعدئذ الى أبناء البيت الأموى فجمعهم وطلب اليهم أن يخرجوا مما بأيديهم من أموال ، واقطاعات أخذوها بغير حق ، وذلك تمهيدا لاستخلاصها بالقوة بعد ذلك ممن لم يرعووا منهم . فيذكر ابن عبد ربه : أن عمر بن عبد العزيز قال لآذنه : لا يدخل على اليوم الا مروانى ، فلما اجتمعوا عنده حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " يا بنى مروان ، انكم قد أعطيتم حظا وشرفا وأموالا . انى لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثيها فى أيديكم !

فسكتوا . فقال عمر : الا تجيبونى ؟ فقال رجل من القوم :

والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا . والله لا نكفر آباءنا ولا نفقر أبناءنا .

فقال عمر :

والله لا تركت فى يد أحد منكم حقا لمسلم ، ولا معاهد الا رددته . والله لولا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم قوموا عنى " . (١)

ثم جرد بنى أمية مما بأيدهم بقوة السلطان ، فأمر مناديه أن ينادى " ألا من كانت له مظلمة فليرفعها " . (٢)

فتجرأ الناس برفع المظالم اليه من أهل بيته ، وهى كما أوردها المؤرخون على النحو التالى :

---

(١) العقد الفريد ٣٧٤/٤ ، وانظر العيون والحدائق ص ٦١ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٤ .

أتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، مظلمة دخلت على . قال عمر : ومن بك ؟ فقال : فلان بن فلان عمد الى مال لى بكذا وكذا فأخذه . فقال : يا غلام ائتنى بدواة وقرطاس فكتب الى عامله : ان فلانا ذكر لى كذا وكذا ، فان كان الذى ذكر لى على ما ذكر فلا تراجعنى فيه ، واردده عليه . ثم ضرب باحدى يديه على الأخرى فقال : (ان هذا لهو البلاء المبين) .(١)

وكان للوليد بن عبد الملك ولد يدعى روح ، وكان نشأ فى البادية فكأنه أعرابى . فأتى جماعة من المسلمين الى عمر بن عبد العزيز يخاصمون روحا فى حوانيت بحمص ، كانت لهم أقطعه اياها أبوه الوليد .
فقال له عمر : اردد عليهم حوانيتهم .
قال له روح : معى سجل من الوليد بها . قال : وما يغنى عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم ، قد قامت لهم البينة عليها ؟ اترك لهم حوانيتهم .
فقام روح والحمصى منصرفين ، فتوعد روح الحمصى فرجع الحمصى الى عمر فقال : هو والله متوعدنى يا أمير المؤمنين ، فقال عمر لكعب بن حامد وكان على حرسه : اخرج الى روح يا كعب فان سلم اليه حوانيته فذلك ، وان لم يفعل فاقطع رأسه . فخرج بعض من سمع ذلك ممن يهمه أمر روح ابن الوليد ، فأخبره له بالذى أمر به عمر فخلع فؤاده ، وخرج اليه كعب وقد سل من السيف شبرا فقال له : قم فخل له حوانيته ، قال : نعم فخلى له حوانيته .(٢)

كما أبطل قطيعة ابن من كانت له اليد الأولى فى توليته الخلافة ، معرضا نفسه للنقد وهو سليمان

---

(١) آية ١٠٦ من سورة الصافات ، انظر : ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٣ - ٥٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٢ .

فدخل عنبسة على عمر فقال له : ياأمير المؤمنين ، ان امير المؤمنين سليمان قد كان آمر لي بعشرين الف دينار حتى انتهت الى ديوان الختم ، ولم يبق الاقبضها ، فتوفي سليمان قبل ذلك وانت أولى باستتمام الصنيعة عندى ، وما بيني وبينك أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان قال له عمر : كم ذلك ؟ قال : عشرون الف دينار ، قال عمر : عشرون الف دينار تغني أربعة الاف بيت من المسلمين وأدفعها الى رجل واحد ؟ والله مالي الى ذلك من سبيل . قال عنبسه : فرميت كتاب الصك فقال لي عمر : لا عليك أن يكون معك . فلعله أن يأتيك من هو أجرأ على هذا المال مني فيأمر لك بها . قال عنبسه فاخذته تبركا برايه . (١)

ويدخل في هذا الباب من حيث توفير مال المسلمين وقطع كل ما استنه الخلفاء الامويون لتبديد أموال المسلمين ان عمر بن عبدالعزيز منع العطايا التي كان للشعراء يتقاضونها مقابل مدحهم للخلفاء . (٢)

كذلك قطع عن احراس البيت الاموى أرزاقهم التي كانو ياخذونها عن بيت المال . (٣)

" ومازال عمر بن عبدالعزيز يرد المظالم عن لدن معاوية الى أن استخلف أخرج من ايدى ورثة معاوية ويزيد بن معاوية حقوقا " . (٤)

كما أنه اراد نزع مافي مسجد بني أمية في دمشق من رخام وفسيفساء وذهب وسلاسل ، وان يرد ذلك كله الي بيت المال ، يقول ابن كثير : لما ولي عمر بن عبدالعزيز عزم على ان يجرد جامع بني اميه في دمشق مما فيه من ذهب ، ويقلع السلاسل والرخام والفسيفساء ،

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ٨/١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ١٢٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/٣٤٢ .

ابن عبدالملك ، لأن من يخاف الله لا يعرف أسلوب المجاملات الى نفسه طريقا ، وهذا ما فعله عمر رغم تدخل مولاه مزاحم .

جاء ابن لسليمان بن عبدالملك الى مزاحم وقال : " ان لي حاجة الى أمير المؤمنين عمر ، قال فاستأذنت له . فقال : أدخله ، فأدخلته على عمر فقال ابن سليمان : يا أمير المؤمنين ، علام ترد قطيعتي؟ قال : معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الاسلام . قال فهذا كتابي وأخرج كتابا من كمه ، فقرأه عمر ، فقال لمن كانت هذه الأرض ؟ قال للفاسق ابن الحجاج . قال عمر : فهو أولى بماله ، قال فانها من بيت مال المسلمين ، قال : فالمسلمون أولى بها قال : يا أمير المؤمنين رد على كتابي ، قال : لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما اذا جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل . قال فبكى ابن سليمان ، قال مزاحم فقلت يا أمير المؤمنين ، ابن سليمان اللاطي . الحب ، اللازق بالقلب ، تصنع به هذا ؟ قال ويحك يا مزاحم ! انها نفسي أحاول عنها ، وانى لأجد له من اللوط ما أجد لولدي " . (١)

وحتى الأعطيات التي اختص بها خلفاء بني أمية أقاربهم دون باقي الرعية منعها عمر ، ومن ذلك ما يرويه ابن عبدالحكم أن سليمان بن عبدالملك كان قد أمر لعنبسة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار، فدارت في الدواوين حتى انتهت الى ديوان الختم ، فلم يبق الا قبضها فتوفى سليمان قبل ذلك . وكان عنبسة صديقا لعمر بن عبدالعزيز ، فأتى عنبسة يريد كلام عمر فيها ، فوجد بني أمية حضروا بباب عمر يريدون الاذن عليه ليكلموه في أمورهم ، فلما شاهدوا عنبسة قالوا : ننظر ما يصنع به قبل أن نكلمه ، فقالوا له : أعلم أمير المؤمنين مكاننا وأعلمنا ما يصنع بك في أمورك .

---

(١) الأصبهاني : الحلية ٥/٢٨١ — ٢٨٢ .

ويرد ذلك كله الى بيت المال ، ويجعل مكانه طينا ، فشق ذلك على أهل البلد ، واجتمع أشرافهم اليه ، وقال خالد بن عبد الله القسرى : أنا أكلمه لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، بلغنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لأن غالب ما فيه من الرخام انما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق فى ذلك الوقت قدوم جماعة من بلاد الروم رسلا من عند ملكهم فلما دخلوا المسجد ورأوا ما يبهر عقولهم من حسنه الباهر ، والزخرفة التى لم يسمع بمثلها ، صعق كبيرهم ، وخر مغشيا عليه فلما شفى سألوه عما عرض له ، فقال : ما كنت أظن أن يبنى المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال أو ان الغيظ أهل الكفار ، دعوه (١)

كما قطع أيضا عادة استنها ولاة بنى أمية ، وهى أنهم كانوا يجرون على اجمار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للجمع وتطييبه فى شهر رمضان من العشر والصدقة ، فجاء كتاب عمر لواليه على المدينة يأمره فيه بمحو آثار ذلك الطيب من المسجد ، قال ابن عجلان – راوى الخبر - : أنا رأيتهم يغسلون آثار الطيب من المسجد بالماء والملاحف . (٢)

وقد اتبع عمر فى سياسته فى رد المظالم لأهلها بالاكتفاء " بالسير : اذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ، ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس " . (٣)

---

(١) البداية والنهاية ١٥١/٩ ، وانظر محمد بن أحمد المقدسى (ت ٣٧٥ هـ) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ط ليدن) ١٩٠٦ م ، ص ١٦٠ ، والعيون والحدائق ص ٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣٩٩/٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٦ – ١٠٧ .

أثر هذه السياسة على بني أمية :

ولقد ضج بنو أمية مما لحق بهم على يد عمر ، فلم يروا فيه الا أنه كان يريد أن يفقرهم ، ناسين حق الله عليهم . وعلى عمر ، وانقلب هذا الضجر الى شكوى لكل الناس، فحاولوا توسيط ابنه عبد الملك بينه وبينهم ، ولم يعلموا أن الابن كأبيه لا يخشى في الله لومة لائم ، فذكروا أنه " اجتمع نفر من بني أمية الى عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : ان أباك قطع أرحامنا ، وانتزع ما في أيدينا ، وعاب على سلفنا ، وانا والله لا نصبر له على ذلك ، فقل له يكف عنا ما نكره ، ففعل ذلك عبد الملك ، ودخل عليه فأخبره بذلك ، فكأن عمر وجد في نفسه مما قال ، فقال له عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، امض لما تريد ، فوالله لوددت أنه قد غلت بي وبك القدور في الله ، فقال له جزاك الله خيرا من ولد ، ثم قال الحمد لله الذي شد ظهري بسهل أخي ، وعبد الملك ومزاحم " (١).

أما ابن سعد فيذكر أنهم :

" قالوا لعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : أبوك خالف قومه وفعل وصنع ، فقال : ان أبي يقول :(قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)" (٢) .

ولما يئسوا من وساطة ابنه استغاث بنو أمية بكل واحد من علية القوم فلم يفدهم ذلك شيئا ، فذهبوا الى عمتهم فاطمة بنت مروان وشكوا اليها ما لاقوه من عمر بن عبد العزيز من أخذ لأموالهم ، واستنقاص عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأسا ، وكانت عمتهم هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٢) آية ١٥ من سورة الأنعام ، وانظر الطبقات ٥/ ٣٨١ .

قبل استخلافه ، فذهبت اليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته، لأنها أخت أبيه ، وألقى لها وسادة من الجلوس عليها .

" فقالت : ان قرابتك يشكونك ويذكرون أنك أخذت منهم خير غيرك قال : ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم ، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم . فقالت : انى رأيتهم يتكلمون ، وانى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا . فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة ، فلا وقانى الله شره . قال فدعا بدينار ، وجنب ، ومجمرة ، فألقى ذلك الدينار فى النار وجعل ينفخ على الدينار حتى اذا احمر تناوله بشىء ، فألقاه على الجنب فنشى وقتر فقال : أى عمة أما ترثين لابن أخيك من مثل هذا ؟ قال: فقامت فخرجت على قرابته فقالت : تزوجون الى (آل عمر فاذا نزعوا الشبه جزعتم ، اصبروا له " (١).

أو قالت لهم : " أنتم فعلتم هذا بأنفسكم ، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا " (٢).

ثم رأوا أنه لابد لهم من مواجهته بأنفسهم ، ومحادثته بشأنهم ونهيه عما أخذه منهم عله يرجع عن عزمه " فاجتمعوا اليه ، فقالوا : انك قد أجلبت بيت مال المسلمين ، وأفقرت بنى أبيك فيما ترد من هذه المظالم ، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل انت وشأنك ، واعمل بما رأيت . قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم . قال : ولكنى لا أرى ذلك ، والله لوددت أن لا تبقى فى الأرض مظلمة الا رددتها على شرط أن لا أرد مظلمة الا سقط بها عضو من أعضائى أجد ألمه ، ثم يعود كما كان حيا ، فاذا لم يبق مظلمة الا رددتها سألت نفسى عندها . قال : فخرجوا من عنده ، فدخلوا

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٥٧٣ وانظر ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٧ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ٢١٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥/ ٦٤ ـ ٦٥ .

على بعض ولد الوليد - وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أن يكتب الى عمر يوبخه لعله أن يرده عن مساءتهم فكتب اليه :

أما بعد ، فانك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء ، وسرت بغير سيرتهم ، وسميتها المظالم نقصا لهم ، وعيبا لأعمالهم ، وشاتما لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، وعملت بغير الحق فى قرابتك ، وعمدت الى أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيت مالك ظلما وجورا وعدوانا ، فاتق الله يا ابن عبد العزيز ، وراقبه ، فانك قد أوشكت لم تطمئن على منبرك ، ان خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ، فوالله الذى خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الكرامة ، لقد ازددت من الله بعدا ، فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاء عليك ، وهى كذلك ، فاقتصد فى بعض ميلك ، وتحاملك ، اللهم فاسأل سليمان بن عبد الملك عما صنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم حين استخلفك عليهم " (١).

فأجابه عمر :

" من عمر أمير المؤمنين ، الى فلان بن الوليد ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فان أول أمرك يا فلان أن أمك بنانة أمة السكون كانت تدخل دور حمص ، وتطوف حوانيتها ، والله أعلم بها فاشتراها ديناربن دينار من فىء المسلمين فأهداها الى أبيك ، فحملت بك فبئس المحمول ، وبئس الجنين ، ثم نشأت فكنت جبارا شقيا ، كتبت الى تظلمنى ، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى مال المسلمين الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وانما أنت كأحدهم لك ما لهم وعليك ما عليهم ، وان أظلم منى وأترك لعهد الله الذى استعملك صبيا سفيها تحكم فى دماء المسلمين ، وأموالهم برأيك لم تحضره ، ولم يكن يحمله عليه الا حب الولد ، ولم يكن ذلك له ، ولا حق له فيه ، فويلك

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ١٢٦ - ١٢٧ .

وويلي أبيك ما أكثر طلابكما وخصمائكما يوم القيامة ! وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه ؟ وان أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل لفلانة البربرية سهما في فيء المسلمين وصدقاتهم . أهاجرت ثكلتك أمك أم بايعت بيعة الرضوان ، فتستوجب سهام المقاتلين ؟ وان أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابيا جلفا جافيا على مصر ، وأذن له في المعازف والبرابط والخمر . وان أظلم مني وأترك لعهد الله من ولي يزيد بن أبي مسلم على جميع المغرب يجبي المال الحرام ، ويسفك الدم الحرام . رويدك ، فانه لو قد التقت عليك حلقتا البطان ، وطالت بي حياة ، ورد الله الحق الى أهله ، تفرغت لك ولأهل بيتك ، فأقمتكم على المحجة البيضاء ، فطال ما أخذتم بنهات الطريق ، وتركتم الحق وراءكم ، ومما وراء هذا ما ارجو أن يكون خير رأي أبته بيع رقبتك ، فان لكل مسلم فيك سهما في كتاب الله . والسلام على من اتبع الهدى ولا ينال سلام الله الظالمين " (١).

فلما يئسوا منه استأذنوه في الرحيل لضياعهم والضرب في البلدان فأذن لهم (٢).

ونختم حديثنا في هذا الموضوع بالقصة الطريفة التالية ، والتي تبين مدى حب الناس لعمر ، واحترامهم لرأيه رغم أنه جردهم من الاستمتاع بأملاك احتذوها دون غيرهم من الناس لأنهم علموا أنه كان على حق ويريد بهذا العمل المساواة والعدل اللذين نزل بهما القرآن ، وبينتهما السنة الشريفة ، روى ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن جده قال: " كنت عند هشام بن عبد الملك جالسا ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، ان عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان ، حتى اذا استخلف عمر – رحم الله عمر – نزعها . قال له هشام : أعد

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٨ – ١٢٩ ، وانظر أيضا ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٢ – ١١٣

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٠ .

مقالتك . قال : يا أمير المؤمنين ، ان عبد الملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى اذا استخلف عمر — رحم الله عمر — نزعها . قال : والله ، ان فيك لعجبا ، انك تذكر من أقطع جدك ، ومن أقرها فى يده فلا ترحم عليه ، وتذكر من نزعها فتترحم عليه فانا قد أمضينا ما صنع عمر — رحم الله عمر — قم " (١)

ابطاله سب على :

ولم تكن المظالم عند عمر بن عبد العزيز مادية خالصة ، بل تجاوزها الى المظالم المعنوية التى أصابت بعض الناس من قبل الحكام السابقين ، فرفع عن الناس ما أصابهم منها . ومثال ذلك ابطاله سب على رضى الله عنه على المنابر . ذلك أن الخلفاء الأمويين كانوا قد ابتدعوا سبه فى سنة احدى وأربعين هجرية (٢).

ويذكر الزهرى ، أن أول من مارس ذلك مروان بن عبد الحكم والى معاوية على المدينة (٣) ، واستمر الحال الى عهد عمر بن عبد العزيز حيث أبطل هذا السب فى أول سنة تسع وتسعين هجرية ، وجعل مكانه فى آخر الخطبة قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (٤)، ولم يسب على بعد ذلك . وقد استمر الخطباء على قراءة هذه الآية (٥)،

---

(١) البسوى : المعرفة والتاريخ ١/٦٠٤ — ٦٠٥ .

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ص ٢٠١ .

(٣) ابن الجوزى : تذكرة خواص الأمة فى معرفة الأئمة (طبع حجر)

(٤) آية ٩٠ من سورة النحل .

(٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ص ٢٠١ ، وانظر ابن الجوزى تذكرة خواص الأمة ص ٤ ، وابن العمرانى : الانباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥١

- حتى يومنا هذا في نهاية خطبة كل جمعة - وكان عمر قد كتب الى ولاته في الآفاق بترك السب (١) ، متأثرا بموقف والده من هذا السب اذ لم يكن راض عنه . يروى عمر بن عبد العزيز فيقول : " كان أبي اذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج ، فقلت : يا أبة ، انك تمضي في خطبتك فاذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيرا ؟ قال : أو فطنت لذلك ؟ قلت : نعم . فقال : يا بني ، ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا الى أولاده " (٢).

وتبين لنا هذه الرواية كيف أن عملية ايقاف سب علي على المنابر كانت تختمر في ذهن عمر من قبل أن يتولى الخلافة . ومهما يكن من أمر فانه بهذا قد أبطل بدعه ، وأقام سنة .

وقد وقع فعل عمر هذا موقعا حسنا من قبل الناس ، فأكثروا مدحه بسببه ومن ذلك ما قاله كثير عزة الخزاعي :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ... بريا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وانما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت معروف الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضيا كل مسلم (٣).

ورثاه الشريف الرضي بقوله :

يا ابن عبد العزيز ، لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك .
أنت أنقذتنا من السب والشتم فلو أمكن الجزاء جزيتك .
غير أني أقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك .
دير سمعان (٤) لا عدتك الغوادي ... خير ميت من آل مروان ميتك (٥).

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٢/٥.

(٢) المصدر السابق ٤٢/٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٩٣/٥ - ٣٩٤ ، وانظر محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية (ط مصر) ١٣١٧ هـ ، ص ١١٦

(٤) دير سمعان : وهو دير بنواحي دمشق. ياقوت معجم البلدان ٥١٧/٢ .

(٥) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ص ١١٦ - ١١٧ .

اباحته الحمى :

ومن تلك المظالم التي ردها اباحته الحمى ، وحمى الموات : هو المنع من احيائه أملاكا ليكون مستبقى الاباحة لنبت الكلأ ، ورعى المواشي وقد حمى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان حماه قدر ميل في ستة أميال ، حماه لخيل المسلمين من الأنصار والمهاجرين (١) .

هذا هو حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير أن خلفاء بني أمية قد أضافوا الى ذلك الحمى مناطق أخرى ، الأمر الذي لم يكن يقره الفقهاء ، فكما ذكر الماوردي : ان حمى الأئمة جميع الموات أو أكثره لا يجوز ، وان حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يجز (٢)

ولما تولى عمر بن عبد العزيز رأى أن الحال تبدل عما جرى عليه العمل على عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده ، حيث طمن الطاعون واستغل ذوو النفوذ وأباحوا لأنفسهم ما لم يكن مباحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوجد فيها عمر بن عبد العزيز حيفا على المسلمين ، واعتبرها ظلما لهم عليه أن يرده عليهم فكتب الى عماله يقول :

" نرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة ، وقد كانت تحمى فتجعل فيها نعم الصدقات ، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات ، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس ، فنرى حماها والتنزه عنها خيرا اذا كان ذلك من أمرها ، وانما الامام فيها كرجل من المسلمين ، انما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء " (٣) .

أكد هذا برسالة أخرى الى عماله أمرهم فيها باباحة الحمى لجميع الناس دون تمييز . قال : " لا يمنع أحد مواقع القطر فأبح الاحماء ثم ابحها " (٤)

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٨١ .

منعه السخرة :

ومن المظالم التي ردها عمر ، والتي جرى العمل بها على عهد الدولة الأموية السخرة ، وهي استغلال العمال مناصبهم ، وتسخير مرافق الدولة من أجل منفعتهم الشخصية ، فبين عمر لعماله من خلال تصرفاته أن هذه المرافق وجدت من أجل خدمة الناس عامة ، وليس من أجل العمال ومستخدمي الدولة ، وأن أي افتئات على مرافق المسلمين يعتبر ضربا من ضروب ظلمهم ، وانتقاص حقوقهم ، يجب أن يرد اليهم ويعود لهم ، فبدأ بنفسه هو أولا فحرم عليها السخرة ، فضرب بذلك مثلا أعلى . يروى البسوي أن عمر بن عبد العزيز قال : " وددت أن عندي عسلا من عسل سينين (1) أو لبنان . قال : فسمعت فاطمة بنت عبد الملك امرأته فحملت بعض غلمانها أو بعض مواليها الى ابن معدى كرب وهو عامل ذلك المكان — : أن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سينين أو لبنان . فأرسل اليها بعسل كثير ، فلما انتهى بالعسل اليها أرسلت به الى عمر ، فقالت : هذا الذى تشهيت يا أمير المؤمنين يوم الأول . قال : كأني بك يافاطمة لما بلغك ما تشهيت هذا العسل فبعثت بعض مواليك أو بعض غلمانك الى ابن معدى كرب ، فأمر بذلك العسل ، فأخرج الى السوق ، فبيع ، وادخل ثمنه بيت مال المسلمين ، ثم كتب الى ابن معدى كرب : أن فاطمة بنت عبد الملك بعثت اليك تخبرك بأني تشهيت عسلا من عسل سينين أو لبنان ، فبعثت اليها وأيم الله لئن عدت لمثلها لا تعمل لي عملا أبدا ولا أنظر الى وجهك " (2) .

---

(١) سينا : اسم موضع بالشام يضاف اليه الطور فيقال طور سيناء : وهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ، وقد جاء في اسم هذا الموضع سينين ، قال الله تعالى : وطور سينين ، ياقوت : معجم البلدان ٣/٣٠٠ .

(٢) البسوى : المعرفة والتاريخ ١/٥٨٠ .

ثم تكرر موقفه هذا من الرطب الذى أرسل اليه من الأردن ، قالوا "أتت عمر بن عبد العزيز سلتا رطب من الأردن ، فقال : ما هـذا ؟ قالوا رطب بعث به أمير الأردن ، قال : علام جئ به ؟ قالوا : على دواب البريد . قال : فما جعلنى الله أحق بدواب البريد من المسلمين . أخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنهما فى علف دواب البريد . فغمزنى ابن أخيه فقال لى : اذهب فاذا قامتا على ثمن فخذهما على ، قال : فأخرجتا الى السوق فبلغتا أربعة عشر درهما ، فأخذتهما فجئت بهما الى ابن أخيه ، فقال : اذهب بهذه الواحدة الى أمير المؤمنين ، وحبس لنفسه واحدة ، قال : فأتيته بها فقال : ما هذا ؟ قلت : اشتراهما فلان ابن أخيك ، فبعث اليك بهذه ، وحبس لنفسه الأخرى قال : الآن طاب لى أكله " (١).

كما لم يرض لأهله أن يسخروا له مطبخ العامة ، ويسخنوا له الماء اللازم لاغتساله ليوم الجمعة رغم أن له حقا فيه كسائر أفراد الرعية . يقول البسوى : " قال عمر بن عبد العزيز : أسخنوا لى ما أغتسل به للجمعة . قال : قيل يا أمير المؤمنين ، لا والله ما عندنا عود حطب نوقد به . قال : فذهبوا بالقمقم الى المطبخ - مطبخ المسلمين - قال : ثم جاءوه قال : ، وقالوا هذا القمقم يا أمير المؤمنين ، وهو يفور . قال : ألم تخبرونى أنه ليس عندكم عود حطب لعلكم ذهبتم به الى مطبخ المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : ادعوا الى صاحب المطبخ ، فلما جاءه قال له : قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، لا أوقدت عليه عودا واحدا ، وان هو الا جمر لو تركته لخمد حتى يصير رمادا . قال : بكم أخذت الحطب ؟ قال : بكذا وكذا . قال : أدوا اليه ثمنه " (٢).

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٦

(٢) المعرفة والتاريخ ١/٥٧٩ ، وانظر ابن سعد : الطبقات ٥/٣٩٩ .

وأمثال هذه المواقف من هذا الخليفة العالم كثيرة ، تزخر بها كتب التاريخ تشير بومضاتها الى تلك الشخصية التى لم تسمح لأى مؤثر مهما كان نوعه يحيدها عن مسيرة الهدى الاسلامى .

ثالثا : رفع المظالم عن الموالى :

المقصود بالموالى هنا : كل من أسلم من غير العرب ، لأن هؤلاء اما أن يكون أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا فصاروا موالى . واما أن يكونوا من أهل البلاد المفتوحة ، وهؤلاء كانوا حينما يسلمون ينضمون الى العرب ، ويدخلون فى خدمتهم ، ويتحالفون معهم لكى يعتزوا بشوكتهم وقوتهم . وبذلك يصبحون موالى أيضا بالحلف والموالاة . (١)

وقد عاش هؤلاء الموالى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عيشة ملؤها العدل والمساواة والانصاف كأى فرد عربى مسلم ، لا يحل اضطهادهم ، أو ايذاؤهم أو حرمانهم من أى حق مالى أو اجتماعى ، والا يعتبر خرقا لمبادئ الاسلام الذى نادى بالمساواة بين أفراد الرعية الاسلامية . قال صلى الله عليه وسلم : " لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر الا بالتقوى " (٢) ، فالتقوى هى أساس التفضيل بين أفراد المجتمع الاسلامى .

كما تمتع الموالى بهذا فى ظل حكم الخلفاء الراشدين المهديين الذين التزموا بأحكام الشرع كلها ، ولهذا لم يشعر الموالى بالظلم أو الغبن فى حق من حقوقهم .

---

(١) محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى (ط مصر) ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م ، ص ١٤ .

(٢) أحمد بن حنبل : المسند ٤١١/٥ .

فها هو أبو بكر يقسم المال الذى أتاه من البحرين بالسوية بين الناس كبيرهم وصغيرهم ، حرهم ومملوكهم ، ذكرهم وأنثاهم .

وها هو عمر بن الخطاب يفرض لأهل بدر المهاجرين من العرب والموالى : خمسة آلاف ، وللأنصار ومواليهم أربعة آلاف أربعة آلاف (١).

ولما حاول أحد عماله خرق هذه القاعدة وتفضيل العرب على الموالى فأعطى العرب وترك الموالى ، كتب اليه عمر يقول : " أما بعد ، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم " (٢).

وهكذا عد عمر بن الخطاب انقاص الموالى فى العطاء احتقارا لهم وللاسلام الا أنه على عهد الدولة الأموية افتقد الموالى جانبا كبيرا من هذا العدل والمساواة ، نتيجة لتصرفات بعض الخلفاء والولاة الذين أغفلوا هذه القاعدة الشرعية من أجل رغبتهم فى توطيد الحكم ولو على حساب تلك العناصر المستضعفة من الأمة الاسلامية ، فاقترفوا بحقهم الكثير من المظالم ، وكان من بين تلك المظالم التى كبدهم اياها بعض الخلفاء وولاتهم : حرمانهم من العطاء ، وعدم وضع الجزية عمن أسلم منهم ومنعهم من الهجرة .

على أن موضوع العطاء والموالى . وهو موضوع بحثنا الآن - فهو أن المسلمين كانوا يتقاسمون مع اخوانهم الموالى ما يأتيهم من مال من البلاد المفتوحة بالتساوى ، الا أن هذه القاعدة انتهكت على عهد الدولة الأموية حيث بدأت فكرة الحرمان من العطاء تطبق على بعض الناس المناوئين للدولة وقد بدأ ذلك فعلا على عهد الخليفة الأموى الأول معاوية بن أبى سفيان الذى قام بحرمان طوائف من الناس من العطاء (٣).

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) أبو عبيد : الأموال ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣) انظر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٥هـ) أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الأثرى (ط القاهرة) ١٣٤١ هـ ، ص ٢٢٤ .

وقد لحق هذا الحرمان الموالي فيما بعد ، وكان وراء عملية حرمانهم من العطاء سبب في أذهان العرب ، وهو أنهم كانوا ينظرون للموالي على أنهم فيء "أفاءه الله عليهم ، فأعتقوا رقابهم بأمل الأجر والثواب والشكر ، لا يستحقون بذلك عطاء أو نصيبا من الفيء" . (١)

وبالرغم من هذا الرأي ، فقد أجريت الأعطيات على بعض الموالي منذ عهد معاوية بن أبي سفيان الذي فرض لكل واحد خمسة عشر درهما ، ثم جعلها عبد الملك بن مروان عشرين ، ثم أبلغها سليمان بن عبد الملك الى خمسة وعشرين درهما (٢) ، الا أنها كانت الى ماقبل عهد عمر أقرب الى الرسميات منها الى الحقيقة ، لأن هذا الفرض قلما كان يعطى لهم ، ويرجع ذلك الى عمال الدولة الأموية الذين كانوا يستخدمونهم في الغالب بلا عطاء ، أو رزق (٣) . ودليل ذلك أن المختار الثقفي حين قام يطلب ثأر الحسين استغل هذه النقطة لدى الموالي ، وجذبهم لمشاركته في قتال الأمويين بأن فرض لهم مثلما يفرض للعرب (٤) .

وقد ظل حال الموالي هكذا الى عهد عمر بن عبد العزيز حيث وفد عليه صالح بن طريف ، وشكا اليه بأن عشرين ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق (٥) .

فكتب عمر الى عامله على خراسان — الجراح بن عبد الله الحكمي — بالفرض لمن أسلم من أهل الأرض من الموالي (٦) ، ووعدهم بارسال الأموال اليهم ان لم يكف خراجهم أعطياتهم ، وفي هذا الصدد يروى الطبري : أن أبا مجلز قال لعمر : " انك وضعتنا بمنقطع

---

(١) الطبري : تاريخ ٦/ ٤٣ — ٤٤ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/ ٤٠٠ .

(٣) محمد الطيب النجار : الموالي في العصر الأموي ص ٦٣ .

(٤) الطبري : تاريخ ٦/ ٤٣ — ٤٤ ، وابن الأثير : الكامل ٤/ ٢٣١ .

(٥) الطبري : تاريخ ٦/ ٥٥٩ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٥ .

التراب فاحمل الينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم . قال : فلا أنت تحمله الينا ، ولا نحمله اليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله اليكم ان شاء الله " (١).

ثم أرسل الى عامله على خراج خراسان — عقبة بن زرعة الطائي — يقول : " ... استوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فان يك كفافا لأعطياتهم فسبيل ذلك ، والا فاكتب الى حتى أحمل اليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم " (٢) .

ولم يكتف عمر بهذا بل أرسل الى عماله يأمرهم بجعل العرب والموالى فى الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء (٣) ، وبهذا أعاد عمر ما جرى عليه العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين بالمساواة بين العرب والموالى فى كل الحقوق والواجبات .

ومن المظالم التى أصابت الموالى قبل عهد عمر بن عبد العزيز فرض الجزية على من أسلم منهم ، ومنعهم من الهجرة مثلما حدث للموالى فى العراق ومصر وخراسان . ففى عهد عبد الملك بن مروان ظهرت قضية شارك فيها أكثر من عامل من عمال عبد الملك ، ألا وهى كثرة الداخلين فى الاسلام ، وما ترتب على ذلك من نقص ايرادات بيت مال المسلمين نتيجة لوضع الجزية عمن يسلم منهم ، وقد أزعج ذلك بعض العمال الذين لم يريدوا أن تنقص ايرادات ولاياتهم عما كانت عليه ، فكان أن أبقوا الجزية على من دخل من الاسلام مخالفين فى ذلك نصوص الشريعة الاسلامية . والأمثلة واضحة على ذلك ، منها ما حدث فى العراق حيث كان الحجاج بن يوسف الثقفى هو أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة (٤).

---

(١) تاريخ : ٥٥٧/٦

(٢) المصدر السابق ٥٦٨/٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٧٥/٥

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣١١/٦ . المقريزى : الخطط ٧٧/١ .

وسبب ذلك أن عماله كتبوا اليه يقولون : " ان الخراج قد انكسر ، وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار . فكتب الى البصرة وغيرها : ان من كان له أصل من قرية فليخرج اليها ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ، فجعلوا يبكون وينادون : يا محمداه يا محمداه ! ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون " (١) ، وعندما أخرجهم قال لهم : انما أنتم علوج وقراكم أولى بكم ، وأمر بأن ينقش على يد كل منهم اسم قريته (٢) .

وهكذا أوقع الحجاج بن يوسف الثقفي بالموالي مظلمتين : ابقاء الجزية على من أسلم منهم ، وحرمانهم من الهجرة من قراهم . واللحاق بالمدن بعد ما أصبحت أرضهم فيئا على المسلمين عامة ، وهذا ما دفعهم للاشتراك في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ضد الحجاج (٣) .

أما في مصر فكان عمالها يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة وتوضح ذلك رسالة عبد الملك الى واليه على مصر عبد العزيز بن مروان يأمره فيها " أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمة ابن حجيرة في ذلك ، فقال : أعيذك بالله أيها الأمير ، أن تكون أول من سن ذلك بمصر ، فو الله ان أهل الذمة ليحتملون جزية من ترهب منهم ، فكيف تضعها على من أسلم منهم ؟ فتركهم عند ذلك " (٤) .

أما في خراسان فكان عشرون ألفا من الموالي يدفعون الجزية رغم اسلامهم (٥) ، وقد استمر الولاة الذين تعاقبوا على حكم هذه الأمصار

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤/٤٦٥ .

(٢) المبرد : الكامل ١/٢٩٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤/٤٦٥ .

(٤) المقريزي : الخطط ١/٧٧ — ٧٨ .

(٥) الطبري : تاريخ ٦/٥٥٩ .

بأخذ الجزية ممن أسلم منهم ومنعهم من الهجرة ، فلما تولى عمر ابن عبد العزيز أزال تلك المظالم التي لحقت بهؤلاء الموالي ، وجعلتهم يشعرون بالانحطاط والاحتقار لهم من قبل اخوانهم في الدين مما لا يقره كتاب أو سنة . فكتب الى عماله يقول :

" ... فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي من أهل الجزية اليوم فخالط المسلمين في دارهم ، وفارق داره التي كان بها ، فان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه ، غير أن أرضه وداره انما هي من فيء الله على المسلمين عامة ، ولو كانوا أسلموا عليها قبل أن يفتح الله للمسلمين كانت لهم ، ولكنها فيء الله على المسلمين عامة " (١) .

وبعد هذه الرسالة العامة أرسل الى كل عامل له رسالة يدعوه بها الى وضع الجزية عمن أسلم من أهل الأرض ، فكتب الى عامله على خراسان — الجراح بن عبد الله الحكمي — كتابا جاء فيه : " انظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية " (٢) .

كما كتب الى عامله على مصر — حيان بن شريح — يقول : " وأن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) (٣) وقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) " (٤) .

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٨ — ٧٩

(٢) الطبري : تاريخ ٥٥٩/٦

(٣) آية ٥ من سورة التوبة .

(٤) آية ٢٩ من سورة التوبة ، وانظر المقريزي : الخطط ٧٨/١ .

الا أن هذا العامل كانت له نفس أفكار الحجاج وأمثاله بعدم وضع الجزية عمن أسلم خشية كسر الخراج ، ولهذا أرسل الى عمر يقول : " أما بعد ، فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن نابتة عشرين ألف دينار أتممت بها عطاء أهل الديوان ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل " (١) فجاءه رد عمر الصارم والصريح على هذا يقول :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك ، وقد أمرت رسولي يضربك على رأسك عشرين سوطا ، ضع الجزية عن من أسلم — قبح الله رأيك — فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ، ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه " (٢) .

وفي رواية ابن سعد : أما بعد ، فان الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا ، فاذا أتاك كتابي هذا فان كان أهل الذمة أسرعوا في الاسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل " (٣) .

ولم يكن عامل عمر على مصر هو الوحيد الذى طلب من عمر السماح له في أخذ الجزية ممن أسلم ، فها هو عامله على الكوفة — عبد الحميد ابن عبد الرحمن — يسأله أخذ الجزية المتراكمة على اليهود والنصارى والمجوس الذين أسلموا ، فجاءه رد عمر الواضح أيضا يقول : " كتبت الى تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة ، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم ، وان الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه

---

(١) المصدر السابق ٧٨/١ .

(٢) المصدر السابق ٧٨/١ .

(٣) الطبقات ٣٨٤/٥ .

جابيها ، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه ، وميراثه لذوي رحمة اذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الاسلام ، وان لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين ، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام " (١).

كما كتب اليه عامله على البصرة — عدي بن أرطاة — يقول :

" أما بعد ، فان الناس قد كثروا في الاسلام ، وخفت أن يقل الخراج .

فكتب اليه عمر :

فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا " (٢).

هذا الى ابطاله لمظلمة المنع من الهجرة التي أوقعها الحجاج بالموالي في العراق كما رأينا في رسالته العامة الى عماله .

وهكذا أبطل عمر بن عبد العزيز تلك المظالم التي أصابت الموالي ، فترتب على ذلك أن أعاد اليهم حقوقهم المسلوبة والهدوء والطمأنينة الى نفوسهم ، وباتوا ينعمون بالمساواة والعدل مع غيرهم من أبناء الأمة الاسلامية .

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٤٢

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٩ — ١٠٠ .

رابعا : رفع المظالم عن أهل الذمة :

يكاد يكون أهل الذمة - منذ ظهر هذا الاصطلاح فى الدولة الاسلامية - خارج شبه الجزيرة العربية ، فهم يمثلون السواد الأعظم من أهل البلاد المفتوحة : وقد كانوا يعيشون قبل الفتح الاسلامى لبلادهم حياة تختلف عما جاء به دين الاسلام بنمطه المتميز فى عقيدة وسلوك الفرد والمجتمع والدولة ، الأمر الذى كان يختلف عما درجوا عليه وألفوه ، ولذلك لم يكن من المنتظر أن يتقبلوه جميعا طواعية . وعاشوا على عهد الخلفاء الراشدين عيشة اتسمت بالالتزام الكامل بأحكام الشرع ، فلم يحسوا بالظلم أو يشعروا بغبن .

ولكن مع عهد دولة بنى أمية افتقدوا جانبا من هذا العدل ، فقد سجل التاريخ شيئا من الاختلاف بين الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية ، اذ غلبت الدنيا على بعضهم ودفعتهم الرغبة فى ضمان استمرار الأمر لهم الى الاهتمام بالأمن والأمان ، والوقوف بحزم فى وجه كل من سولت له نفسه الخروج عليهم ، وما احتاجه ذلك من نفقة باهظة . كما نقل الأمويون عن البلاد المفتوحة وشعوبها مظاهر فى الحكم وأبهة الحياة لم تكن موجودة على عهد الخلفاء الراشدين ، وجرى على منوالهم فى ذلك عمالهم وولاتهم الذين كانوا فى بعض الأحيان هم عوامل نقل هذا الجديد . كل ذلك كان يتطلب أمورا عدة منها : ما يتصل بضرورة توفير الأموال ، ومنها ما يتصل باشباع رغباتهم فى امتلاك زخرف الحياة ، ومنها ما يتصل بالحزم الأمنى وما يترتب عليه من مضرة لبعض الناس ، وعلى ذلك كان من المنتظر أن تحدث مظالم لعدد من أهل الذمة أفراد أو جماعات ، مثل زيادة ما وضع على رؤوسهم من جزية أو أرضهم من خراج ، وما أصابهم من سخرة واستعباد واغتصاب بعض أموالهم والنزول فى منازلهم وغير ذلك .

لقد كان أهل الذمة على عهد الخلفاء الراشدين يدفعون الجزية المفروضة عليهم لم يختلف مقدارها تقريبا ، ومن هنا لم يكن لهم مظلمة

فلم يكن يحل تكليف أهل الذمة مالا يقدرون عليه ، ولا تعذيبهم على أداء الجزية ، ولا حبسهم وضربهم ، وجرى العمل بذلك طوال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطوال عهد خلفائه الراشدين ، وكانت تستعمل معهم الرأفة في جمعها . فيذكر هشام بن حكيم بن حزام : أنه مر على قوم من أهل الذمة يعذبون في الجزية بفلسطين ، فقال هشام (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا) (١) ويروى أيضا أن عمر بن الخطاب جاءه مال كثير من الجزية فقال لعماله : انى لأظنكم قد أهلكتم الناس . قالوا لا والله ما أخذنا منهم الا عفوا صفوا . قال لهم بلا سوط ولا نوط (٢) فأجابوه : نعم . فقال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل ذلك على يدى وفى سلطانى (٣) .

كما أوصى على بن أبى طالب رجلا له استعمله على عكبراء (٤) أن لا يبيعن لأهل الذمة فى خراجهم بقرة ولا حمارا ولا كسوة صيف ولا شتاء وأن يوفق بهم ، وكان على يأخذ الجزية من أهل الذمة من كل ذى صنعه من صاحب المسان مسان (٥) ومن صاحب الابر (٦) ابرا (٧) .

---

(١) أحمد بن حنبل : المسند ٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٢) نوط : ناط الشيء علقه راجع الرازى مختار الصحاح ص ٦٨٥ .

(٣) محمد بن أبو بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) أحكام أهل الذمة تحقيق صبحى الصالح (ط بيروت) ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ٣٤ .

(٤) عكبراء : وهو اسم بليدة من نواحى دجيل قرب صريفين وأوانا وبينها وبين بغداد عشرة فراسخ . ياقوت معجم البلدان ٤/ ١٤٢ .

(٥) المسان : جمع مسن وهو الحجر الذى يسن به أو عليه راجع ابن منظور لسان العرب ١٣/ ٢٢٢ .

(٦) الابر : مفردها الابرة وهى مسلة الحديد راجع الفيروزآبادى : القاموس ١/ ٣٧٥ .

(٧) ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ص ٣٦ .

وقد علل ذلك أبو عبيد بقوله : " وانما توجه هذا من على رضى الله عنه أنه انما كان يأخذ منهم هذه الأمتعة بقيمتها من الدراهم التى عليهم من جزية رؤوسهم ، ولا يحملهم على بيعها ، ثم يأخذ ذلك من الثمن ارادة الرفق بهم والتخفيف عنهم ، ومثل هذا حديث معاذ رضى الله عنه حين قال باليمن : ائتونى بحميس[1] أو لبيس[2] آخذه منكم مكان الصدقة ، فانه أهون عليكم ، وأنفع للمهاجرين بالمدينة ، وكذلك فعل عمر — رحمه الله — حين كان يأخذ الابل فى الجزية ... وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب الى أهل اليمن (ان على كل حالم دينار أوعدله من المعافر) تقوية لفعل عمر وعلى ومعاذ ، ألا تراه قد أخذ منهم الثياب — وهى المعافر — مكان الدنانير — ؟ وانما يراد بهذا كله الرفق بأهل الذمة ، وأن لا يباع عليهم من متاعهم شىء ، ولكن يؤخذ مما سهل عليهم بالقيمة . ألا تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوعدله من المعافر) ؟ فقد بين ذلك العدل أنه القيمة ". [3]

غير أنه على عهد الدولة الأموية ظهرت أمور تدل على مخالفة ما جرى على عهد الخلفاء الراشدين ، ومن ذلك بدو فكرة زيادة الجزية على أهل الذمة على عهد معاوية بن أبى سفيان حين كتب الى عامله على خراج مصر — وردان — ، يقول : " زد على كل رجل من القبط قيراطا . فكتب اليه وردان : كيف نزيد عليهم وفى عهدهم أن لا يزاد عليهم شىء ؟ فعزله معاوية . وقيل فى عزل وردان غير ذلك ". [4]

ويعلل أبو عبيد سبب الخلاف بين معاوية وواليه بأن فتح مصر فى رأى معاوية كان عنوة ، فلهذا استجاز الزيادة . وكان عند وردان

---

(١) حميس : هو التنور ويمكن اطلاقه على كل ما يقلى عليه ، راجع الفيروز آبادى القاموس ٢/٢١٦ .

(٢) لبيس : اللبيس الثوب قد أكثر لبسه فأخلق ، راجع المصدر السابق ٢/٢٥٧ .

(٣) الأموال : ص ٥٦ .

(٤) المقريزى : الخطط ١/٧٩ ، وانظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٨٦ .

صلحا ، فكره الزيادة ولهذا اختلفا (١) .

وانتصر معاوية لرأيه فأمر بالزيادة ، وأصر وردان على رأيه فرفض الطاعة من باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ثم حدثت زيادة أخرى في الجزية على عهد عبد الملك بن مروان وواليه على مصر اذاك ـ أخوه عبد العزيز فيذكر الكندى ، أن عبد العزيز وفد على أخيه عبد الملك بن مروان في سنة سبع وستين ، ففرض صاحب شرطته عابس بن سعيد المرادى فروضا وزاد في أعطيات الناس من الجند ، فلقى عبد العزيز بعد قدومه فسأله عن السبب الذى حمله على ذلك ، فقال عابس : أردت أن أثبت وطأتك ، ووطأة أخيك ، فان أردت أن أنقضه . فقال عبد العزيز : ما كنا لنرد عليك شيئا فعلته (٢) . ويؤيد هذا رواية الصولي الذي ذكر أن خراج مصر ظل على ما كان عليه على عهد عمرو بن العاص حتى كان عهد عبد الملك بن مروان الذى ولى أخاه عبد العزيز على مصر ، فخط الأرضين ، وذلك أنها كانت كثيرة ، فاقتطع أناسا وزاد ذلك على الجماجم ، فكانت تستأدى ألف ألف دينار ، فرحل أهل مصر الى عبد الملك يشكون له ذلك ، فلما رجعوا زاد عليهم عبد العزيز (٣) .

ولم يكن المصريون من أهل الذمة وحدهم الذين زيدت عليهم الجزية على عهد بنى أمية ، بل أصاب أهل الذمة في الشام مظلمة مماثلة فيذكر الصولى أن خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان " خمسمائة ألف دينار ، فلما أفضى الأمر الى معاوية قطع الوظائف على أهل المدن ، فوظف أهل قنسرين (٤) أربعمائة وخمسين ألف دينار على

---

(١) الأموال ص ١٩١ .

(٢) ولاة مصر ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٣) أدب الكتاب ص ٢١٧ .

(٤) قنسرين : كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ياقوت : معجم البلدان ٤/٤٠٤ .

الجماجم ، من ذلك الثلثان وعلى أهل دمشق أربعمائة وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان ، وعلى الأردن مائة وثمانين ألف دينار على الجماجم ، من ذلك الثلثان ، وعلى فلسطين مثل ذلك ثم جعل بعد ذلك يصطفى الأرض الجيدة ويدفعها الى الرجل بخراجها وعلوجها ، والخراج على أصله لا ينقص منه شيء (١) .

كما أصاب أهل نجران مظلمة ، ذلك أنهم منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صولحوا بمقتضى كتاب كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدد فيه ما عليهم وما لهم ، وقد أورد نص الكتاب البلاذرى جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب رسول الله محمد لنجران . اذ كان له عليهم حكمة فى كل ثمرة ، وصفراء وبيضاء وسوداء رقيق فأفضل عليهم وترك ذلك الفى حلة حلل الأواقى ، فى كل رجب ألف حلة ، وفى كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية ، وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقى فبالحساب ، وما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب ، وعلى نجران مثواة رسلى شهرا فدونه ، ولا يحبس رسلى فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيرا ، اذا كان كيد باليمن ذو مغدرة ، أى : اذا كان كيد بغدر منهم ، وما هلك مما أعاروا رسلى من خيل أو ركاب ، فهم ضمن حتى يردوه اليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أنفسهم ، وملتهم ، وأرضهم ، وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم . وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم . وأمثلتهم لا يفتن أسقف من أسقفيته . ولا راهب من رهبانيته . ولا واقه من وقاهيته على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ؛ وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش . من سأل منهم حقا فبينهم النصف . غير ظالمين ولا

---

(١) الصولي : أدب الكتاب : ص ٢١٦ - ٢١٧ .

مظلومين بنجران • ومن أكل منهم ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة •
ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر ، ولهم على ما فى هذه الصحيفة جوار
الله • وذمة محمد النبى أبدا حتى يأتى أمر الله ما نصحوا وأصلحوا فيما
عليهم غير مكلفين شيئا بظلم • شهد أبو سفيان بن حرب ، وغيلان بن
عمرو ، ومالك بن عوف بن بنى نصر ، والاقرع بن حابس الحنظلى ،
والمغيرة " (١) .

ولما استخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ منهم هذا وكتب
لهم كتابا على نحو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما استخلف
عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصابوا الربا وكثروا فخافهم على الاسلام
فأجلاهم وكتب لهم •

" أما بعد ، فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث
الأرض ، وما اعتملوا من شىء فهو لهم مكان أرضهم باليمن " ، فتفرقوا
فنزل بعضهم الشام ، ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة ، وعندما
فلما استخلف عثمان بن عفان كتب الى الوليد بن عقبة بن أبى معيط —
وهو عامله على الكوفة — :

" أما بعد ، فان العاقب ، والأسقف ، وسراة نجران ، أتونى بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرونى شرط عمر ، وقد سألت عثمان بن
حنيف عن ذلك ، فأنبأنى أنه كان بحث عن أمرهم فوجده ضارا للدهاقين
لردعهم عن أرضهم ، وانى قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتى حلة لوجه
الله • وعقبى لهم من أرضهم ، وانى أوصيك بهم ، فانهم قوم لهم
ذمة ... " (٣)

فلما ولى معاوية أو يزيد بن معاوية ، شكوا اليه تفرقهم ، وموت من
مات منهم ، واسلام من أسلم ، وأروه كتاب عثمان بن عفان بما حط عنهم
من الحلل ، وقالوا : انما ازددنا نقصانا وضعفا ، فوضع عنهم مائتى حلة

---

(١) فتوح البلدان ص ٧٦ — ٧٧

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ •

(٣) المصدر السابق ص ٧٧ •

يتمه أربعمائة حلة وعندما ولى الحجاج بن يوسف العراق ، وخرج ابن الأشعث عليه اتهم الدهاقين بموالاته ، واتهمهم معهم فردهم الى ألف وثمانمائة حلة ، وأخذهم بحلل وشى ، وعندما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا اليه فناءهم ، ونقصانهم ، والحاح الأعراب بالغارة عليهم ، وتحميلهم اياهم المؤن المجحفة بهم ، وظلم الحجاج لهم ، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى ، فقال أرى هذا الصلح جزية على رؤسهم وليس هو بصلح عن أرضهم ، وجزية الميت والمسلم ساقطة ، فألزمهم مائتى حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم (١)

وفى أيام عبد الملك زاد على أهل قبرس الجزية وكان معاوية بن أبى سفيان غزا قبرس بنفسه ، وصالحهم صلحا دائما على سبعة آلاف دينار وعلى النصيحة للمسلمين ، وانذارهم عدوهم من الروم .

ولم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتى ولى عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار ، فجرى ذلك الى عهد عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم (٢).

كما أصابت الزيادة فيما يجبى من جزية أهل الذمة فى العراق وقد وضعها عنهم عمر بن عبد العزيز كسياسة عامة التزم بها فى أن يرفع المظالم عن أهل الذمة حتى يدعهم ينعمون بحياتهم فى ظل الشرائع الاسلامية السمحة . ويؤيد ذلك ما جاء فى كتابه الى عامله على البصرة — عدى بن أرطاة — : " أما بعد ، فان الله سبحانه انما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الاسلام ، واختار الكفر عتيا (٣) وخسرانا مبينا ،

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٣) عتيا : العاتى المجاوز للحد فى الاستكبار والعاتى أيضا الجبار ، راجع الرازى : مختار الصحاح ص ٤١٢ .

فضع الجزية على من أطاق حملها . وخل بينهم وبين عمارة الأرض ، فإن في ذلك صلاحا لمعاش المسلمين ، وقوة على عدوهم . وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه . فلو أن رجلا من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق . وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال : ما أنصفناك ، أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك . قال : ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه " (١).

كما بلغت سياسة عمر بن عبد العزيز في وضع المظالم عن الناس ومساعدتهم أيضا حين كتب الى عامله على الكوفة يقول: "... انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه ، فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين " (٢).

كذلك أمر عامله على الموصل بتعديل جزية أهل الذمة ، قال يحيى ابن يحيى الغساني: " كتب الى عمر بن عبد العزيز : أن أعدل دية الموصل ، على الغني ثمانية وأربعون درهما ، وعلى الوسط أربعة وعشرون وعلى الفقير اثنا عشر درهما في السنة " (٣).

كما زيد في الخراج المفروض على أراضي أهل الذمة لا بدافع تقويم جباية الخراج حسب الطاقة بل بدافع التودد للسلطان ، وحين تولى

---

(١) أبو عبيد : الأموال ص ٥٧ ، وابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٣٢٠ .

(٣) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ٣ ، ولعل المقصود بالدية هنا الجزية التي يدفعها الذميون .

عمر بن عبد العزيز رد هذه المظالم المتعلقة بذلك عن الناس ، وأوضح سياسته ازاء عملية الخراج في كتابه الى عامله على الكوفة — عبد الحميد ابن عبد الرحمن — جاء فيه : " سلام عليك أما بعد ، فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام ، وسنن خبيثة سنتها عليهم عمال السوء ، وان أقوم الدين العدل والاحسان فلا يكونن شيء أهم اليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله . فانه لا قليل من الاثم ، وأمرتك أن تطرز (١) عليهم أرضهم ، وأن لا تحمل خرابا على عامر ، ولا عامر على خراب ، ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيق ، ولا من العامر الا وظيفة الخراج ، في رفق وتسكين لأهل الأرض . وأمرتك أن لا تأخذ في الخراج الا وزن سبعة ليس لها آس (٢) ولا أجور الضرابين (٣) ، ولا اذابة الفضة (٤) ، ولا هدية النيروز والمهرجان ، ولا ثمن الصحف (٥) ولا أجور البيوت (٦) ولا دراهم النكاح (٧) ... ولا خراج على من أسلم من أهل

---

(١) لعل المراد أن يعلمها لهم وينسق حدودها ويعيد طرقها انظر أبو عبيد : الأموال هامش ص ٥٨ .

(٢) آسى : الافساد والاغضاب راجع الفيروز آبادى : القاموس ٢٠٤/٢ .

(٣) أجور الضرابين : هى أجور العمال الذين يخرجون الى الضياع سنويا لتقدير الضريبة .

(٤) اذابة الفضة : لعلها الرسوم التي كان يضعها دار الضرب كأجره تدخل في بيت المال نتيجة لتحويل الفضة التي يقدمها الأفراد الى دراهم .

(٥) ثمن الصحف : حصة دافع الضريبة من ثمن الصحف والأوراق والسجلات والايصالات المستهلكة في الجباية .

(٦) أجور البيوت : هى أجرة الدور التي كانت تخزن فيها حصة الدولة من الطعام بالأقاليم .

(٧) دراهم النكاح : ما كان يدفعه راغبوا النكاح الى الدولة ،

انظر حسام الدين السامرائى : الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجرى بالانجليزية (ط بيروت) ١٩٧٢م ص ١٥٦ — ١٦١ .

الأرض . فاتبع فى ذلك أمرى ، فقد وليتك من ذلك ما ولانى الله ... " (١).
وزاد أبو يوسف ولا أجور الفيوج (٢).

وكتب الى واليه أيضا : " أن دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ، ويلبسون الطيالسة ، ويركبون البراذين وخذ الفضل " (٣).

ويجمل هذه السياسة العمرية فى جمع الخراج الأسلوب الذى أمر به ولاته باتباعه فى جمعها ، الا وهو الرحمة والرأفة بالناس ، فقد منع تعذيب أهل البصرة وغيرهم لاستخراج الخراج منهم ، وعندما أرسل اليه عامله على البصرة عدى بن أرطاة يقول : " ان اناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شىء من العذاب . فكتب اليه عمر : أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك اياى فى عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله ، وكأن رضاى ينجيك من سخط الله . واذا أتاك كتابى هذا فمن أعطاك فاقبله عفوا والا فأحلفه ، فو الله لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب الى من ألقاه بعذابهم . والسلام (٤) ".

كما تضمنت سياسته بالنسبة لخراج الأرض ، منع خرص (٥) الثمار وتقويمه بسعر دون سعر الناس الذى يتبايعون به ، ومثال ذلك ، كتابه

---

(١) أبو عبيد : الأموال ص ٥٧ ــ ٥٨ ، وانظر أبو يوسف: الخراج ص ٩٣ .

(٢) أجور الفيوج : الفيج هو الوكيل الذى يقوم بمراقبة الزروع ومنع الاعتداء عليها أثناء النضج وتستخلص حقوق الفيوج من المزارعين لقاء عملهم هذا ، انظر السامرائى : الزراعة فى العراق خلال القرن الثالث الهجرى ، ص ١٥٩ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار (ط القاهرة) ١٣٤٣ هـ ــ ١٩٢٥ م ، ص ٥٣ .

(٤) أبو يوسف : الخراج ص ١٢٩ .

(٥) الخرص : الحزر وكل قول بالظن ، راجع الفيروز آبادى :القاموس ٢/ ٣١١ .

الى عمالة عدى بن أرطاة جاء فيه " بلغني أن عمالك بفارس يخرصون الثمار على أهلها ، ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذى يتبايعون به ، فيأخذونه ورقا على قيمتهم التى قوموها ، وان طوائف من الاكراد يأخذون العشر من الطريق ، ولو علمت أنك أمرت بشئ من ذلك أو رضيته بعد علمك به ما ناظرتك — ان شاء الله — بما تكره ، وقد بعثت بشر بن صفوان ، وعبد الله بن عجلان ، وخالد بن سالم ، ينظرون فى ذلك ، فان وجدوه حقا ردوا الى الناس الثمر الذى أخذ منهم ، وأخذوا بسعر ما باع أهل الأرض عليهم ، ولا يدعون شيئا مما بلغني الا نظروا فيه ، فلا تعرض لهم" (١)

كما أن عمر فى أمره لعماله فى هذا الصدد أن لا يعنتهم فى أمر ، وجعل نفسه المرجع له فيما يلتبس عليهم فيه دفعا لكل شبهة فى خراج لا يتفق والشريعة الاسلامية ، وقد ظهر ذلك فيما كتبه الى عامله ميمون ابن مهران ـ الذى اشتكى اليه شدة الحكم والجباية — : " كتبت الى يا ميمون ، تذكر شدة الحكم والجباية ، وانى لم أكلفك من ذلك ما يعنتك ، اجب الطيب من الحق ، واقض بما استنار لك من الحق فاذا التبس عليك أمر فارفعه الى ، فلو أن الناس اذا ثقل عليك ، أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا " (٢).

ومما أصاب أهل الذمة من المظالم قبل عهد عمر بن عبد العزيز سبى بنات ونساء من لواته بشمال افريقية ، ولكن عمر رد هذه المظلمة ، يذكر أبو عبيد " ان عمر بن عبد العزيز كتب فى اللواتيات : من أرسل منهن شيئا فليس له من ثمنها شئ ، وهو ثمن موجها الذى استحلها به — أو كلمة تشبه الثمن — قال : ومن كانت عنده امرأة منهن فليخطبها الى أبيها ، والا فليردها الى أهلها .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٩٢/٥.

(٢) المصدر السابق : ٣٨٠/٥ .

قال أبو عبيد : قوله اللواتيات هن من لواتة : فرقة من البربر ، يقال لهم : لواته أراه قد كان لهم عهد ، وهم الذين كان ابن شهاب يحدث : أن عثمان أخذ الجزية من البربر ، ثم أحدثوا حدثا بعد ذلك فسبوا . فكتب عمر بن عبد العزيز بما كتب به " (١).

وكان عمرو بن العاص قد كتب على لواته من البربر ، من أهل برقة في شرطه عليهم : أن عليهم أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم فيما عليهم من جزية . فقال الليث : فلو كانوا عبيدا ما حل ذلك منهم (٢).

ويبدو أن سبي نساء هذه القبيلة قد استمر - كما يتبين من كلام أبي عبيد - حتى كان عهد عمر الذي اجتهد في هذا الأمر ، وأصدر تعليماته بإطلاق حريتهن بناء على العهد المعقود لهذه القبيلة . ولعمر في عمله هذا أسوة حسنة في جده عمر بن الخطاب (٣).

كما أرجع عمر بن عبد العزيز الى أهل الذمة كل أرض أو كنيسة أو بيت اغتصب منهم ، فقد ذكر ابن الجوزي أن عمر أمر مناديه أن ينادي : الا من كانت له مظلمة فيرفعها . فقام اليه رجل حمصي ، من أهل الذمة أبيض الرأس واللحية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله ، قال وماذاك ؟ قال : اغتصبني العباس بن الوليد بن عبد الملك

---

(١) الأموال ٢٣٩ ، وانظر البلاذري فتوح البلدان ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٢٤٠

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٩ . روى أبو عبيدة عن عطاء الخراساني أنه قال : أن (تستر) كانت في صلح ، فكفر أهلها ، فغزاهم المهاجرون فقاتلوهم فهزمهم المسلمون وسبوهم ، فأصاب المسلمون نساءهم ، حتى ولد لهم منهن . قال : وقد رأيت بعض الأولاد من تلك الولادة قال : فأمر عمر بن الخطاب بمن سبي منهن ، فردوا على حريتهن وفرق بينهن وبين سادتهن .

أرضى ــ والعباس جالس ــ فقال له : ياعباس ، ما تقول؟قال : اقطعني اياهــا أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وكتب لى بها سجــلا فقال ما تقول يا ذمى ؟ قال يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، أرد د عليه يا عباس ضيعته ، فردها عليه [(١)].

وفى كتاب العيون والحدائق (ص ٦٠) : " أتى رجل نصرانــى عمر بن عبد العزيز ، وادعى على هشام أن فى يده ضيعة له ، فقال عمــر لهشام : قم مع خصمك ، قال بل أوكل وكيلا بخصومته ، قال لا ، فجلس بين يديه ، فجعل هشام ينتهر خصمه ، فقال له عمر : عندى تنتهــره ؟ ان عدت عاقبتك ، فادعى النصرانى ، فقال هشام : ضيعتى وقطيعــة أقطعنيها عبد الملك ومعى سجل من الوليد وسليمان ، فقال لابنــه عبد الملك بن عمر : يا بنى ، انظر فى سجلاته وأمره ، فنظر ، فقــال : أرى أمر النصرانى قويا ، وحجته غالبة ، وحق الله أولى ما أوثــر ، فقال عمر : حرق سجلاته ، فأحرقها ، ورد على الرجل ضيعته ، فلمــا ولى هشام استؤذن فى أخذ الضيعة من يد النصرانى ، فقال لا تــردوا حكما حكم به عمر ".

ومن ذلك أيضا ما يرويه أبو عبيد فيقول : خاصم حسان بن مالــك عجم أهل دمشق الى عمر بن عبد العزيز ، فى كنيسة ، كان أحــد الأمــراء الأمويــين ــ أقطعه اياها ، فقال عمر : ان كانت مــن الخمس عشرة كنيسة ، التى فى عهدهم ، فلا سبيل لك اليها [(٢)].

كما يروى عن على بن أبى حطة قال : " خاصمنا عجم أهل دمشق الى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة ، كان فلان قطعها لبنى نصر بدمشــق

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

(٢) الأموال ص ٢٠١ .

فأخرجنا عمر بن عبد العزيز منها وردها الى النصارى ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك ردها على بنى نصر ، وأخرج منها النصارى " (١).

كما يذكر ابن عساكر أنه " أقام بدمشق بعد فتحها أثنا عشر بطريقا من بطارقة الروم ، فاقروا فى منازلهم وكان لكل بطريق منهم فى منزله كنيسة فأقاموا بها حينا ثم بدا لهم فهربوا من دمشق ، وتركوا تلك المنازل فصارت اقطاعا لقوم من أشراف دمشق ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز أخرج أولادهم منها ، وردها على الأعاجم ، فلما مات عمر ردت الى أولاد الذين اقطعوها " (٢).

كما رد عمر بن عبد العزيز لأهل الذمة بيوتهم التى غصبهم اياها المسلمون ، يروى أبو عبيد : أن الوليد بن هشام المعيطى قال : " ولانى عمر بن عبد العزيز قنسرين — وكانت صلحا — فشكا اليه أهل الذمة المسلمين : أنهم قد نزلوا منازلهم ، فكتب الى : أن انظر من كان فى منازل أولئك الذين كانوا من أهلها حين صولحوا فأخرج من كان (فى) منازلهم عنهم . قال : فنظرت فاذا أولئك قليل ، فسألونى الكف عن ذلك فكففت " (٣) ، وقد علل أبو عبيد عمل عمر هذا فقال : " انما حكم عمر بن عبد العزيز بكنائسهم ومنازلهم لهم ، لأنها من حقوقهم ودينهم مع الصلح ولو كان شىء للمسلمين فيه حق ما دخل فى الصلح ، وكان المسلمون أولى به ، مثل الذى فعل عمر بن الخطاب بمسجد بيت المقدس . وانما افتتح البلاد صلحا ، ثم حال بين أهل الذمة وبين المسجد ، ولم يولهم فيه حقا " (٤)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠١ ، وانظر بدران : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٢٤١/١ وجاء فيه أن معاوية بن أبى سفيان هو الذى اقطعها لبنى نصر

(٢) بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٢٤/١ .

(٣) الأموال ٢٠١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠١ .

ومن أمثلة رده لأهل الذمة حقوقهم المغتصبة ما روى عن عزمه على هدم مسجد بني أمية في دمشق ، ورد الكنيسة التى أخذها الوليد ابن عبد الملك من نصارى أهل الشام ، وأدخلها فيه ، وتفصيل ذلك أن النصارى حين تولى عمر سألوه أن يعقد لهم مجلسا فى شأن ما كان أخذه الوليد بن عبد الملك منهم فاستجاب لهم ، وكاد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم ، الا أن عمر قبل اتخاذه مثل هذا القرار حقق الأمر فوجد أن هناك عددا من الكنائس لم تدخل فى الصلح الذى كتبه لهم الصحابة وقت الفتح الاسلامى لها ، فخيرهم بين ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو أن تبقى تلك الكنائس ويطيبوا نفسا للمسلمين بهذه البقعة ، فاتفقوا بعد ثلاثة أيام على ابقاء تلك الكنائس وأن يكتب لهم كتاب أمان بها ويطيبوا نفسا بهذه البقعة ففعل (١).

ومما رفعه عمر عن أهل الذمة من المظالم السخرة على أساس أنه لا يحل للمسلمين أن يسخروا أهل الذمة لمصالحهم الشخصية طالما أن هذا غير موجود في صلحهم (٢) .

فكتب الى عماله يقول : " ... ونرى أن توضع السخر عن أهل الأرض ، فان غايتها أمر يدخل فيها الظلم " (٣).

وهكذا رد عمر بن عبد العزيز ما أصاب أهل الذمة من مظالم ، فترتب على ذلك أن أعاد السكينة والطمأنينة والهدوء اليهم ، وأوضح لهم — وهم كثرة في الدولة الاسلامية — أن بامكانهم أن يعيشوا في ظل الاسلام آمنين مطمئنين تشملهم سماحة الدين ، ويظلهم عدله ، وتستقيم أمورهم وشئونهم فى كنفه ، لا يضارون ولا يستضعفون ولا يستعبدون لهم حقوقهم المعلومة وعليهم واجباتهم المحددة ضمنها لهم الشارع الحكيم ، وما تأسس من أحكام كتاب الله وسنة رسوله الكريم ورأى أهل السنة والجماعة والسلف الصالح .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٥١ — ١٥٢ ، وانظر بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ١ / ٢١٠ .

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ١٩٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ .

خامسا : عمر والعمال :

وحين ولى عمر بن عبدالعزيز كان يعلم أن بعض العمال والولاة يقترفون من المظالم ما لم يقره الشرع ، وما يترتب على ذلك من حيف فى حق الرعية من المسلمين وغيرهم ، ولا غرو فقد كان هو واليا من الولاة ، ولا شك تبلغه أخبار غيره منهم ، كما أن بعض الأسماء من ولاة بنى أمية ذاعت أخبار قسوتها للناس ، ولعل الحجاج بن يوسف الثقفى يكون مثلا واضحا . ولا شك أن أى قسوة من وال ، أو حاكم ، أو عامل ، وأى شكوى من جماعة من الرعية ، لابد وراءها سبب .

من أجل ذلك كله عمد عمر بن عبدالعزيز منذ ولى الخلافة الى تصحيح ما يكون قد فسد من سيرة العمال والولاة جهلا منهم ، أو قصدا لارضاء الخلفاء ، وكان يجد أن فى العودة الى جادة الدين والالتزام بما جاء فى الكتاب والسنة خير علاج لسيرة هؤلاء الولاة والعمال فيمن ولوا ، ولقد اتبع عمر بن عبدالعزيز ازاء هؤلاء العمال عدة أساليب منها :

ارساله الرسائل التى تحمل اليهم رأى الدين فى سياسة الناس ، أو يوجههم الى ما يفعلون شفهيا ، ومن لم يرعو منهم عزله . ورسائله — تمثل الشطر الأكبر من توجيهاته لهم — تحمل رأى الدين واجتهاده الشخصى فى المسائل الخلافية ، وسوف أورد فيما يلى جهود عمر بن عبدالعزيز عن طريق تلك الرسائل فى تصحيح سيرة هؤلاء الولاة والعمال ، وخاصة فى مسائل المظالم .

فها هو أحدهم يشهد على ذلك فيقول : " ما كان يقدم على أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر الا فيه رد مظلمة ، أو احياء سنة ، أو اطفاء بدعة ، أو قسم أو تقدير عطاء ، أو خير حتى خرج من الدنيا " (١)

وقال آخر : " سمعت أشياخنا يذكرون ، قالوا واستخلف عمر بن عبدالعزيز سنة تسع وتسعين ، ومات سنة احدى وماية ، وكان يكتب الى عماله بثلاث خصال

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٣٤٢/٥ .

يدود فيهم باحياء سنة واطفاء بدعة ، أو قسم فى مسكنة ، أو رد مظلمة ، وكان يكتب اليهم : انما هلك من كان قبلكم من الولاة أنهم كانوا يحبسون الخير حتى يشترى منهم ، ويبذلون الشر حتى يفتدى منهم " (١).

هذا وقد أوضح عمر بن عبد العزيز لعماله تلك المظالم الواجب ردها لرفع الظلم عن عامة الرعية مسلميها وذمييها ومواليها فى رسائل متعددة ، فكتب الى عامله على البصرة عدى بن أرطاة يقول : " ضع عن الناس المائدة والنوبة والمكس ، ولعمرى ما هو بالمكس ، ولكنه البخس الذى قال الله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) (٢) فمن أدى زكاة فاقبل منه ، ومن لم يأت فالله حسيبه " (٣). ويضاف اليها أجور الضرابين والنيروز والمهرجان واذابة الذهب ، وأجور الصحف ، وأجور الفيوج ، وأجور البيت ودراهم النكاح (٤) ، وضريبة الفرس والخادم والفدان (٥) .

ويبدو أنه كانت هناك بيوت خاصة لوضع مثل هذه الضرائب المفروضة على الناس جميعا ، تسمى : بيوت المكس ، وكان أحدها فى رفح (٦) ، فأرسل عمر الى عامله على فلسطين عبد الله بن عوف القارى يقول : " اركب الى البيت الذى برفح ، الذى يقال له بيت المكس ، فاهدمه ، ثم احمله الى البحر فانسفه فيه نسفا " (٧) وفى رواية أخرى أنه كتب الى عامله عبد الله بن عوف القارى يقول : " اذا أتاك كتابى هذا فاركب أنت ومن معك الى البيت النجس الذى برفح فاقلعه من أساسه ، ثم اذره فى البحر " (٨) .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق مجلد ١٣ / ورقة ١٤٦ ب .
(٢) آية ٨٥ من سورة هود .
(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٨٣/٥ .
(٤) أبو يوسف : الخراج ص ٩٣ .
(٥) ابن سعد : الطبقات ٣٧٦/٥ .
(٦) رفح : منزل في طريق مصر بعد الداروم ، بينه وبين عسقلان يوما للقاصد مصر . ياقوت : معجم البلدان ٥٤/٣ .
(٧) ابو عبيد : الاموال ص ٦٣٣ ، البسوى : المعرفة والتاريخ ١٠٧/١
(٨) البسوى : المعرفة والتاريخ ٦٠٧/١ - ٦٠٨ .

وبعد أن أزال عمر بن عبد العزيز عن كاهل الرعية ما كانت تنوء به من ضرائب فرضت عليها غشما وقسوة ، التفت الى رد ما كان ولاة بنى أمية وغيرهم قد حازوه من أموال العامة بغير حق ، وأودعوه بيوت الأموال ، فردها ومن ذلك ما كتبه الى واليه على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قائلا :
" استبرئ الدواوين ، فانظر الى كل جور جاره من قبلى من حق مسلم ، أو معاهد فرده عليه ، فان كان أهل تلك المظالم قد ماتوا فادفعه الى ورثتهم " (١) .

الا أن عمر بن عبد العزيز بعد رسائله هذه تريث قليلا فى رد المظالم خيفة أن يغالى الناس فيأخذوا حقوقا لاحق لهم فيها ، فأرسل الى عماله يقول :
" أما بعد ، فانى كنت كتبت اليكم برد المظالم ثم كتبت اليكم أن تحبسوها ، ثم كتبت اليكم بردها ، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالا قد كنت رددتها ، ثم رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها ، أحب الى من أن أحبسها حتى ينجلى الأمر من غد على ما ينجلى عنه . فاذا أتاك كتابى هذا ، فارددها على أهلها والسلام " (٢).

وقد استمر عمر بن عبد العزيز يأمر عماله باستبراء الدواوين ، ورد المظالم الى أهلها من بيت المال حتى نفذ ما فى بيت مال العراق ، وحمل اليه المال من الشام (٣) ، وقد اعترض بعض عماله على سياسته هذه ، فيذكر اسماعيل بن عياش : أن بعض عمال عمر كتب اليه يقول : " انك قد أضررت ببيت المال أو نحوه قال فقال عمر : " اعط ما فيه فاذا لم يبق فيه شئ ، فأملأه زبلا " (٤).

ومما يلفت النظر فى سياسة عمر فى رد المظالم مع عماله أنه اتخذ معهم الحزم لئلا تسول لأحدهم نفسه فيتهاون أو يتقاعس عن رد المظالم ، وكان اذا

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣٤٢/٥ .
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٧ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ٣٤٢/٥
(٤) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٥ .

لمس من أحدهم مجرد التردد أرسل اليه يؤنبه ويحذره ويوضح له ما يجره هذا التردد على الرعية من ظلم لا يحبه الله ورسوله • ومن ذلك رسالته الى عامله على اليمن عروة بن محمد جاء فيها : " قد جاءنى كتابك تذكر أن من كان قبلك من العمال قد وضعوا على أهل اليمن صدقاتهم وظائف ان افتقروا لم ينقصوا ، وان استغنوا زيد عليهم ، وتوآمرنى فى ذلك ، ولعمرى ان هذا للجور حق الجور ، فاذا جاءك كتابى هذا ، فخذهم بما ترى عليهم من الحق ثم اقسم ذلك على فقرائهم " (١).

لكن عروة تباطأ فى رد المظالم عن أهل اليمن أو اليهم ، وأخذ يستفسر عن كل أمر ورده فى مظلمة من عمر برسائل مما جعل عمر يرسل اليه غاضبا ومؤنبا وآمرا بتنفيذ ما أمره به من حق قائلا : " أما بعد ، فانى أكتب اليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم ، فتراجعنى ولا تعرف بعد مسافة ما بينى وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت حتى لو كتبت اليك أن ارد د على مسلم مظلمة شاة لكتبت اردها عفراء أو سوداء ، فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى "(٢).

كما أنه لم يكن ليتهاون قط فى رد أى مظلمة صغيرة أو كبيرة حدثت من قبل عامل له على أحد أفراد الرعية ، فيروى " أن رجلا جاء الى عمر بن عبد العزيز فقال له : اذكر بمقامى هذا مقاما — لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من عمل ولا براءة من الذنب — فقال عمر : ويحك ! اردد على كلامك ، فرده عليه فجعل يبكى وينتحب ، ويقول ويحك اردد على ، فلما استقل من البكاء ، قال : ما جاء بك ؟ قال : عاملك على أذربيجان أخذ من مالى عشرة آلاف فوضعها فى بيت المال ، فكتب له عمر فاخرجت له وردت عليه "(٣).

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥/٢٨١ •

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ ورقة ١٤٨/أ — ب ، وانظر ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٥ •

وربما عزل عاملا له ان سمع عنه مالا يجب كاظهار قسوة أو جفوة للرعيـــة ولهذا نراه يعزل عامله على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمى لما بلغه أنـه " عصبـى جاف " (١) .

وأنب آخر لاستنانه بسنن الحجاج بن يوسف الثقفى ، فارسل الى عاملـه على البصرة عدى بن أرطاة يقول : " بلغنى أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ، فانه كان يصلى الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقهـــا وكان لما سوى ذلك أضيع " (٢) .

بل لقد أطلق حريتهم فى اقامة العدل والاحسان بين الرعية وعدم ظلمهـا ، والضرب بآرائه هو ان كانت منافية لذلك الحق والعدل الذى أمر به الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ، وفى هذا الصدد يروى ابن عساكر عن ميمون بن مهران : أن عمر بن عبدالعزيز كتب اليه يقول : " ان جاءك كتابى بغير الحق فاضـرب به الحائط " (٣).

وكتب الى آخر " كن فى العدل والاحسان كمن كان قبلك فى الجور والظلم والعدوان " (٤) .

ونختتم أمثلتنا هذه برسالته الى عامله على الكوفة عبدالحميد بـــــن عبدالرحمن يقول : " فما بقاء الانسان بعد وسوسة شيطان وجور سلطان ؟ فاذا أتاك كتابى هذا ، فاعط كل كل ذى حق حقه ، والسلام " (٥).

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٨/٦ صـ ٥٥٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣٦/٩ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٤٨ أ .

(٤) المصدر السابق مجلد ١٣/ورقة ١٤٨ ب .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٣٦٨/٥ ـ ٣٦٩ .

وهذا ما حمل الناس وشجعهم على رفع أمر عماله ان ظلموا اليه ، يروى أن رجلا أتى الى عمر يشكو اليه عماله فقال :

ان الذين أمرتهم أن يعدلوا ... نبذوا كتابك واستحل المحرم
وأردت أن يلى الأمانة منهم ... بر وهيهات الاسر المسلم
طلس الثياب على منابر أرضنا ... كل ينقص نصيبنا يتكلم (١)

ولقد كان لسياسة عمر بن عبد العزيز تجاه عماله من حيث تقويمهم ومراجعتهم أثر كبير فى أن ينتشر العدل وترد المظالم بين المسلمين علوما وغيرهم ، فعلا لا قولا باعتبار هؤلاء هم يده وعينه بين الناس .

وخلاصة القول كما قال ابن تيمية أن " عمر بن عبد العزيز قد أحيا السنة ، وأمات البدعة ، ونشر العدل ، وقمع الظلمة من أهل بيته وغيرهم ، ورد المظالم التى كان الحجاج بن يوسف وغيره ظلموها للمسلمين ، وقمع أهل البدع كالذين كانوا يسبون عليا ، وكالخوارج الذين كانوا يكفرون عليا ، وعثمان ، ومن والاهما ، وكالقدرية مثل غيلان القدرى وغيره ، وكالشيعة الذين كانوا يثيرون الفتن - بعلمه ودينه وعدله " (٢).

وأخيرا ، فلا مفر من كلمة تنتهى بها سيرة هذا العلم البارز فى تاريخ الاسلام بل فى تاريخ القيم السامية والمثل العليا ، وسنة الله فى خلقه قضت بأن الموت غاية كل حى ، كلمة أخيرة لابد من قولها فى ختام هذه السيرة الطيبة لرجل يعتز به كل مسلم بل كل من كان تحت رعايته ابان

---

(١) أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوى (ت ٢٨٥ هـ) الكامل فى اللغة والأدب (ط بيروت) بدون سنة الطبع ، ١/٤٠٤

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) سؤال فى يزيد ابن معاوية ، تحقيق صلاح الدين المنجد (ط بيروت) ١٣٩٦هـ ص ١٤ .

خلافته مسلما كان — أو غير مسلم — ، خلافته التي لم يسعد بها الناس الا سنتين وخمسة أشهر فحسب ، نعم سعد الناس به حاكما ملتزما بمبادئ العدل والرحمة والتسامح وقوة الحق وسيادته على الجميع دون تفرقة بين مسلم ومعاهد فكيف كانت نهايته — رضى الله عنه — ؟

ان مما لا شك فيه أن فترة خلافة عمر بن عبد العزيز — على قصرها — كانت شاقة عليه مضنية له ، أنهكت قواه ، وأضعفت جسمه ، لما ألزم نفسه به من زهادة وعزوف عن مأكل طيب ومشرب هنى ، يعوض بنيته ما تفقده من طاقة هائلة في العمل الذى لا يفتر أو يهدأ ليلا أو نهارا ، حتى اذا أمسكت به علة لم يحدد المؤرخون طبيعتها ولا فصلوا القول فيها ، تشبثت بجسمه المنهك الضعيف عشرين يوما حتى كانت الوفاة (١).

غير أن بعض المؤرخين قد تحدثوا عن وفاة عمر بشكل آخر يختلف كثيرا عن الصورة السابقة ، لقد ذكروا أن بني أمية خافوا من عمر — بعد ما أخرج الأموال من أيديهم — أن يخلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد ، وأن يعيد الخلافة شورى بين المسلمين كما تحدث بذلك مع الخوارج ، فوضعوا عليه من سقاه السم ، فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاث ليال حيث مرض ثم مات بتأثير هذا السم ! (٢)

وفيما ذكره ابن الجوزى عن أبى زيد الدمشقى ما يشير الى معرفة عمر بهذه الفعلة النكراء ، اذ يقول : لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له بطبيب ، فلما نظر اليه قال : الرجل قد سقى السم ، ولا آمن عليه الموت ثم سأل عمر : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قد عرفت حين وقع في بطنى ولم يلبث عمر أياما حتى مات (٣).

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/٤٠٤ ، ٤٠٨ ، الطبرى : تاريخ ٦/٥٦٥ — ٥٦٦ ، ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٥٨ .

(٢) الأبشيهى : الذهب المسبوك ص ٢٥ ، الكتبى : فوات الوفيات ٢/٢٠٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/١٨٧ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٧ .

وقد أضاف السيوطى الى ذلك تفاصيل أخرى حول حادثة السم هذه فقال : ان عمر دعا الغلام الذى دس له السم ، وسأله ما الذى حمله على فعل ذلك ؟ فقال الغلام : ألف دينار أعطيتها ، وأن أعتق . فطالبه عمر بها وردها الى بيت المال ، وعفا عن الغلام (١) .

وسواء صحت هذه الرواية أو تلك حول وفاة عمر بن عبد العزيز ، فان المؤكد أن وفاته كانت فى العشر الأخيرة من شهر رجب سنة احدى ومائة من الهجرة فى دير سمعان ، أو فى خناصرة ، ودفن بدير سمعان ، وكانت سنه يومئذ تسعا وثلاثين سنة وبضعة أشهر ، أو أربعين سنة . (٢)

ويروى المؤرخون عن فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر ، ما كان من أمره يوم توفى ، قالت : " لما مرض عمر اشتد قلقه — من الألم — ليلة ، فسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفا له ، يقال له مرثد ليكون عنده ، فان كانت له حاجة كنت قريبا منه ، ثم نمنا ، فلما انتفخ النهار استيقظت فتوجهت اليه ، فرأيت مرثدا خارجا من البيت نائما ، فقلت له : ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجنى ، وقال لى : اننى أرى شيئا ما هو بانس ولا جن ، فخرجت فسمعته يتلو : " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين " (٣)، قالت : فدخلت فوجدته بعد ما دخلت قد وجه نفسه للقبلة وهو ميت " (٤) . فرحمك الله يا أبا حفص ، وجزاك عن الاسلام والمسلمين خيرا .

وهكذا أسدل الستار على فترة مشرقة من تاريخ الدولة الاسلامية كانت وما تزال مثلا بل دليلا على امكان تحقيق عهود قريبة الشبه بعهود خلفاء رسول الله

---

(١) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٤٠٨/٥ ، الذهبى : دول الاسلام ٥٢/١ .

(٣) سورة القصص : الآية ٨٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٦١/٥ — ٦٢ ، وانظر ابن سعد : الطبقات ٤٠٦/٥ — ٤٠٧ .

صلى الله عليه وسلم الراشدين المهديين الأمر الذى لا يحتاج الا الى قدوة ملتزم مصر على تحقيق التزام مؤمن بما فى كتاب الله وسنة رسوله من خير للبشرية .

وأختم بحثى بتكرار ما ذكرته مرويا عن ابن تيمية قوله فى عمر بن عبد العزيز أنه " قد أحيا السنة ، وأمات البدعة ، ونشر العدل ، وقمع الظلمة من أهل بيته وغيرهم ، ورد المظالم التى كان الحجاج بن يوسف وغيره ظلموها للمسلمين ، وقمع أهل البدع كالذين كانوا يسبون عليا ، وكالخوارج الذين كانوا يكفرون عليا ، وعثمان ، ومن والاهما ، وكالقدرية مثل غيلان القدرى وغيره ، وكالشيعة الذين كانوا يثيرون الفتن بعلمه ودينه وعدله " (١).

---

(١) ابن تيمية : سؤال فى يزيد بن معاوية ص ١٤ .

خاتمة البحث

خاتمة البحث

تناولت عبر فصول هذا البحث حياة ثامن الخلفاء الأمويين عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — منذ ولادته الى وفاته ، وبينت خلالها أننا كنا فى صحبة رجل نادر قلما يجود الزمان بمثله ، فى خلقه وسلوكه ، وفى علاقاته مع الناس ، وفى تحمله لتبعة المسئوليات التى تولاها ، حتى جرى على ألسنة وأقلام كثير من النقاد والمؤرخين قديما وحديثا هذا الوصف الخالد له : " خامس الخلفاء الراشدين " ، وهو قول حق يجد المنصفون من الباحثين فى تاريخ السياسة والحكم أنفسهم ناطقين به مؤكدين له .

وقد يقال فى هذا المقام : ان هناك من لم يقل بذلك ، ولم يجر على ألسنتهم هذا الوصف لعمر [1] وليست هناك مشكلة فى هذا الاعتراض ، فما أسهل ، وما أيسر أن يرد عليهم بما يلى : من لم يقل ذلك ، أو يصفه به ، فانه لم يعترض عليه ، فهو مسلم به ومعترف ، وان لم ينطق به لسانه أو يجرى به قلمه ، وكفى بذلك فخرا لعمر ، ولعهده الزاهر النادر بين العهود على مر العصور .

لقد تناولت فى الفصل الأول (المبحث الأول) : ارتباط عمر بن عبد العزيز من جهة أمه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وما يمكن أن يكون لهذه الصلة الوثيقة بينهما من تأثير وتأثر ، فالجد مؤثر بقوة شخصيته وعظمة سيرته ، والحفيد متأثر بشفافية روحه وتطلعه نحو المثل الأعلى ، ولا شك أن هذا الجد العظيم كان أقرب وأشد المثل العليا جذبا له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما بينت فى هذا المجال دور عبد الله بن عمر بن الخطاب — وهو عم أمه — فى نشأة عمر بن عبد العزيز حين أشار على أمه بالابقاء عليه فى المدينة ، وعدم انتقاله الى مصر مع أبويه فى عام ٦٥ هـ حين وليها أبوه .

وأشرت فى هذا الصدد الى اعجاب عمر بعبد الله ومحاولته التأسى به والسير على خطاه • ولقد كان لعبد العزيز بن مروان أثر واضح فى تنشئة ابنه عمر وتربيته وحياته ، فلذلك أفردت له بضع صفحات هذا المبحث •

ثم أوردت روايات المؤرخين المتعددة حول تاريخ ومكان ولادته ، ورجحت من بينها — على كثرتها — أنه ولد فى سنة احدى وستين من الهجرة ، فى المدينة المنورة •

وفى المبحث الثانى تكلمت عن حياة عمر العلمية ، وبينت شغفه الشديد بالعلم ، والجلوس الى العلماء ، وأنه حفظ القرآن صغيرا ، وتفرغ للتلقى عن شيوخ المدينة من الصحابة والتابعين وتجنب شبابها ليتفرغ للعلم حتى غدا بحق اماما يقتدى به ، وشهد له بذلك علماء عصره ومن أتى بعدهم ،واستشهدوا بآرائه ، واجتهاداته ، باعتباره أحد أئمة الاجتهاد ،ولقد طبق عمر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يضن بعلمه على كل من اختلف اليه من طالبى العلم ، حتى لقد روى عنه أكثر من ستين تلميذا •

كما أنه لم يضيع فرصة الا انتهزها من أجل تفقيه الناس وتنهيمهم ، وتوجيههم ، لما فيه خير لهم فى دينهم ودنياهم ، وختمت مبحثى هذا بذكر الجهد الذى بذله عمر فى جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدوينه ، صيانة وحفظا له من الضياع •

والمبحث الثالث جعلته لبيان حياة عمر الاجتماعية ، ذكرت فيه زوجاته وأولاده ، ثم بينت الأسلوب الذى اتبعه فى تربيتهم وتنشئتهم ليكونوا رجال الغد الصالحين الطائعين لله فى كل ما أمرهم ، كما بينت كيفية مباشرته تربيتهم وتعليمهم بنفسه ، ومعاملته اياهم بالعدل لئلا يثير فى نفوسهم الضغينة ، والبغضاء ، وتتبعت سير أولاده فبينت الدور المهم الذى لعبه ابنه عبد الملك فى خلافة أبيه حيث كان عنده فى منزلة الوزير والمشير • كما تكلمت عن بيته وبينت أنه لم يشيد لنفسه قصرا كغيره من الخلفاء ، بل كان

ينزل فى منزل متواضع أورثه اياه أبوه ، ثم أتى عليه عمر فجرده من كل ما فيه حتى غدا خاليا من كل ذى بال ، وتحدثت عن حياته قبل وبعد الخلافة فبعد أن كان يضرب به المثل فى الرفاهية والتنعم قبل الخلافة اذ به بعدها يزهد فى كل مباهج الدنيا ، ويصبح الزهد قاعدة مطبقة على أهل بيته .

أما المبحث الأخير فى هذا الفصل ، فقد خصصته لحياة عمر العملية قبل استخلافه من توليته على خناصرة من قبل عمه عبد الملك الى توليته بعد ذلك على المدينة من قبل ابن عمه الوليد بن عبد الملك ، ليكون بلسم التهدئة للحجاز ، بعد ما ساده من اضطرابات وأحداث دامية ، وهنا صح عندى أن سلطات عمر فى هذه الفترة كانت تشمل الحجاز كله ، وليس المدينة فقط ، ولكن تغلب ذكر اسم المدينة على الحجاز ، لأنها مقر اقامة الوالى ثم بينت سياسة عمر فى حكم الحجاز ، وكيف أنه عمل على اعادة مبدأ الشورى الذى استنه الله سبحانه وتعالى لعباده حيث طلب من أشهر الفقهاء بالمدينة أن يكونوا أعوانا له على الخير ، فنعمت المدينة فى ولايته بما كانت تنعم به فى زمن الرسول وخلفائه الراشدين ، ولهذا التجأ اليه كثير من الفارين من ظلم الحجاج ، حيث أصبح نصيرا للمظلومين . وبينت أن عزله عنها كان بدسيسة من الحجاج ، وأوضحت أن ولايته على خناصرة وعلى الحجاز كان بمثابة تدريب له قبل الخلافة .

وفى المبحث الأول من الفصل الثانى ، بينت الظروف التى لابست استخلاف عمر ودور كل من الخليفة السابق سليمان بن عبد الملك ووزيره الصالح رجاء بن حيوة فى وصول الخلافة اليه ، ابتغاء مرضاة الله ، وفصلت فى الدوافع التى جعلت سليمان يتخذ هذا القرار ، ثم ناقشت رأى العلماء فى صحة استخلاف عمر على هذا النحو ، ورجحت بالدليل القاطع صحة هذه البيعة ثم بينت أن بيعته ان لم تصح على رأى من عارض عمل سليمان وعهده اليه صحت بعد ذلك عندما أحل الرعية من بيعتهم له ثم قيامهم بمبايعته عن رغبة منهم .

وتحدثت فى المبحث الثانى عن منهج عمر فى ادارة الدولة الاسلامية ، وأنه قائم على التزامه بالكتاب والسنة ، وأنه حاكم منفذ لأن الشرع بين . ثم

يبين شروط صحة الناس له ، ثم بينت أنه بعد اجمال هذه السياسة فصلها فى كتب أرسلها الى عماله ، وكيف أنه لم يكن يرغب فى الاستئثار بالحكم وحده بل كان يستشير أهل الرأى والعلم والتقوى ويطلب معونتهم .

أما المبحث الثالث فقد عقدته للحديث عن أهم أعمال عمر خلال فترة خلافته ، والتى صنع خلالها ما يشبه المعجزة ، والحديث فيه يتكون من عدة نقاط :
النقطة الأولى خصصتها للحديث عن اصلاحاته الادارية والتى شملت نواحى عدة ، منها :

ترك عمر لمظاهر الخلافة التى استحدثها الخلفاء الأمويون وذلك ببيعها وايداع ثمنها بيت المال .

وكيف عمد عمر من أول يوم الى اراحة الناس من ظلم بعض عمال الدولة بعزلهم ، وتولية الرجال الصالحين مكانهم ، وقد تحريت جملة ولاته وأوردت بهم ملحقا فى نهاية البحث .

كما تحدثت عن اهتمام عمر بالقضاء بتحديد الصفات الواجب توفرها بالقاضى ، فى انتقاء من يصلح للاضطلاع بهذه المسئولية ممن يرضاهم فى دينهم وعلمهم ، وسلوكهم ثم جلوسه بنفسه للقضاء بين الناس .

وبينت فى هذا الصدد تشدد عمر فى اقامة الحدود على كل من ارتكب ما يوجبها ، وبصفة خاصة حد شرب الخمر .

كما أوضحت اهتمام عمر بالسجون ورعايته المسجونين بكسوتهم ورزقهم . ووضعه مبدأ عدم تقييد المسجون بقيد يمنعه من تمام الصلاة الا أهل الدم .

أما النقطة الثانية ، فقد خصصتها للحديث عن اصلاحات عمر المالية واشتملت عدة نقاط هى :

الصدقات : وكيفية اصلاح عمر لها وفى هذا الصدد أوضحت أنها من أعماله البالغة الأهمية اذ أخذها فى حقها ، وأعطاها فى حقها ، وأعطى العاملين عليها بقدر عمالتهم عليها ، وبذلك أقام فريضة من فرائض الله كان

التفريط فيها قد بدأ يظهر واضحا .

الخراج وموقف عمر منه باعتباره من أهم موارد بيت المال فبينت موقفه من الأراضي الخراجية ، حيث منع الناس من تملكها اعتبارا من عام مائة هجرية حفظا لها من الضياع ، وتشجيعه الناس على استصلاح الأراضي غير الخراجية .

رسم عبور الجسور الذى اعتاد الخلفاء من قبل عمر تحصيله فألغاه تخفيفا عن كاهل الرعية .

والعطاء وكيف ساوى عمر بين الناس جميعا فيه سواء كانوا من الموالى أو من غيرهم ، وكيف أنه حرص على ايصال العطاء لأصحابه حتى المسجونين والأسرى .

ثم بينت نتائج اصلاحاته المالية هذه ، وكيف أنها حققت ما كان يصبو اليه عمر وانعكس أثرها على أفراد المجتمع فى الدولة الاسلامية جميعا ، وخاصة الفقراء والمساكين .

وفى المبحث الثالث تتبعت جهود عمر فى نشر الاسلام خارج الدولة الاسلامية وفى داخلها حيث بينت كيفية حرص عمر على اصلاح شأن الثغور المتاخمة للعدو قبل أن يدفع بجنوده الى ساحة القتال ، ودحضت تلك الرواية التى اعتمد عليها بعض الباحثين والتى تقول ان عمر قد أوقف نشر الاسلام عن طريق القتال ، واكتفى بنشره سلميا بذكر الفتوحات التى حدثت على عهده ومن ثم وصاياه لهؤلاء القواد ، ثم انتقلت بعدها لايضاح أسلوب عمر فى نشر الاسلام بالطريقة السلمية ، فدعا الملوك الى الدخول فى الاسلام ورغبهم فيه بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما شجع أهل الذمة من رعايا الدولة الاسلامية على الدخول فى الاسلام باعطاء بعضهم الأموال تأليفا لقلوبهم ، كما كان من نتائج تصحيح الوضع الخاص بأهل الذمة بوضع الجزية عنهم أثر واضح فى اقبال الذميين على الدخول فى الاسلام ، وأرسل الرسائل الترغيبية لهم ، واستعمل عليهم العمال الصالحين مما دفعهم رغبة وطوعا للدخول فيه ، وقد اهتم عمر بأمر تفقيههم فى الدين بارسال العلماء اليهم من أجل ذلك .

ولما كان رد المظالم يعد من مقدمة الأعمال الكبرى التى قام بها عمر بن عبد العزيز ابان خلافته ، فقد أفردت لبيانه الفصل الثالث من هذا البحث ، وقسمته مبحثين ، تحدثت فى أولهما عن : معنى المظالم ، وحرمتها ، وأورد بعض ما جاء فى ذلك من القرآن والسنة .

ثم تكلمت عن المظالم قبل الاسلام ، ثم توصلت عند الحديث عن المظالم بعد الاسلام الى أنها لم تبدأ فى عهد الخلفاء الراشدين وعلى عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان كما يدعى البعض ، وذلك عن طريق تحقيق تلك الرواية التى اعتمدوا عليها بالدس على عثمان من أنه أعطى بنى أمية الأموال فوضح لى أن رواتها مجرحون ثم بينت أن المظالم حدثت فعلا على عهد الخليفة الأموى الأول معاوية بن أبى سفيان حين جمع عماله من بعض الأراضى الكسراوية هدايا النيروز والمهرجان فيما لم يكن للمسلمين فيه حق ، وتوالت هذه التجاوزات وأمثالها على عهد الخلفاء الأمويين الى أن كان عهد عمر بن عبد العزيز .

ثم أوردت صورا ونماذج لتلك المظالم التى اقترفها بعض خلفاء بنى أمية وولاتهم بحق الرعية ، مسلميها وذميها ، والتى فصل عمر فيها حين ولى الخلافة .

أما المبحث الثانى فقد عقدته للكلام عن سياسة عمر فى رد تلك المظالم واشتمل هذا المبحث على نقاط خمس ، بينت فى الأولى منها سياسة عمر بن عبد العزيز فى رده للمظالم من نفسه أولا ليكون قدوة لسواه من أهل بيته وغيرهم ، وبينت أنه ردها بعدد من الطرق منها : أنه باع كل ما كان له من متاع وعبيد ولباس وعطر وأشياء فى الفضول ، وأودع ثمنها فى بيت المال ، كما رد مالم يكن له فيه حق من اقطاعات وغيرها الى أصحابها أو الى بيت المال .

وبالنسبة لزوجه فقد خيرها بين أن ترد كل ما كان أبوها وغيره قد وهبها اياه من أموال وحلى الى بيت المال أو تفارقه ، فاختارته دون تردد ، وتخلت عن كل ما كان تحت يدها .

والنقطة الثانية تتعلق بسياسة عمر فى رد المظالم من بنى أمية ، وقد بدأ بذلك فور توليه أمور السلطة برفضه مظاهر الخلافة من سرادقات وحجرات وفرش ووطاءات ، وأمر عمر مولاه مزاحما ببيعها ووضع ثمنها فى بيت المال ، ثم اتبع سبيل الحسنى فى استرداد ما كان فى يد بنى أمية من اقطاعات وأموال وبينت أن هذه السياسة جعلت بنى أمية يضجون منها ويلجأون الى عدد من أعيان القوم

عليهم يفلحون فى ثنى عمر عن سياسته هذه لكنه استمر ماضيا فيها رغم مالاقاه من تهديد ووعيد ، وأوضحت أن عمر لم يكتف برد المظالم المادية بل تعداها الى المظالم المعنوية ، فمنع سب على بن أبى طالب ثم أباح الحمى ومنع السخرة .

وقد خصصت النقطة الثالثة للحديث عن رده المظالم للموالى الذين عوملوا معاملة لم يأمر بها كتاب الله ، ولا وردت فى سنة نبيه ، فبينت كيف أعاد لهم مساواتهم مع اخوانهم المسلمين فى العطاء ، وكيف رفع عن رؤوسهم الجزية التى فرضها الحجاج على من أسلم من أهل الذمة ، وكيف أباح لهم الهجرة من قراهم واللحاق بأمصار المسلمين .

وفى النقطة التالية بينت انصافه لأهل الذمة ورده المظالم اليهم وأوضحت كيف رفع عمر عنهم ما زيد على رؤوسهم من جزية أو أرضهم من خراج ، وكيف رفع عنهم السخرة والعبودية وأعاد اليهم ما اغتصب من أموالهم وأبعد من نزل فى منازلهم من المسلمين معيدا لهم تلك الحياة التى أمر بها الله ورسوله فى معاملتهم والتى عوملوا بها فعلا على عهد سيد الخلق وخلفائه الكرام .

وختمت هذا البحث ببيان رده المظالم من عماله ، وأوضحت أسلوبه الحازم الذى اتبعه معهم من أجل اعادة الحقوق الى أصحابها ، وأوضحت كيف أمرهم بهدم بيوت المكس ، ورفع كل ضريبة أخذت من الرعية ظلما ثم كيف شدد على عماله فى اقامة العدل والاحسان الى الرعية .

وهكذا تتبعت حياة هذا الخليفة وأعماله العظيمة التى أضاء بها وجه التاريخ فكان ولا يزال نبراسا لكل من يريد اصلاحا لهذه الأمة فى كل عصر . وأرجو أن أكون قد وفقت ان شاء الله ، والحمد لله رب العالمين .

ملحق بتسمية عمال عمر بن عبد العزيز ابان خلافته

تمهيد :

نتيجة لتصميم عمر بن عبد العزيز منذ توليه الخلافة على أن يسود العدل دار السلام فقد عمل ما وسعه الجهد على اقامة السنة ، واماتة البدعة ، ورد المظالم ، باعتبارها الوسائل الأساسية فى تحقيق العدالة التى كان ينشدها . ومن هنا كان دقيقا فى اختيار أعوانه لمختلف الأعمال فى جميع الأمصار لقد كان أسلوبه يجمع بين الدقة والأناة فى اختيارهم كما كانت معاييره فى التقويم مرهفة ، اذ كان يختارهم من بين المصلين المحسنين المكثرين لقراءة القرآن ، الصدوقين ، الثقات الذين لا يخافون فى الله لومة لائم ، ورغم هذا كان يخضعهم لامتحان دقيق لا ينجح فيه الطامع ولا المرائى ، ومثال ذلك : ما يرويه ابن الجوزى عن جويرية بن أسماء أنه قال : " لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه بلال بن أبى بردة فهنأه فقال : من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها ، ومن كانت زانته فقد زنتها ... فجزاه عمر خيرا . ولزم بلال المسجد يصلى ويقرأ ليلة ونهاره ، فهم عمر أن يوليه العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل ، فدس اليه ثقة له ، فقال له : ان عملت لك فى ولاية فى العراق ماتعطينى؟ فضمن له مالا جليلا . فأخبر بذلك عمر فنفاه وأخرجه وقال يا أهل العراق ، ان صاحبكم أعطى مقولا ولم يعط معقولا وزادت بلاغته ونقصت زهادته " (١)

كما منع عماله من استخدام غير أهل القرآن وكتب لهم : " لا يستعمل على المسلمين الا أهل القرآن ، فان لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عنده خير " (٢) . وفى رواية أخرى " ... ان الله ، عز وجل ، أكرم بالاسلام أهله ، وشرفهم وأعزهم ، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل ذمتهم ، وخراجهم

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٣

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ٢٠٧

فتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله ، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى ، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ، ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم ، فان الله عز وجل يقول (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) (١) و (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (٢) والسلام " (٣).
ووبخ من خالف تعليماته هذه (٤).

كذلك أمر عماله بانتقاء أعوانهم من أهل الصلاح ، والابتعاد عن تولية أهل الشر . فكتب لهم كتابا جاء فيه : " اياكم أن تستعينوا بأهل الشر فيظهر أهل الباطل على أهل الحق واستعينوا بأهل الخير يظهر أهل الحق على أهل الباطل " (٥) .

ولم يكتف عمر باختيار عماله من جلة التابعين الصدوقين العلماء الثقات والمفتين الكبار الراوين لحديث رسول الله والمروى عنهم ، الناصبين في العبادة الزاهدين في الدنيا ، المبتغين لوجه الله في كل عمل يقدمون عليه ، فقد كان يرسل اليهم يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، ويعظهم ويخوفهم من غضب الله وبأسه ، ومغبة يوم القيامة حتى ينخلع قلبهم ، ومن ذلك ما كتبه لأحد عماله يقول : " أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد واياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك ، قالوا :

---

(١) آية ١١٨ من سورة آل عمران .
(٢) آية ٥١ من سورة المائدة .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٥/٦٦ .
(٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٥٣ ب .
(٥) المصدر السابق ١٥١ أ .

فخلع هذا العامل نفسه من العمالة ، وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين والله لا أعود الى ولاية أبدا " (١).

وكتب الى آخر : " اتق الله فان التقوى هى التى لا يقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها ، ولا يثاب الا عليها ، وان الواعظين بها كثير ، والعاملين بهـــا قليـــل " (٢).

وكتب أيضا الى أحدهم يقول : " ... فاتق الله فيمن وليت أمره ولا تأمن مكره فى تأخير عقوبته ، فانما تعجل بالعقوبة من يخاف الفوت " (٣)

كما كان يأمرهم بالأخذ بالسنة فى حكم الرعية ، فقال : " ان لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله " (٤).

كما كان يمنعهم من ظلم الرعية ، فكتب الى أحدهم يقول : " اذا دعتـــك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله تعالى عليك ، ونفاذ ما تأتـــى اليهم وبقاء ما يأتون اليك " (٥).

وكتب الى آخر : " ان قدرت أن تكون فى العدل والاحسان والاصـــلاح (٦) كقدر من كان قبلك فى الجور والعدوان والظلم فافعل ولا حول ولا قوة الا بالله ".

وليضمن انصرافهم الى أعمالهم بضمائر حية وايمان قوى ، وسع عليهم فـــى الرزق ، ذكر ابن عبد الحكم أن ابن أبى زكريا دخل على عمر فقال : "يا أمير المؤمنين

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٢٠٨ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٧ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٤٩ أ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٢٠٧ .

(٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٤٨ ب .

(٦) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٨٣ .

انى اريد أن أكلمك بشىء . قال : قل . قال : قد بلغنى أنك ترزق العامـــل من عمالك ثلاث مائة دينار قال : نعم ، قال : ولم ذلك ؟ قال : أردت أن أغنيهم عن الخيانة " (١) .

وفى رواية أخرى : " انهم اذا كانوا فى كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين " (٢).

والآن ، الى قائمة أسماء هؤلاء العمـــال :

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز : ص ٣٩ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٢٠٣ .

المدينة :

أقر عمر بن عبد العزيز عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [1] ، وهو أحد الأئمة الأثبات الثقات ..

روى عن أبيه ، وعن خالته عمرة بنت عبد الرحمن ، وسلمان الأغر وعبد الله ابن قيس بن مخرمة وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ، وعداده فى صغار التابعين ، وروى عنه خلق منهم ابنـاه عبد الله ومحمد والزهرى . توفى سنة عشرين ومائة للهجرة .

القضاء :

وكان أبو بكر قد استقضى ابن عمه أبا طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر ، وكنيته أبو طوالة .

روى عن أنس وعامر بن سعد ، سمع منه مالك بن أنس ، وسليمان بن بلال ، وزائدة ، وخالد بن عبد الله الواسطى ، وكان ثقة صدوقا . توفى بعد سنة ثلاثين ومائة هجرية .

مكة :

أقر عمر عليها عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد الأموى والى سليمان بـن عبد الملك .

روى عبد العزيز عن أبيه ، وعن محرش الكعبى ، وأبى سلمة بن سفيـان وغيرهم ، وروى عنه كلثوم بن جبر والسفاح بن مطر وآخرون ، وثقة النسائـى

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٣ .

(٢) ابن عبد البر : تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيـد (ط القاهرة) ١٣٥٠ هـ ، ١٦٢ ، الذهبى : سير أعلام النبـلاء ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١/ ١٥٧ .

(٣) البخارى : التاريخ الكبير ٥/ ١٣٠ ، البسوى : المعرفة والتاريخ ١/ ٤٢٦ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ٢/ ٩٤ ـ ٩٥ ، الذهبى : سـير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٧ .

وابن حبان . توفى فى خلافة هشام بن عبد الملك (١) .

اليمن :

أقر عمر بن عبد العزيز عليها عروة بن محمد بن عطية السعدى عامل سليمان ابن عبد الملك .

روى عن أبيه عن جده ، وعنه أبو وائل القاص ، وأمية بن شبل الصنعانى وسماك بن الفضل وآخرون ، ذكره ابن حبان فى الثقات . توفى بعد سنة ١٣٠ هـ . (٢)

القضاء :

وكان عمر قد استعمل على قضاء اليمن وبيت مالها وهب بن منبه اليمانى الأبناوى ، وكنيته أبو عبد الله . (٣)

ولد وهب فى سنة أربع وثلاثين هجرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه . روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ، وأخيه همام بن منبه وغيرهم ، وروى عنه عمرو بن دينار ، والمغيرة بن حكيم ، وعوف الأعرابى وطائفة . وهو تابعى جليل واسع العلم ثقة . توفى فى صنعاء فى محرم سنة أربع عشرة ومائة هجرية . (٤)

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٣ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/٩٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦/٣٤٢ ، أحمد بن عبد الله (ت بعد سنة ٩٢٣ هـ) خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال تحقيق محمود عبد الوهاب فايد (ط القاهرة) ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ٢/١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/٣٩٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧/١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٨ ، البخارى : التاريخ الكبير ٨/١٦٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١/١٦٦ ، ١٦٧ ، ابن العماد شذرات الذهب ١/١٥٠ .

(٤) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢/٢٤ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٤٩ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/١٠١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١/١٦٧ .

الصدقات :

كما استعمل على صدقات اليمن نافعا مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوى ، وكنيته أبو عبد الله ، ثم بعثه الى مصر ليعلم أهلها السنن ، روى عن عدد من الصحابة عن مولاه ابن عمر ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، والسيدة عائشة وغيرهم وروى عنه الزهرى ، ومالك بن أنس ، وعبيد الله بن عمر ، وأيوب السختيانى وطائفة غيرهم ، كان نافع ثقة حافظا ثبتا فيما نقل وحمل من أثر فى الدين . توفى فى المدينة فى سنة سبع عشرة ومائة (١).

عمان :

قال خليفة بن خياط : ولى عدى عليها سعيد بن مسعود المازنى ، ثم عزل فولاها عمر بن عبد العزيز من قبله عمرو بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى المدنى .

روى عن عمه أنس بن مالك ، وعبد الله بن الزبير ، وعنه جرير بن زيد ، ومحمد ابن اسحاق ، وموسى بن أنس .

وكان عمرو بن عبد الله صالحا ، ويؤيد هذا ما قاله الأوزاعى عنه : " لم يكن أحد من عمال عمر بن عبد العزيز يشبه به الا عمرو بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى عامله على عمان " (٢) .

وتذكر المصادر أن حاجب بن المفضل بن المهلب هو عامل عمر بن عبد العزيز على عمان دون أن تفصل متى كانت توليته هل هو قبل أم بعد عمرو بن عبد الله أو أنه كان يشغل منصبا آخر فيها .

---

(١) البخارى : التاريخ الكبير ٨/ ٨٥ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٣ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/١/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٢ ـ ٤١٤ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٣ ، البخارى : التاريخ الكبير ٦/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/ ٢٤٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/ ٦٣ .

وحاجب بن المفضل بن المهلب بن أبي صفرة يعد في البصريين ٠
روى عن أبيه عن النعمان عن النبي وعن حماد بن زيد ٠
وثقه ابن معين وابن حبان [1].

اليمامة :

اختلف المؤرخون في اسم والي عمر عليها ، فقال خليفة بن خياط : هو زرارة بن عبد الرحمن [2] ، هذا ولم تذكر المصادر أية ترجمة لهذا العامل٠
أما أبوزرعة الدمشقي فقال هو عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة [3] ، ولكن هذه الرواية تضعف أمام الروايات التي أوردها المؤرخون والتي تؤيد أن عمرو هو والي عمر على عمان ٠

البحران :

ذكر خليفة بن خياط أن عديا ولى عليها الصلت بن حريث ثم عزله ، وولى مكانه عبد الكريم بن المغيرة قال خليفة : أظنه باهليا [4] ،وقد انفرد خليفة بهذا ٠

البصرة :

ولى عليها عمر بن عبد العزيز عدى بن أرطاة الفزارى الدمشقي ٠
روى عن أبيه وعمرو بن عبسة ، وأبي أمامة الباهلي وغيرهم ، وروى عنه بكر بن عبد الله المزني ، وعقبة بن قبيصة وآخرون [5].

---

(١) البخاري :التاريخ الكبير ٧٩/٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٣٤/٢ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ١٨٠/١ ٠

(٢) تاريخ ص ٣٢٣

(٣) تاريخ ٥٦٢/١

(٤) تاريخ ص ٣٢٢

(٥) البخاري : التاريخ الكبير ٤٤/٧ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣/٢/٣ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ٢٢٣/٢ .

وكان عمر قد ولاه البصرة في عام تسعة وتسعين هجرية ، وسبب توليته له توضحها رسالة بعث بها عمر اليه جاء فيها : " أما بعد ، فانك غررتني بعمامتك السوداء ، ومجالستك القراء وارسالك العمامة من ورائك ، وأظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن ... " (١).

وكان عدي قد قتل صبرا في صفر سنة اثنين ومائة هجرية (٢).

القضاء :

وكان عدي بن أرطاة قد استقضى الحسن بن أبي الحسن البصري وكنيته أبو سعيد ، ولد في المدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه .

روى عن أنس بن مالك ، وابن عمر ، وجندب بن عبد الله ، ومعقل بن يسار وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه أيوب السختياني ، وحميد الطويل ، وقتادة ، ويونس بن عبيد وآخرون .

وكان الحسن سيد التابعين البصريين ، وأحد أئمة الهدى والسنة المجمع على جلالته . توفى في البصرة سنة عشر ومائة للهجرة .

وكان الحسن قد استعفى عديا من القضاء فأعفاه (٣) فولى مكانه اياس بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال المزني البصري ، وكنيته أبو واثلة . روى عن أبيه ، وأنس ، وسعيد بن المسيب ، وأبي مجلز ، وعنه محمد بن عجلان وشعبة ، وحماد بن سلمة .

---

(١) الذهبي : تاريخ الاسلام ٤/ ١٥٠ ، وانظر ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠١ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧/ ١٦٤ الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ٢/ ٢٢٣ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ١٩٤ ــ ١٩٥ ، النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ١٦١ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ١/ ٥٢٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ ــ ٢٧٠ .

كان اياس تابعيا علامة ثقة ، وثقة ابن سعد والعجلي وابن معين والنسائي وابن حبان كما كان فقيها عفيفا ، ضرب المثل بذكائه وعقله وفصاحته وفطنته . (١)

وظل اياس يحكم بين الناس بالعدل ، واذا أشكل عليه سأل محمد بن سيرين سنة كاملة ، ثم قدم دمشق حيث استعفى عمر بن عبد العزيز فأعفاه . (٢)

توفى اياس في البصرة سنة اثنتين وعشرين ومائة . (٣)

الكوفة :

ولي عليها عمر بن عبد العزيز ، عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي ، الامام العادل الثقة ، وكنيته أبو عمر ، وذلك في عام تسعة وتسعين للهجرة .

روى عن القاسم ، ومسلم بن يسار ، وابن عباس ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وروى عنه الزهري وزيد بن أبي أنيسة ، والحكم بن عتبة .

توفى عبد الحميد بن عبد الرحمن بحران في خلافة هشام بن عبد الملك سنة نيف عشرة ومائة . (٤)

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير ٤٤٢/١ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢٨٢/١/١ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ٢٨٣/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣٣٤/٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٩٠/١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٣٣٧/٩ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٥٤ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٥ .

(٤) الطبري : تاريخ ٥٥٤/٦ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٥/٣ – ١٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤٩/٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١٩/٦ .

القضاء :

وكان عبد الحميد قد استقضى عامرا بن شراحيل الحميرى الشعبى ، وكنيته أبو عمر .

ولد الشعبى لست مضت من خلافة عثمان رضى الله عنه .

روى عن عدد كبير من الصحابة منهم الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وأسامة بن زيد وغيرهم ، كما روى عن عدد من التابعين ، وروى عنه كثيرون منهم : أبو اسحاق السبيعى ، وسعيد بن عمرو بن أشوع والأعمش وابن سيرين وغيرهم .

كان الشعبى علامة أهل الكوفة ، كما كان اماما حافظا علما ثقة ، يحتج به وثقة ابن معين ، وأبو زرعة ، وابن حبان ، وغيرهم . توفى فى سنة ثلاث ومائة للهجرة (١) .

وقد أعان عمر بن عبد العزيز واليه على الكوفة بأبى الزناد كاتبا ، وأبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى .

ولد حوالى سنة خمس وستين للهجرة .

روى عن عبد الله بن جعفر ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن والأعرج ، وعنه مالك والثورى وابنه عبد الرحمن وغيرهم .

كان اماما فقيها حافظا متقنا ثبتا . مات فى سنة ثلاثين ومائة للهجرة " (٢) .

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ١٩٨ ـ ١٩٩ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ٢٣٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥/ ٦٥ ـ ٦٩ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٢/ ٢٢ .

(٢) البخارى : التاريخ الكبير ٥/ ٨٣ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٤ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : ٥/ ٤٤٥ ـ ٤٥١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠٣ .

الموصل :

ولى عليها عمر يحيى بن يحيى بن قيس السبائي الغساني الدمشقي الامام وكنيته أبو عثمان .

روى عن ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعمره بنت عبد الرحمن ، وعنه ابنه هشام ، وابن عيينة ومحمد بن اسحاق ، وسفيان ، وثقة ابن معين . توفى سنة خمس وثلاثين وقيل أربع وثلاثين للهجرة (١).

أصبهان (٢) :

ولى عليها عمر بن عبد العزيز . حكيم بن شريك الهذلي المصرى .

روى عن يحيى بن ميمون ، وعنه عطاء بن دينار الهذلي ، وثقة ابن حبان والبستى (٣) .

خراسان :

ولى عليها عمر الجراح بن عبد الله الحكمى شامى الأصل حمص ، وهو من سعد العشيرة من اليمن ، وكنيته : أبو عقبة .

روى عن ابن سيرين ، وعنه يحيى بن عطية ، وصفوان بن عمرو ، قال عنه الذهبى : كان الجراح فارس الكتائب ، ومقدم الجيوش بطلا شجاعا طوالا كبير القدر عابدا قارئا مهيبا (٤).

---

(١) البخارى : التاريخ الكبير ٨/ ٣١٠ ، أبو زرعة الدمشقى : تاريخ ١/ ٣٣٩ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢/ ١٩٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص ٣ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٣/ ٦٣ ١ .

(٢) اصبهان : اسم اقليم بأسره ، كانت مدينتها اولا جيا ثم صارت اليهودية ياقوت : معجم البلدان ١/ ٢٠٦ .

(٣) الاصبهاني : ذكر أخبار أصبهان ١/ ٣٠٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٢/ ٤٥٠ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ١/ ٢٤٨

(٤) البخارى : التاريخ الكبير : ٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل : ١/١/ ٥٢٢ - ٥٢٣ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ٥/ ١٨٩ .

وكان عمر قد ولاه خراسان فى سنة تسع وتسعين للهجرة ، الا أنه عزله عنها فى سنة مائة [١] . توفى الجراح فى أرمينية [٢] سنة اثنتى عشرة ومائة هجرية [٣] .

وبعد عزل الجراح بن عبد الله ولى عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم الغامدى صلاتها وحربها ، وعبد الرحمن بن عبد الله القشيرى خراجها ، وذلك فى عام مائة هجرية [٤] . ومما تجدر الاشارة اليه أن المصادر سكتت عن ذكر أى شئ يتعلق بحياة هذين العاملين .

وظل عبد الرحمن بن نعيم واليا على خراسان أكثر من سنة ونصف [٥] .

أما عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى ، فقد ذكرت المصادر أنه عزل عن خراج خراسان ، وولى مكانه عقبة بعد زرعة الطائى [٦] . ولم تمدنى المصادر التى بين يدى بترجمة له .

سمرقند [٧] :

استعمل عليها عمر سليمان بن أبى السرى [٨] . ولم تمدنى المصادر التى بين يدى بترجمة له .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٦/٥٤٤ ، ٥٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٥٠ - ٥١ .
(٢) أرمينيا : اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال ياقوت معجم البلدان ١/١٦٠
(٣) ابن الأثير : الكامل ٥/١٥٨ - ١٥٩ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥/١٩٠
(٤) الطبرى : تاريخ ٦/٥٦١ .
(٥) ابن الأثير : ٥/٥٢ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٦/٥٦٨ .
(٧) سمرقند : بلد معروف بما وراء النهر وهي قصبة الصغد . ياقوت : معجم البلدان : ٣/٢٤٦ .
(٨) ابن الاثير : الكامل ٥/٦٠ .

سجستان :

أما سجستان فقد ولى عليها عمر ، عبدالله بن صخر القرشى [1] .
ولم تذكر المصادر التى بين يدى أية معلومات عنه .

ثغر السند :

ولى عليه عمر ، عمرو بن مسلم الباهلى أخا قتيبة بن مسلم ، فقام عمرو بغزو أراضى الهند فظفر [2] ولم تذكر المصادر التى بين يدى ترجمة له .

الجزيرة وأرمينية وأذربيجان :

ولى عليهما عمر ، عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى ، وذلك فى عام تسعة وتسعين [3] .ولم تذكر المصادر التى بين يدى ترجمة لهذا العامل - الا أنه عزله عنها كما قال خليفة ، وولى بدلا منه عدى ابن عدى بن عميرة الذى ولى من قبله سوادة أبا الصباح بن سوادة الكندى الجزيرة [4] ، الا أن هذا الخبر ضعيف لاجماع أكثر المؤرخين على أن عدى كان فى الجزيرة على عهد عمر بن عبد العزيز [5] .

وفى عهد الوالى عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى أغارت الترك على أذربيجان ، وقتلوا جماعة من المسلمين فوجهه عمر اليهم ، فأظفره الله بهم وكان ذلك فى عام تسعة وتسعين للهجرة [6] .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٦/٥٦٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥/٥٤ - ٥٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/ ٢٤٣ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٢٣ .

(٥) انظر ابن سعد : الطبقات ٧/٤٨٠ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١/١/٣٢٩ .

(٦) الطبرى : تاريخ ٦/٥٥٣ - ٥٥٤ ، ابن الأثير : الكامل ٥/ ٤٣ ، وقد جاء فيه أن اسم الوالى حاتم بن النعمان والأرجح كما ذكرت .

توفى عبد العزيز فى أرمينية سنة ثلاث ومائة [١].

الجزيرة :

وانفرد كل من الطبرى ، وابن الأثير ، وابن كثير بالخبر التالى وهو : أن عمر بن عبد العزيز قد ولى عليها فى عام مائة هجرية عمر بن هبيرة [٢] بن معاوية ابن سكين الفزارى الشامى ، الأمير ، وكنيته أبو المثنى [٣] توفى عمر بن هبيرة فى عام سبع توفائه تقريبا بعد أن تولى العراقين يزيد بن عبد الملك [٤] .

أما ابن سعد ومن تبعه من أصحاب كتب الرجال ، فذكر أن عمر بن عبد العزيز قد ولى على الجزيرة عدى بن عدى بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم الكندى أبو فروة الجزرى ، سيد أهل الجزيرة ومفتيهم وأميرهم ، وأمير ارمينية وأذربيجان لسليمان بن عبد الملك ، وصاحب عمر بن عبد العزيز [٥] .

روى عن أبيه مرسل وعمه العرس ، ورجاء بن حيوة وغيرهم ، وعنه عيسى بن عاصم ، وأبو الزبير المكى ، وميمون بن مهران الجزرى وآخرون . وثقه ابن معين والعجلى وأبو حاتم وقال أحمد بن حنبل : عدى بن عدى عن مثله لا يسأل [٦] .

أما النووى فقال : اتفق على فضله وصلاحه وعبادته وجلالته [٧] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٩ ، ابن الأثير : الكامل ١٠٦/٥ .

(٢) تاريخ ٥٥٦/٦ ، الكامل ٥٥/٥ ، البداية والنهاية ١٨٨/٩ .

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥٦٢/٤ .

(٤) المصدر السابق ٥٦٢/٤ .

(٥) الطبقات ٣٤١/٥ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات ٣٢٩/١/١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٦٨/٧ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٢٢٤/٢ .

(٦) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/٢/٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٦٨/٧ - ١٦٩ .

(٧) تهذيب الأسماء واللغات ٣٢٩/١/١

القضاء :

ونظرا لتفقه عدى وعلمه ضم اليه عمر القضاء بها (١) .

توفى عدى فى الجزيرة سنة عشرين ومائة هجرية (٢)

كما ولى القضاء والخراج بها من قبل عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران الجزرى الرقى أبو أيوب الامام الحجة ، عالم الجزيرة ومفتيها (٣) .

ولد سنة أربعين هجرية نشأ بالكوفة ثم سكن الرقة (٤) .

روى عن ابن عمر وابن عباس وأم الدرداء وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ، وعنه ابنه عمرو ، وجعفر بن برقان وجعفر بن أبى وحشية وطائفة . وثقه أحمد بن حنبل والعجلى وأبو زرعة والنسائى وابن حبان (٥) ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا نظر اليه قال : اذا ذهب هذا وأمثاله صار الناس بعده رجراجة (٦) ، وبلغ به الخوف والخشية من الله أنه كان يود لو قطعت أصبعه ولم يل لعمر ولا لغيره (٧) .

توفى ميمون فى الجزيرة فى عام ١١٦ أو ١١٧ ، ١١٨هـ (٨) .

أذربيجان :

أما أذربيجان فقد كان والى عمر عليها عبيدة بن عبد الرحمن السلمى (٩) .

ولم تذكر المصادر التى بين يدى ترجمة له .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٤٨٠/٧ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٥٠ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٢٢٤/٢ .

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٧١/٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٩٠/١٠ .

(٤) البخارى : التاريخ الكبير ٣٣٨/٧ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٩/١ .

(٥) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤ / ١ / ٢٣٣ – ٢٣٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٩٠/١٠ – ٣٩١ .

(٦) أبو زرعة الدمشقى : تاريخ ٢٤٨/١ – ٢٤٩ .

(٧) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٩١/١٠ .

(٨) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٤٧ ، البخارى : التاريخ الكبير ٣٣٨/٧ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٧٤/٣

(٩) الخولانى : تاريخ داريا ص ٨٥ .

الشامـــات :

ملطيـة :

ولى عليها عمر جعونة بن الحارث أحد بنى عامر بن صعصعة . روى عنه عمرو بن ميمون بن مهران (١).

قنسرين :

ولاها عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبى معيط الأموى المعيطى الشامى أبو يعيش .
روى عن أم الدرداء ومعدان بن طلحة وعبد الله بن محيرز وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . وعنه ابنه يعيش وسفيان بن عيينة ، والأوزاعى وآخرون . وثقه ابن معين والعجلى والأوزاعى وابن حبان (٢) .

كما ولى الخراج بها من قبل عمر بن عبد العزيز الفرات بن مسلم (٣) .
ولم تذكر المصادر التى بين يدى ترجمة له .

حمص :

أما حمص فولاها عمر يزيد بن الحصين بن نمير السكونى المصرى .
قال عنه بن أبى حاتم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه على بن رباح (٤).
وقال البخارى : " روى عنه محمد بن الزبير ولم يصح حديثه " (٥).
توفى يزيد فى سنة خمس ومائة للهجرة (٦).

---

(١) البخارى : التاريخ الكبير ٢/١، ٢٥ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديـــل ١/١/٥٤٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٠ .

(٢) البخارى : التاريخ الكبير ٨/١٥٦ ــ ١٥٧ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/٢٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١/١٥٦ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٣/١٣٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٩ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٣ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢/٢٥٥

(٥) التاريخ الكبير ٨/٣٢٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٥/١٠٥ ــ ١٠٦ .

القضاة :

ولاه عمر الحارث بن يمجد الأشعرى [1].

روى عن عبد الله بن عمرو ، روى عنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر [2] .

وكان عمر قد أرسله ويزيد بن أبى مالك الدمشقى الى البدو لتفقيه الناس هناك ، وأجرى عليهما رزقا . فأما يزيد فقبل وأما الحارث فرفض أن يقبل وكتب الى عمر بذلك فكتب عمر انا لا نعلم بما فعل يزيد بأسا وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد [3].

دمشق :

ولاها عمر محمد بن سويد بن كلثوم الفهرى القرشى .

روى عن عم أبيه الضحاك بن قيس الفهرى ، وحذيفة بن اليمان ، وروى عنه الزهرى ومكحول ، وصالح مولى أم حكيم وثقه ابن حبان والعجلى وأضاف أنه تابعى شامى [4] .

وتجدر الاشارة هنا الى أن ابن حجر روى عن الزهرى أنه قال : " حدثنى محمد بن سويد الفهرى ، وكان على الطائف زمن عمر بن عبد العزيز" [5]. ويتضح من هذا الخبر أن محمد بن سويد عزل عن دمشق ، ثم ولى الطائف لعمر ، ويؤيد هذا أن عمر بن عبد العزيز ولى دمشق الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب - ويقال عرزم - الأشعرى الطبرانى ، الدمشقى وقيل الأردنى . روى عن

---

(١) أبوزرعة الدمشقى : تاريخ ٢٠٣/١ .

(٢) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٩٤/٢/١ .

(٣) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٤ - ٧٥ .

(٤) البخارى : التاريخ الكبير ١٠٧/١ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢٧٨/٣/٢ - ٢٧٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢١٠/٩ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ١٤٢/٢ .

(٥) تهذيب التهذيب ٢١٠/٩ - ٢١١ .

أبى هريرة ، وعن أبيه وعبد الرحمن بن غنم وأبى موسى الأشعرى وغيرهم ، روى عنه مكحول ، وعيسى بن سنان ، وعبد الله بن نعيم وآخرون .

قال عنه العجلى تابعى ثقة كان من خير الولاة كما وثقه ابن حبان . ولى دمشق مرتين ، ومات عمر وهو وال عليها ، وفى رواية أخرى أنه كان على الأردن ، وتوفى عام خمسة ومائة للهجرة . (١)

القضاء :

ولاه عمر سليمان بن حبيب المحاربى الدمشقى الدارانى قاضى الخلفاء ، اختلف فى كنيته ، فقالوا : أبو أيوب ، وقيل أبو بكر ، ويقال أبو ثابت .

روى عن عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : منهم أنس بن مالك وأبو أمامة الباهلى وأبو هريرة ، ومعاوية بن أبى سفيان وكرز الخزاعى وغيرهم ، وعنه الزهرى وعمر بن عبد العزيز وزيد بن أبى أنيسة وبرد بن سنان وآخرون .

وثقة يحيى بن معين والعجلى والنسائى ، وقال الدارقطنى ليس فيه بأس تابعى مستقيم ، وقال أبو داود قضى فى دمشق أربعين سنة ، فقد كان سليمان قاضيا لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وليزيد بن عبد الملك هو والزهرى ، وقضى لهشام أيضا . وتوفى عام ستة وعشرين ومائة هجرية . (٢)

كما ولى قضاء دمشق الى جانب سليمان بن حبيب ، عبد الرحمن بن الخشخاش العذرى ، الذى كان قاضيا بدمشق لبنى أمية .

---

(١) البخارى : التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٣ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ١/ ٤٥٩ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤/ ٤٤٦ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (ت٧٦٤هـ) أمراء دمشق فى الاسلام تحقيق صلاح الدين المنجد (ط دمشق) ١٩٥٥م ، ص ٤٤ .

(٢) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ١/ ١٠٥ ، الخولانى : تاريخ داريا ص ٦٨ – ٦٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٧ – ١٧٨ .

روى عن فضالة بن عبيد ، وسمع منه أنيس بن أبي أنيس ، وليس هناك من معلومات عنه أكثر من ذلك [١].

كذلك ولى عمر بن عبد العزيز قضاء نواحي دمشق يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الدمشقي الهمداني .

روى عن أنس وواثلة بن الأسقع وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعمر ابن عبد العزيز وغيرهم ، وروى عنه ابنه خالد والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز . قال ابن أبي حاتم : كان يزيد من فقهاء الشام ثقة سئل عنه أبو زرعة فأثنى عليه خيرا ، توفي يزيد سنة ثلاثين ومائة [٢].

البلقاء [٣] :

ذكر خليفة بن خياط أن عمر بن عبد العزيز استعمل عليها الحارث بن عمرو الطائي [٤].

الأردن :

ولى عمر بن عبد العزيز قضاء الأردن – كما قال ابن أبي حاتم وابن الأثير – عبادة بن نسى الكندي ، الشامي الأردني [٥] ، وفي رواية أخرى ولاه قضاء طبريه . [٦]

روى عن أبي الدرداء وشداد بن أوس وخباب بن الأرت وغيرهم ، روى عنه رجاء بن أبي سلمة وعلى بن أبي حمله وبرد بن سنان وآخرون [٧] .

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير ٢٧٩/٥ ، أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ٢٠١/١ ، ابن أبي حاتم الجرح والتعديل ٢٣٠/٢/٢ ،

(٢) البخاري : التاريخ الكبير ٣٤٧/٨ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩/٢/٤ ، ٢٧٧ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ١٧٤/٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٧٩/١ .

(٣) البلقاء : كوره من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمان ، ياقوت : معجم البلدان : ٤٨٩/١ .

(٤) تاريخ : ص ٣٢٣ .

(٥) الجرح والتعديل : ٩٦/٣ ، الكامل : ١٩٩/٥ .

(٦) طبريا : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبريا وهي من اعمال الاردن بينها وبين الشام ثلاثة ايام ، ياقوت : معجم البلدان ١٧/٤ .

(٧) ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٩٦/٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١١٣/٥ ، الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال ٣٣/٢ .

وثقه ابن سعد وأحمد وابن معين والعجلي والنسائي وابن حبان ، وقال عنه البخاري : عبادة سيدهم . وقال أبو داود : سألت عنه ابن معين فقال : لا يسأل عنه من النسك ، وروى المغيرة بن زياد أن مسلمة بن عبد الملك قال : في كندة ثلاثة نفر ينزل الله بهم الغيث ، وينصرهم على الأعداء عبادة بن نسى وعدى بن عدى ورجاء بن حيوة [1] . توفي عبادة في سنة ثماني عشرة ومائة [2].

فلسطين :

ذكر خليفة أن عمر بن عبد العزيز استعمل عليها النضر بن يريم بن أبرهة ابن الصباح [3].

الديوان :

استعمل عمر على ديوان فلسطين عبد الله بن عوف القاري ، وكنيته أبو القاسم . روى عن أبي جمعة وبشير بن عقربة ، روى عنه حجر بن الحارث الغساني والزهري، ورجاء بن أبي سلمة [4] .

سيناء :

لم تمدني المصادر التي بين يدي أن ابن معدي كرب أهو عامل عمر على سيناء أم على لبنان وأيضا لم تمدني باسمه الكامل واكتفت بذكر ابن معدى كرب وقصته مع عمر كما يروى ابن الجوزي " قال عمر بن عبد العزيز : وددت أن عندي عسلا من عسل سينين أو لبنان فسمعت فاطمة بنت عبد الملك فحملت بعض

---

(١) ابن حجر :تهذيب التهذيب ١١٤/٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٩٩/٥ ، الخزرجي :خلاصة تذهيب الكمال ٣٣/٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٥٥/١ .

(٣) تاريخ ص ٣٢٣ .

(٤) البخاري : التاريخ الكبير ١٥٦/٥ ، البسوى : المعرفة والتاريخ ٤٠٢/١ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٢٥/٢/٢

غلمانها أو بعض مواليها الى ابن معدى كرب وهو عامل ذلك المكان أن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سينين أو لبنان ، فارسل اليه بعسل كثير . فلما انتهى بالعسل اليها أرسلت به الى عمر ، فقالت : هذا الذى تشهيت . فقال : كأنى بك يا فاطمة قد بعثت بعض مواليك الى ابن معدى كرب ، فأمر بذلك العسل ، فاخرج الى السوق فبيع وأدخل ثمنه بيت مال المسلمين . ثم كتب الى ابن معدى كرب أن فاطمة بعثت اليك تخبرك انى تشهيت عسلا من عسل سينين أو لبنان فبعثت اليها . وأيم الله لئن عدت الى مثلها لا تعمل لى عملا أبدا ولا أنظر الى وجهك" (١) .

مصر :

ذكر ابن تغرى بردى خبرا انفرد به وهو : أن عمر بن عبد العزيز أقر على مصر عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمى المصرى الذى كان حسن السيرة عفيفا عن الأموال دينا أمينا ثقة فاضلا عادلا بين الرعية .

روى عنه الليث بن سعد وغيره . ثم عزله فى شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين دون أن يذكر سبب عزله (٢) ، وولى مكانه أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة ابن الصباح (٣) .

روى عنه عبد الرحمن بن مهران (٤) ، وقد شكى ضعف أيوب الى عمر بن عبد العزيز فقال : " ان أيوب زجرت به أعراف صالحة ، فلان بين الأشراف وقصد قصد السيادة " (٥) .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٨ ، وانظر البسوى : المعرفة والتاريخ ١/ ٥٨٠ ٠

(٢) النجوم الزاهرة ١/ ٢٣١ – ٢٣٢

(٣) الكندى : ولاة مصر ص ٨٩ ، المقريزى الخطط ١/ ٣٠٢ .

(٤) البخارى : التاريخ الكبير ، ١/ ٤١٨ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١/ ٢٥٠ .

(٥) الكندى : ولاة مصر ص ٩٠ .

وكان أيوب حسن السيرة أخذ فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، واصلاح الأمور ، فحسنت أحوال الديار المصرية فى عهده .

وظل واليا عليها الى أن توفى فى أواخر رمضان عام احدى ومائة هجرية فكانت ولايته عليها سنتين ونصفا (١).

الافتاء :

وكان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا فى مصر الى ثلاثة من الفقهاء وهم :

١ — يزيد بن أبى حبيب الأزدى . ولد يزيد فى سنة ثلاث وخمسين للهجرة .
روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى الصحابى ، وأبى الخير اليزنى وسويد بن قيس وغيرهم ، وعنه الليث بن سعد ، وزيد بن أبى أنيسة وحيوة بن شريح وآخرون .
وثقه ابن حبان وأبوزرعة والعجلى ، وزاد فى قوله : أنه مصرى تابعى .
أما ابن سعد فقال : يزيد بن حبيب كان مفتى الديار المصرية فى زمانه وهو أول من أظهر العلم فى مصر والكلام بالحلال والحرام ، كما كان عاقلا حليما كثير الحديث . وقال الليث يزيد : سيدنا وعالمنا . توفى يزيد فى سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية (٢).

٢ — عبيد الله بن أبى جعفر ، المصرى الامام الفقيه القدوة ، وكنيته أبو بكر .
ولد فى سنة ستين للهجرة .

---

(١) المصدر السابق ص ٩٠ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٢٣٨/١ .

(٢) ابن أبى حاتم : ٢٦٧/٢/٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣١٨/١١ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ١٦٧/٣ — ١٦٨ .

روى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وحمزة بن عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن الأعرج وغيرهم ، وروى عنه حيوة بن شريح ، والليث وعمرو بن الحارث وآخرون .

قال ابن سعد : كان فقيه زمانه ثقة . وقال ابن يونس : كان عابدا زاهدا عالما . توفى ابن أبى جعفر فى حوالى سنة ست وثلاثين للهجرة (١)

٣ ـ جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندى الأزدى حليف بنى زهرة بن كلاب ، وكنيته أبو شرحبيل القرشى المصرى الفقيه الامام ، سكن مصر وولد فيها .

روى عن الأعرج ، وعراك بن مالك ، وأبى الخير مرثد اليزنى وآخرين .

وثقه ابن سعد والنسائى ، وأحمد ، وقال أبو زرعة : صدوق . توفى جعفر فى سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة (٢).

القضاء :

أقر عمر فى بادئ الأمر على قضاء مصر عياض بن عبيد الله الأزدى الا أنه صرفه عنه لعشر بقين من رجب عام مائة هجرية ، ولم تذكر المصادر سبب صرفه عنه ، أو عن شيوخ هذا القاضى ، وذكرت فقط أنه ولى قضاء مصر مرتين : الأولى فى جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين من قبل قرة بن شريك عامل الوليد على مصر ، لكنه صرف عنه بعد أربع سنين وذلك فى رجب عام سبعة وتسعين للهجرة ، أما الثانية فكانت فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٣).

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٧/٥١٤ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/١٣٦ ، ابن حجر تهذيب التهذيب ٧/٦ ـ ٧ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٢/١٩٠

(٢) البخارى : التاريخ الكبير ٢/١٩٠ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٦/١٤٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢/٩٠ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ١/١٦٧ .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ٣٣٧ .

ثم ولي عمر القضاء — بعد صرف عياض — عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن خذامر الصنعاني وكنيته أبو مسعود .

وأصل والده من أبناء ذرية الفرس الذين وجهوا من قبل كسرى لقتال الحبشة في اليمن ، وحالف يزيد قوما من السبئيين ، واشترك في فتح مصر واختلط بها .

روى عنه موسى بن أيوب الغافقي ، وغوث بن سليمان .

وكان عبد الله فقيها ورعا [1].

وسبب تولية عمر له — كما يذكر الكندي وابن حجر — أن وفدا من أهل مصر وفد على سليمان بن عبد الملك وفيهم عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن خذامر ، فسألهم سليمان عن شيء من أمر أهل المغرب فأخبروه بما يجب ، أما ابن خذامر فلم يتكلم بشيء ، فلما خرج سأله عمر بن عبد العزيز عن السبب الذي منعه من الكلام مع أصحابه قال : خفت الله أن أكذب . فحفظها له عمر . فلما تولى الخلافة كتب الى عامله على مصر بولاية عبد الله القضاء ، وكان ذلك في رجب سنة مائة للهجرة .

وقد كان ابن خذامر عند حسن ظن عمر به ويؤيد هذا ما قاله أبو عمر : أنه لم يقبض منذ ولي القضاء بسبب القضاء درهما ولا دينارا . وكان صرفه عنه في النصف من شهر رمضان سنة خمس ومائة ، فكانت ولايته على القضاء خمس سنين وثلاثة أشهر ، وهو أول من تولى القضاء في مصر من غير العرب [2].

الخراج :

ولاه عمر حيان بن شريح المصري [3] ولم تسعفني المصادر التي بين يدي بأكثر من ذلك عنه ..

---

(١) ابن حجر : رفع الاصر عن قضاة مصر القسم الثاني تحقيق حامد عبد الحميد (ط القاهرة) ١٩٦١ — ١٣٨١ هـ ، ٢ / ٣٠٥ .

(٢) الولاة والقضاة ص ٣٣٨ — ٣٤٠ ، رفع الاصر عن قضاة مصر ٢ / ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١ / ٢ / ٢٤٧ .

جواز مصر :

ولى عليه عمر رزيق بن حكيم الأيلى مولى بنى فزارة وكنيته ، أبو حكيم [١] .
روى عن سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وعمرة بنت عبد الرحمن وغيرهم ، وعنه مالك بن أنس ويونس بن يزيد وابنه حكيم بن رزيق . وثقه النسائى وابن حبان والعجلى وابن سعد ، وقال عنه ابن ماكولا : كان عبدا صالحا ، وذكر ابن أبى حاتم أن رزيق بن حكيم الأيلى كان عامل عمر على ايلة [٢] ويتضح من هذا الخبر أن ايلة كانت نقطة الجمارك بلغة عصرنا الحاضر . وكان رزيق قد ولى هذا المنصب للوليد بن عبد الملك وسليمان ثم لعمر بن عبد العزيز [٣] .

المغرب :

ولى عمر على المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى وكنيته أبو عبد الحميد .

روى عن أنس وعبد الرحمن بن غنم والسائب بن يزيد وأم الدرداء وغيرهم ، وروى عنه سعيد بن عبد العزيز والأوزاعى وابن أنعم وغيرهم [٤] .
قال عنه الأوزاعى : كان مأمونا على ما حدث ، وقال سعيد بن عبد العزيز عنه : كان ثقة صدوقا ، كما وثقه العجلى والفسوى ومعاوية بن صالح والدارقطنى [٥] .

---

(١) الامام مالك : الموطأ ١/ ٢٥٥ .
ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٣ .

(٢) البخارى : التاريخ الكبير ٣/ ٣١٨ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/٢/ ٥٠٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٣ .

(٣) الامام مالك الموطأ ١/ ٢٥٥ .

(٤) البخارى : التاريخ الكبير ١/ ٣٦٦ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ١٨٢ — ١٨٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/ ٣١٧ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/ ٣١٧ .

أما الدباغ فقال : كان صالحا فاضلا زاهدا • وقال محمد التنوخي : ما رأيت في هذه الأمة زاهدا غير اسماعيل بن أبي المهاجر وعمر بن عبد العزيز • وقدم اسماعيل الى افريقية في سنة تسع وتسعين للهجرة ، ويقال في سنة مائة ، وكان حسن السيرة ، سار فيهم بالحق فأسلم على يديه عامة البربر وكان حريصا على اسلامهم •

وكان عمر يرسل اليه بالرسائل لدعوة أهل الذمة للدخول في الاسلام فيقرأها عليهم •

توفي اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر في سنة اثنين وثلاثين ومائة هجرية (١)

القضاء :

ولى عمر بن عبد العزيز على قضاء القيروان عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني من فضلاء التابعين وأهل الورع •

روى عن سفيان بن وهب الخولاني ، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن لهيعة ، وعبد الرحمن بن أنعم (٢) •

الأندلس :

ولى عليها عمر السمح بن مالك الخولاني ، وكان ذلك في رمضان سنة مائة • وقد استشهد السمح بأرض الفرنجة سنة اثنين ومائة فكانت ولايته عليها سنتين وثمانية أشهر (٣) •

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٣ ، الدباغ : معالم الايمان ١/ ٢٠٣ — ٢٠٦ •

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢/ ١٧٥ ، الدباغ : معالم الايمان ١/ ٢١٠ •

(٣) أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١ هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق احسان عباس (ط بيروت) ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ٣/ ١٤ — ١٥ •

كتاب عمر :

استعمل عمر عددا من الكتاب ، كان على رأسهم رجاء بن حيوة ، وكذلك الليث بن أبى رقية الثقفى الشامى مولى أم الحكم بنت أبى سفيان (١) .

روى عن عمر بن عبد العزيز ، وروى عنه محمد بن راشد الشامى ، ذكره ابن حبان فى الثقات (٢) . كما كتب لعمر بن عبد العزيز الصباح بن المثنى ، وكان من جلة كتابه وعليتهم (٣) . وكتب لعمر أيضا اسماعيل بن أبى حكيم القرشى المدنى ، روى عن القاسم بن محمد وعمر بن عبد العزيز وعبيده بن سفيان الحضرمى ، وسعيد بن المسيب وغيرهم . وعنه مالك ويحيى بن سعيد الأنصارى ومحمد بن اسحاق وآخرون . وثقه النسائى وابن شاهين وابن حبان والبرقى وابن وضاح . توفى سنة ثلاثين ومائة هجرية (٤) .

الخراج والجند :

استعمل عمر بن عبد العزيز عليهما صالح بن جبير الصدائى الشامى ، وكنيته ، أبو محمد .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٣ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ٢ / ٣٧١ .

(٢) البخارى : التاريخ الكبير ٧/٢٤٧ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/٢/١٨٠ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٤ .

(٤) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١/١٦٤ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/٢٨٦ ، الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ١/٨٦ .

روى عن أبي جمعة حبيب بن سباع وأبي العجفاء السلمي ، ورجاء بن حيوة ، وعنه هشام بن سعد ، ومعاوية بن صالح وغيرهم .

وثقه ابن معين وابن حبان ، وذكر رجاء بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز قال : ولينا صالح بن جبير فوجدناه مثل اسمه [1].

دار الضرب بدمشق :

ولاها عمر علي بن أبي حملة القرشي ، أبا نصر الفلسطيني الشامي مولى لآل الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

روى عن أبيه وعبد الملك بن محيريز وعمرو بن مهاجر ومكحول وغيرهم ، وعنه ضمرة بن ربيعة ومحمد بن ابان العقيلي وابراهيم بن أبي سفيان وآخرون .

وثقه أبو حاتم ، والعجلي . توفي في سنة ست ومائة [2].

خاتمة :

ولاه نعيم بن سلامة .

روى عنه عطاء الخراساني والأوزاعي ومحمد بن يحيى بن حبان وأبو عبيد حاجب سليمان [3].

البريد :

ولاه عمرو بن ميمون بن مهران الجزري الرقي وكنيته عبد الله .

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير ٤/ ٢٧٤ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ١/ ٣٩٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨٣ ــ ٣٨٤ ، الخزرجي خلاصة تذهيب الكمال ١/ ٤٥٩ .

(٢) البخاري : التاريخ الكبير ٦/ ٢٧١ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٦/ ١٨٣ ــ ١٨٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٤ .

(٣) البخاري : التاريخ الكبير ٨/ ٩٨ ــ ٩٩ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤/ ١/ ٤٩٢ .

روى عن أبيه وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز وغيرهم وروى عنه الثوري وشريك وغيرهما .

وثقه يحيى بن معين والنسائي ، وابن حبان ، وقال أحمد : لابأس به ، أما ابن خراش فقال عنه شيخ صدوق .

وسبب توليه عمر له أن ميمون بن مهران وجهه الى عمر يستعفيه من ولاية الجزيرة فلم يعفه وولى عمرو بن ميمون البريد .

توفى عمرو بن ميمون في سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة [١].

حاجبه :

حبيش مولاه [٢].

الصدقات :

ولى عليها عمر بن عبد العزيز ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عتبة بن اياس القرشي الفهري [٣].

الحرس :

ولى عمر عليه عمرو بن مهاجر بن أبي مسلم الأنصاري الدمشقي أبا عبيد [٤].

روى عن عمر بن عبد العزيز وعن أبيه وآخرين ، وروى عنه الأوزاعي وأخوه محمد بن مهاجر ، واسماعيل بن عياش وغيرهم [٥] .

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير ٦ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٦ / ٢٥٨ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨ / ١٠٨ ـ ١٠٩

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ٣٢٥ .

(٣) الصفدي : أمراء دمشق ص ٤٨ .

(٤) خليفة بن خياط ص ٣٢٥ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣ / ٢٦١

(٥) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣ / ٢٦١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨ / ١٠٧ .

وثقه ابن معين ودحيم وابو داود وابن سعد والعجلي وابن حبان وأحمد بن حنبل[1] وقال ابن سعد له أحاديث كثيرة [1] .

وسبب توليه عمر له يرويها عمرو بن مهاجر فيقول : أن عمر بن عبد العزيز قال له : " لقد وليتك يا عمرو ، حين وليتك عن غير قرابة بيني وبينك ، ولا ولاء لي عليك ، ولكنك رجل من الأنصار ، وأنت امرؤ تحسن الصلاة " [2] .

وكانت ثقة عمر بن عبد العزيز به كبيرة جملته يقول له : " يا عمرو اذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني ثم قل لي : ماذا تصنع " ؟ [3]

وكانت الاشارة هنا الى أن المؤرخين قد اختلفوا فيما اذا كان عمرو بن مهاجر قد ولي رئاسة الحرس لعمر بن عبد العزيز أم الشرطة والأرجح ما أوردته سابقا لقول أكثر المؤرخين به .

الشرطة :

ذكر خليفة بن خياط أن عمرا استعمل عليها يزيد بن بشر بن يزيد ابن بشر الكلبي [4] .

الصائفة :

فرقها عمر - كما قال المؤرخون بين :

١ - الوليد بن هشام واليه على قنسرين - وقد تعرضت لذكره في هذا الملحق .

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٣ / ٢٦١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨ / ١٠٧ .

(٢) أبو زرعة الدمشقي : تاريخ ١ / ٣٢٤ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧٢ .

(٤) تاريخ ص ٣٢٤ .

٢ — عمرو بن قيس بن ثور بن مازن بن خيثمة ، الامام الكبير الكندى أبو ثور شيخ أهل حمص .

ولد عمرو بن قيس فى سنة أربعين للهجرة [(١)] .

روى عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن بسر وآخرين ، وعنه الأوزاعى، ومعاوية بن صالح ، واسماعيل بن عياش وغيرهم [(٢)] .

وثقه ابن معين والعجلى والنسائى وابن حبان [(٣)] ، وقال الذهبى عنه أنه أدرك سبعين صحابيا ، وكان ممن نصب نفسه للفقه وحبسها فى المسجد عن طلب الدنيا [(٤)] .

ولما بعثه عمر على الصائفة أوصاه بقوله : " يا عمرو ، لا تكن أول الناس فتقتل فينهزم أصحابك ، ولا تكن آخرهم فتثبطهم وتجبنهم ولكن كن وسطهم حيث يرون مكانك ويسمعون كلامك ، وفاد من قدرت عليه من المسلمين وأرقائهم وأهل ذمتهم " . [(٥)]

توفى عمرو بن قيس فى سنة أربعين ومائة للهجرة وعمره مائة عام [(٦)]

كما استعمل عمر منصور بن غالب على الحرب وأرسل اليه رسالة طويلة يوصيه بها بجنده وأهل الذمة . [(٧)]

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٢ — ٣٢٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/ ٩١ — ٩٢

(٢) البخارى : التاريخ الكبير ٦/ ٣٦٣ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/ ٢٥٤ .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/ ٩٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٣٦٩ .

(٦) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨/ ٩٢ .

(٧) انظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧١ — ٧٣ .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الآجري : أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت ٣٦٠ هـ) .

١ ـ " أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته " بتحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان ـ الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ)

٢ ـ " أسد الغابة في معرفة الصحابة " ـ طبع ١٢٨٦ هـ .

٣ ـ " الكامل في التاريخ " ـ دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م .

الأربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي (ت ٧١٧هـ) .

٤ ـ " الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك " بتحقيق مكي السيد جاسم ـ مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ .

الأزدي : أبو اسماعيل حماد بن اسحاق بن اسماعيل (ت ٢٦٧ هـ) .

٥ ـ " تركة النبي والسبل التي وجهها فيها صلى الله عليه وسلم " مخطوط بالمكتبة الظاهرية في دمشق تحت رقم ٣٧٩٠ .

الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ) .

٦ ـ " تاريخ الموصل " بتحقيق علي حبيبة ـ القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م .

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) .

٧ ـ " الأغاني " دار صعب ، بيروت ١٣٩٠ هـ .

البخاري : محمد بن اسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) .

٨ ـ " التاريخ الكبير " بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند طبع بين عامي ١٣٦٢ هـ ـ ١٣٨٠ هـ .

بدران : عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى (ت ١٣٤٦ هـ) .
٩ ـ " تهذيب تاريخ ابن عساكر "
الطبعة الثانية ، دار المسيرة بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

البسوى : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) .
١٠ ـ " المعرفة والتاريخ " بتحقيق أكرم ضياء العمرى ـ مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) .
١١ ـ " فتوح البلدان " بتحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ) .
١٢ ـ " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ هـ) .
١٣ ـ " سؤال فى يزيد بن معاوية " بتحقيق صلاح الدين المنجد الطبعة الثالثة ، دار الكتاب الجديد بيروت ١٣٩٦ هـ .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .
١٤ ـ " التاج فى أخلاق الملوك " بتحقيق فوزى عطوى ـ الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٠ م .

الجهشيارى : أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) .
١٥ ـ " الوزراء والكتاب " بتحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى ، عبدالحفيظ شلبى ـ الطبعة الأولى ، مطبعة البابى الحلبى بالقاهرة ، ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ) .

١٦ ـ " تذكرة خواص الأمة فى معرفة الأئمة " المكتبة الظاهرية بدمشق ، طبع حجر .

١٧ ـ " سيرة عمر بن عبد العزيز " بتحقيق محب الدين الخطيب ـ مكتبة المعيار بمصر ، مطبعة المؤيد ١٣٣١ هـ .

١٨ ـ " صفة الصفوة " بتحقيق محمود فاخورى ـ الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٩ ـ " مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب " بتحقيق زينب ابراهيم القاروط ـ الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

ابن أبى حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم التميمى (ت ٣٢٧ هـ) .

٢٠ ـ " الجرح والتعديل " الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، طبع بين عامى ١٣٧١ هـ ـ ١٣٧٣ هـ .

ابن حبان : محمد بن حبان البستى (ت ٣٥٤ هـ) .

٢١ ـ " مشاهير علماء الأمصار " صححه م . فلايشهمر ـ طبع القاهرة ، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .

ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ) .

٢٢ ـ " الاصابة فى تمييز الصحابة " الطبعة الأولى " مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

٢٣ ـ " تهذيب التهذيب " الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند طبع بين عامى ١٣٢٥ هـ ـ ١٣٢٧ هـ .

٢٤ ـ " فتح البارى شرح صحيح البخارى " بتحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز المطبعة السلفية بمصر ١٣٩٠ هـ .

٢٥ ـ " رفع الاصر عن قضاة مصر " القسم الثانى بتحقيق حامد عبد المجيد ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦) .
٢٦ـ " جوامع السيرة " بتحقيق احسان عباس ، ناصر الدين الأسد ، أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .

حسن : الدكتور حسن ابراهيم (ت ١٩٦٨ م) .
٢٧ـ "تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى " ، الطبعة السابعة ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٤ م .

ابن حنبل : الامام أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ) .
٢٨ ـ " المسند " ، المكتب الاسلامى للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

الخزرجى : صفى الدين أحمد بن عبدالله (ت بعد سنة ٩٢٣ هـ) .
٢٩ ـ " خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال " بتحقيق محمود عبدالوهاب فايد ـ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى ، (ت ٤٦٣ هـ) .
٣٠ ـ "تقييد العلم " بتحقيق يوسف العش ـ الطبعة الثانية ، نشرته دار احياء السنة النبوية ١٩٧٤ م .
٣١ـ " شرف أصحاب الحديث " بتحقيق محمد سعيد خطيب أوغلى ـ نشرته دار احياء السنة النبوية ، جامعة أنقرة ١٩٧١ م .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) .
٣٢ ـ " تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) .

٣٣- " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " بتحقيق احسان عباس دار الثقافة بيروت طبع بين عامى ١٩٦٨ م - ١٩٧٢ م .

خليفة بن خياط : خليفة بن خياط بن خليفة البصرى (ت ٢٤٠ هـ) .

٣٤- " تاريخ خليفة بن خياط " بتحقيق أكرم ضياء العمرى - الطبعة الثانية ، دار القلم ومؤسسة الرسالة بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

خليل : الدكتور عماد الدين .

٣٥- " ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الطبعة الخامسة ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

الخولانى : عبد الجبار بن عبد الله بن محمد الخولاني (ت ٣٧٠ هـ) .

٣٦- " تاريخ داريا " مطبعة الترقى بدمشق ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

الدارمى : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ)

٣٧- " سنن الدارمى " طبع بعناية محمد أحمد دهمان - نشرته دار احياء السنة النبوية ، بدون مكان الطبع ولا تاريخه .

أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى (ت ٢٧٥ هـ)

٣٨- " سنن أبى داود " بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار احياء التراث العربى بيروت ، بدون تاريخ .

الدباغ : عبد الرحمن بن محمد بن على (ت ٦٩٩ هـ) .

٣٩- " معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان " أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجى التنوخى (ت ٨٣٩ هـ) ، بتحقيق ابراهيم شبوح - الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى بمصر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

الدميري : محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت ٨٠٨ هـ) .

٤٠ـ " حياة الحيوان الكبرى " الناشر المكتبة الاسلامية ، بدون مكان الطبع ولا تاريخه .

الديار بكري : حسين محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ) .

٤١ـ " تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس " المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٣ هـ .

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) .

٤٢ـ " الأخبار الطوال " بتحقيق عبد المنعم عامر ـ أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .

٤٣ـ " تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام " مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٦٩ هـ .

٤٤ ـ " دول الاسلام " الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بحيدر آباد الدكن ، ١٣٣٧ هـ .

٤٥ـ " تذكرة الحفاظ " دار احياء التراث العربي بيروت ، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م .

٤٦ـ " سير أعلام النبلاء " ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٤٧ـ " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " بتحقيق علي محمد البجاوي . الطبعة الأولى ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م .

الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ) .

٤٨ـ " مختار الصحاح " دار الكتب العربية بيروت ، بدون تاريخ .

الرامهرمزي : الحسن بن عبدالرحمن (ت ٣٦٠ هـ) .
٤٩ـ " المحدث الفاضل بين الراوي والواعي " بتحقيق محمد عجاج الخطيب ـ الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٧٧١ م .

ابن رشيق : الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) .
٥٠ ـ " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ الطبعة الرابعة ، دار الجيل بيروت ١٩٧٢م .

أبو زرعة : عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري (ت ٢٨١هـ) .
٥١ ـ " تاريخ أبي زرعة الدمشقي " بتحقيق شاكر الله بن نعمة الله القوجاني ـ مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .
٥٢ ـ " أساس البلاغة " بتحقيق عبدالرحيم محمود ـ القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م .

السامرائي : الدكتور حسام الدين السامرائي .
٥٣ ـ " الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري " بالانكليزية ، طبع دار لبنان ١٩٧٢ م .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع المشهور بكاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ) .
٥٤ ـ " الطبقات الكبرى " دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧م .

أبو سعده : الدكتور محمد جبر .
٥٥ ـ " محاضرات في تاريخ الخلفاء الأمويين " القاهرة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .

٥٦ ــ " تاريخ الخلفاء " بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢م .

٥٧ ــ " تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك " دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .

الشافعي : الامام محمد بن ادريس المطلبي (ت ٢٠٤ هـ) .

٥٨ ــ " الأم " ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣م .

ابن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) .

٥٩ ــ " فوات الوفيات " بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٩٥١م .

شلبي : الدكتور أحمد شلبي .

٦٠ ــ " موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية " ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٣٧٣ هـ .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) .

٦١ ــ " أمراء دمشق في الاسلام " بتحقيق صلاح الدين المنجد مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥٥ م .

صفوت : الدكتور أحمد زكي

٦٢ ــ " عمر بن عبدالعزيز " الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) .

٦٣ ــ " أدب الكتاب " بتحقيق محمد بهجة الأثري - المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤١ .

ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ) .

٦٤ ــ " الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية " ، مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣١٧ هـ .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) .
٦٥ ـ " تاريخ الرسل والملوك " بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ـ دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي الأندلسي (ت ٤٦٣ هـ) .
٦٦ ـ " تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أو التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الامام مالك " القاهرة ١٣٥٠ هـ .
٦٧ ـ " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " بتحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري ـ مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م .
٦٨ ـ " جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله " دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
٦٩ ـ " الاستيعاب في أسماء الأصحاب " .
الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) .
٧٠ـ " فتوح مصر وأخبارها " طبع ليدن ١٩٢٠ م . أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

ابن عبد الحكم : أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤ هـ) .
٧١ ـ " سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه " بتحقيق أحمد عبيد ـ الطبعة الثانية ، المكتبة العربية بدمشق ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .

ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ)
٧٢ ـ " العقد الفريد " بتحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبياري ـ الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م .

أبو عبيد : القاسم بن سلام الجمحى (ت ٢٢٤هـ) .

٧٣ ــ " الأموال " بتحقيق محمد خليل هراس ــ الطبعة الثانيـة ، القاهرة ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥م .

ابن عساكر : على بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) .

٧٤ ــ " تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من واردها وأهلها " . مخطوط بالمكتبـة الظاهرية فى دمشق تحت رقم ٣٣٧٧ .

ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبدالحى بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩ هـ)

٧٥ ــ " شذرات الذهب فى أخبار من ذهب " .
منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ، بدون تاريخ .

ابن العمرانى : محمد بن على بن محمد (ت ٥٨٠ هـ) .

٧٦ ــ " الانباء فى تاريخ الخلفاء " بتحقيق قاسم السامرائى طبـع ليدن ١٩٧٣ .

أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين بن على بن محمود صاحب حمـاة (ت ٧٣٢ هـ) .

٧٧ ــ " المختصر فى أخبار البشر " دار المعرفة للطباعة والنشـر بيروت بدون تاريخ .

الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) .

٧٨ ــ " القاموس المحيط " ، مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢م .

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ)

٧٩ ــ " المعارف " بتحقيق محمد اسماعيل عبدالله الصاوى ــ الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠م .

٨٠ ـ " عيون الأخبار " مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهــــرة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٢٥ م .

القرمانى : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى (ت ٩٣٩ هـ)
٨١ ـ " أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ " ، طبع بغـــداد ، ١٢٨٢ هـ .

ابن قيم الجوزيه : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر (ت ٧٥١ هـ) .
٨٢ ـ " أحكام أهل الذمة " بتحقيق صبحى الصالح ـ الطبعـــة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

الكتانى : عبد الحى الكتانى (ت ؟) .
٨٣ ـ " نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، المطبعـــة الأهلية بالرباط ، ١٣٤٧ هـ .

ابن كثير : اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو (ت ٧٧٤ هـ)
٨٤ ـ " البداية والنهاية " ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعـــارف بيروت ١٩٧٨ م .

الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ)
٨٥ ـ " كتاب الولاة وكتاب القضاة "صححه رفن كست ـ مطبعـــة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ .
٨٦ ـ " ولاة مصر " بتحقيق حسين نصار ـ دار بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .

ابن ماكولا : على بن هبة الله بن على ، الأمير (ت ٤٧٥ هـ) .
٨٧ ـ " الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسمـــاء والكنى والأنساب " . مطبعة مجلس دائرة المعـــارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند طبع بين عامـــى ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ م / ١٣٨١ ـ ١٣٨٦ هـ .

الامام مالك : " مالك بن أنس رضى الله عنه (ت ١٦٩ هـ) .

٨٨ ـ " الموطأ " بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ـ دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م .

الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت ٤٥٠هـ)

٨٩ ـ " الأحكام السلطانية والولايات الدينية " دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)

٩٠ ـ " الكامل فى اللغة والأدب " ، الناشر مكتبة المعارف بيروت بدون تاريخ .

المقدسى : أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسى المعروف بالبشارى (ت ٣٧٥هـ) .

٩١ ـ " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ١٩٠٦م .

المقرى : أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ)

٩٢ ـ " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " بتحقيق احسان عباس ـ دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .

المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ)

٩٣ ـ " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية " ، دار الطباعة المصرية بالقاهرة ١٢٧٠ هـ .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) .

٩٤ ـ " لسان العرب " دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م .

ابن نباتة : جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصرى (ت ٧٦٨ هـ) .

٩٥ ـ سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، الطبعة الأولى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م .

النجار : الدكتور محمد الطيب النجار

٩٦ ـ " الموالى فى العصر الأموى " الطبعة الأولى ، دار النيل للطباعة بالقاهرة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م .

أبو نعيم : أحمد بن عبدالله الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ)

٩٧ ـ " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م .

٩٨ ـ " ذكر أخبار أصبهان " طبع ليدن ١٩٣٤ م .

النووى : أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) .

٩٩ ـ " تهذيب الأسماء واللغات " ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .

١٠٠ ـ " رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين " بتحقيق عبدالله أحمد أبوزينة ـ نشر وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ، ١٣٩٠ هـ .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣ هـ) .

١٠١ ـ " نهاية الأرب فى فنون الأدب " ، مطابع كوستاتسوماس القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)

١٠٢ ـ " السيرة النبوية " بتحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى عبدالحفيظ شلبى ـ الطبعة الثانية ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥م .

ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ) .

١٠٣ ـ " معجم البلدان " دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م .

يحيى بن آدم : يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ) .
١٠٤ ـ " كتاب الخراج " بتحقيق أحمد محمد شاكر ـ الطبعة الثانية ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٤ هـ .

اليعقوبي : أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ)
١٠٥ ـ " تاريخ اليعقوبي " دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٠م ـ ١٣٩٠ هـ .

أبو يعلى : محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ) .
١٠٦ ـ " الأحكام السلطانية " تحقيق محمد حامد الفقي ـ الطبعة الثانية ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ) .
١٠٧ ـ " كتاب الخراج " الطبعة الرابعة ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ .

المعجم الوسيط :
١٠٨ ـ قام باخراجه : ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ـ مطبعة مصر ، مجمع اللغة العربية ، بالقاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م .

المؤلف مجهول :
١٠٩ ـ " العيون والحدائق وأخبار الحقائق "
طبع ليدن ١٨٧١ م .

الفهرس

وبالله التوفيق ...